سلاجقة الروم

في آسيا الصغرى



الأستاذ الدكتور

محمد صالح الزيباري



سلاجقة الروم

في آسيا الصغرى

الأستاذ الدكتور
محمد صالح الزيباري

الطبعة الثانية

2009 م

إهـــــداء

الى كل من أحب شعبنا الكردي المسلم ودافع عن وجوده وحقوقه

اهدي هذا الجهد المتواضع

ABBREVIATIONS المختصرات

1. C.H.Ir.= The Cambridge History of Iran.
2. C.H.Is.= The Cambridge History of Islam.
3. C.Med.H.= The Cambridge Medieval History.
4. Ency. Br= Encyclopaedia Britanica.
5. E.I.New ed= Encyclopaedia of Islam.
6. J.A.= Journale Asiatique, Paris.
7. J.A.O.S= Journal of American Oriental Society.
8. J.R.A.S= Journal of Royal Asiatic Society.

الفهرس

الفصل الثالث

علاقة سلاجقة الروم مع الدول والممالك الاسلامية

الفصل الرابع

علاقة سلاجقة الروم مع الدول والممالك غير الاسلامية

الفصل الخامس

موقف سلاجقة الروم من الغزو الصليبي

نطـــاق البحث

تشتمل هذه الدراسة على خمسة فصول مع ملحقين، مرفقة بأربع خرائط توضيحية. يتناول الفصل الاول دراسة قيام سلطنة سلاجقة الروم في خمسة مباحث، يعطي المبحث الاول نبذة عن موقع بلاد الاناضول وحدوده الجغرافية مع ذكر اهم مدن اسيا الصغرى ومسالكها وانهارها وشيئا عن سكانها. واختص المبحث الثاني بدراسة اصل السلاجقة وظهورهم التاريخي وتوليهم قيادة العالم الاسلامي ثم انقسامهم وظهور فرع سلاجقة الروم.

وخصص المبحث الثالث لدراسة توغل السلاجقة في بلاد الاناضول وسيطرتهم على ارمينيا اولا ثم شنهم الغارات على المعسكرات البيزنطية الثابتة داخل بلاد الاناضول ثانيا، مع الاشارة الى نجاح السلطان الب ارسلان في تحقيق نصر حاسم على البيزنطيين في معركة ملازكرد سنة 463هـ/ 1071م، مما جعل الطريق مفتوحا امام المسلمين الترك للهجرة الى اسيا الصغرى والاستقرار فيها وتراجع سكانها الاغريق نحو الغرب، كما نجحوا في اقامة عدد من الامارات في وسط بلاد الاناضول.

ويتناول المبحث الرابع دور سليمان بن قتلمش في اقامة سلطنة مستقلة في غرب الاناضول، متخذا من مدينة نيقية مركزا لحكمه فاصبحت تلك المدينة نواة لدولة شملت معظم اسيا الصغرى. ويتطرق هذا المبحث ايضا الى تدخل سليمان في بلاد الشام ومقتله على يد تتش بن الب ارسلان امير دمشق.

وخصص المبحث الخامس والاخير من هذا الفصل للبحث عن اوضاع السلطنة في اعقاب مقتل سليمان والجهود الذي بذلها خلفاؤه في الابقاء على دولة سلاجقة الروم ودور ابي القاسم في الدفاع عن نيقية ثم وصول قلج ارسلان الاول الى نيقية وتوليه السلطنة وحتى مقتله سنة 500هـ/ 1107م ثم حكم ابنيه ملكشاه ومسعود ودور الاخير في تثبيت اسس الدولة مرة اخرى، بعد ان استقر في مدينة قونية.

اما الفصل الثاني فقد شمل دراسة دولـة سـلاجقة الـروم في اوج قوتهـا اذ تطرق المبحث الاول الى اوضـاع الدولـة في عهـد السـلطان قلـج ارسـلان الثـاني (550-588هـ/ 1055-1192م)ونجاح السـلطان المـذكور في جعـل دولـة سـلاجقة الـروم قـوة يحـسب حـسابها في العـالم الـسلامي والغـرب المـسيحي ولجوئـه الى الدبلوماسية في توسيع نفوذه ونجاحه في القضاء علـى نفـوذ الامـراء الدانـشمنديين داخل اسيا الصغرى، تم بعد ذلـك التطـرق الى قيامـه بتقـسيم الدولـة بـين ابنائـه، مرتكبا بذلك خطأً كبيراً، ظهـر اثـرهُ واضـحا في الـسنوات الاخـيرة مـن حكمـه، وكيف ادى هذا التقسيم الى ظهور الصراع بين ابنائه.

ويتناول المبحث الثاني حكم السلطان كيخسرو الاول وتوجهه نحـو الغـرب ومحاولته السيطرة على السواحل البحرية والتوسع علىحساب البيزنطيين غربا، مما ادى الى مقتلـه، ومـع ذلـك وضـع اساسـا لازدهارالحيـاة الاقتـصادية في بـلاد الاناضول.

ويوضح المبحث الثالث دور السلطان كيكاوس الاول ونجاحه في اعادة مجد الدولة وتثبيت سيطرة سلاجقة الروم على سواحل البحر الاسود والبحر المتوسـط تاركا لاخيه كيقباد دولة قوية ثابتة الاركان.

اما المبحث الرابع والاخير من هذا الفصل، فيتنـاول حكـم الـسلطان عـلاء الدين كيقباد الاول (616-634هــ/ 1219-1237م) حيـث تم التطـرق الى اعمالـه العسكرية والعمرانية، وما تحقق في عهده من ازدهار، حتى عد المؤرخون عهده من ازهى فترات تاريخ سلاجقة الروم، لانهم وصلوا الى اوج قوتهم.

خصص الفصل الثالث لدراسة العلاقة بين سلاجقة الروم والدول والممالك الاسلامية وطبيعة هذه العلاقات حيث يبدا المبحث الاول بدراسـة العلاقـة بيـنهم وبين الخلافة العباسية، متطرقا الى حـرص سـلاطينهم علـى اقامـة العلاقـات مـع خلفاء بني العباس، للحـصول علـى اعـتراف الخليفـة بغيـة اسباغ الـشرعية علـى حكمهم.

وخصص المبحـث الثـاني لدراسـة علاقـاتهم مـع اتابكيـة حلـب والموصـل

ولاسيما التعاون بينهم وبين نورالدين زنكي، في مواجهة الغزو الصليبي في شمال سوريا. ويتناول المبحث الثالث دراسة علاقاتهم مع الايوبيين في عهد صلاح الدين وفي عهد الملك العادل، ثم التحالف السلجوقي الايوبي ضد الخوارزميين، واخيرا قيام الحرب بين الجانبين في عهد كيكاوس وخليفته كيقباد.

ويتابع المبحث الرابع علاقة سلاجقة الروم مع الخوارزميين في عهد السلطان كيقباد وتبادل الرسائل بينه وبين السلطان جلال الدين منكبرتي، وسبب قيام الحرب بين الجانبين ودور سلاجقة الروم في الحاق الهزيمة بالجيش الخوارزمي وطردهم من مدينة اخلاط.

ويتابع الفصل الرابع علاقة سلاجقة الروم مع الدول والممالك غير الاسلامية، اذ خصص المبحث الاول للبحث عن علاقاتهم مع الدولة البيزنطية والتي تعد اطول صفحة في علاقتهم السياسية تخللتها حروب وفترات هدنة وتبادل السفارات والزيارات وكيف نجح السلاجقة في توسيع دولتهم على حسابها.

وخصص المبحث الثاني لدراسة علاقة سلاجقة الروم مع الارمن في كيليكيا والتي اتسمت بالعداء بشكل عام، وكيف شكلت دولة ارمينيا الصغرى عقبة في طريق توسيع نفوذ السلاجقة باتجاه الجنوب، حيث لم يستطع السلاجقة اخضاع الارمن حتى عهد كيقباد.

ويدرس المبحث الثالث العلاقة بين سلاجقة الروم والكرج، والتي بدات في اواخر عهد السلطان قلج ارسلان الثاني، وقد غلب عليها الطابع العدائي، وخصص المبحث الرابع والاخير من هذا الفصل لدراسة علاقة سلاجقة الروم مع امارة طرابزون اليونانية التي استقلت عن الدولة البيزنطية سنة 600هـ/ 1204م.

اما الفصل الخامس والاخير فيعالج موقف سلاجقة الروم من الغزو الصليبي، حيث يوضح دورهم في التصدي للغزوات الصليبية المتتالية وامتصاصهم زخم هجماتهم والحاق الخسائر بهم وعرقلة سيرهم، مما ادى الى ضعف فاعلية الحملات الصليبية.

يتناول المبحث الاول تصديهم للحملة الصليبية الاولى ونجاحهم في القضاء

على حملة بطرس الناسك، الا انهم لم يستطيعوا الصمود اما حملة الامراء وسقطت عاصمتهم بايديهم.وخصص المبحث الثاني لدراسة وقوف سلاجقة الروم بوجه الحملة الصليبية الثانية ونجاحهم في القضاء على الحملة الالمانية والحملة الفرنسية تباعا ومنعهم من تحقيق اهدافهم.

ويعالج المبحث الثالث موقفهم من حملة الملك الالماني فردريك بربروسا ويوضح اسباب فشلهم في منعه عبور اسيا الصغرى. اما المبحث الرابع فخصص لدراسة علاقة سلاجقة الروم مع امارتي الرها وانطاكية الصليبيتين.

وتتضمن الرسالة ايضا ملحقين. يتضمن الملحق الاول نص رسالة الخليفة الناصر لدين الله الى السلطان كيكاوس الاول ويتضمن الملحق الثاني نص الرسالة الجوابية التي ارسلها السلطان كيقبادالاول الى السلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي.

وارفقت الدراسة باربع خرائط من عمل الباحث بالاعتماد على (C. Med. H)، توضح الخارطة الاولى ظهور السلاجقة وسيطرتهم على خراسان وبقية ولايات بلاد ايران، وتتضمن الخارطة الثانية مقاطعات اسيا الصغرى البيزنطية واهم المدن حيث يرد ذكرها في الدراسة اما الخارطة الثالثة فتوضح مواقع المدن الهامة التي سيطر عليها سلاجقة الروم في اسيا الصغرى التي يتكرر ذكرها في البحث، مع اهم الانهار. وتبين الخارطة الرابعة موقع سلاجقة الروم بالنسبة للامارات الصليبية التي اقيمت في بلاد الشام.

عرض وتحليل المصـــادر

اعتمدت هذه الدراسة على عدد من المخطوطات والمصادر المتخصصة والعامة كما كان للمراجع الحديثة اهمية كبيرة في رفد البحث من خلال الاعتماد على تحليلات مؤلفيها الصائبة، فضلا عن ورود حقائق ومعلومات في هذه المراجع نقلها مؤلفوها من مصادر لم يتسن للباحث الاطلاع عليها بسبب عدم توفرها في مكتبات اقليم كوردستان والعراق.

اولا: المخطوطات:

تمت الاستفادة من المصادر الخطية ومن اهمها: مخطوطة (انسان العيون في مشاهير سادس القرون) لابن ابي عذيبة (ت 856هـ/ 1452م) اذ وردت فيها معلومات حول تقسيم قلج ارسلان الثاني دولته بين ابنائه وسيطرة ابنه ملكشاه على قونية وحجره على والده.

وتمت الاستفادة ايضا من مخطوطة ابن العديم (ت 660هـ/ 1264م) (بغية الطلب في تاريخ حلب) حيث ينفرد بايراد رواية عن اصل السلاجقة نسبها الى شاهد عيان يدعى اينانج، عاصر ظهور السلاجقة وسيطرتهم على خراسان.

واعتمدت الدراسة ايضا على مخطوطة الملك الاشرف الغساني (ت 803هـ/ 1400م) المسماة (العسجد المسبوك)، اذ وردت فيها معلومات عن السلطان مسعود بن قلج ارسلان الاول الذي تقل المعلومات عنه في المصادر الاخرى.

ثانيا: المصادر الاولية:

اعتمدت الدراسة على عدد من المصادر المؤلفة باللغة الفارسية عن اصل السلاجقة وقيام دولتهم وفروعهم، فضلا عن المصادر العربية التي تناولت قيام دولة ال سلجوق.

ويعد تاريخ ابن بيبي (ت 674هـ/ 1275م) المسمى (الاوامر العلائية في الامور العلائية) اهم كتاب الف عن تاريخ سلاجقة الروم. عاش ابن بيبي في بلاط

سلاجقة الروم في عهد السلطان علاء الدين كيقباد الاول، لذا يعد مؤلفه تاريخا رسميا خصص الكثير من صفحاته لفترة حكم السلطان كيقباد. وينفرد ابن بيبي بمعلومات لم ترد في المصادر الاخرى، لهذا يعد المصدر الوحيد الذي اعتمدت عليها بعض فقرات هذه الدراسة، وحتى ان وجدت مصادر ومراجع اخرى، فان معلوماتها منقولة عن ابن بيبي بالتاكيد.

ويعد كتاب (زين الاخبار) لابي سعيد الطرديزي (ت في حدود 445هـ/ 1048م) مصدرا لا يمكن الاستغناء عنه، لانه عاصر الاحداث التي سيطر فيها السلاجقة على خراسان والصراع الذي دار بينهم وبين الغزنويين.

اما كتاب (سلجوقنامه) للنيشابوري (ت 582هـ/ 1186م) فتم الاعتماد عليه حول النسب السلجوقي وانتقال الزعامة بعد وفاة سلجوق الى ابنه اسرائيل ودور ابنه قتلمش جد سلاجقة الروم في سيطرة السلاجقة على العالم الاسلامي.

وتمت الاستفادة من كتاب (راحة الصدور واية السرور) -الترجمة العربية- للراوندي (ت 599هـ/ 1202م) الذي اورد تفاصيل كثيرة عن السلاجقة لم ترد لدى النيشابوري لذا يعد كتابه متمما لسلجوقنامه.

ويعد (تاريخ البيهقي) لابي الفضل البيهقي (ت 470هـ/ 1077م) مصدرا لايمكن الاستغناء عنه عند البحث عن ظهور السلاجقة وسيطرتهم على خراسان والمعارك التي خاضوها ضد الغزنويين في عهد السلطان مسعود بن محمود الغزنوي، لانه يعتبر شاهد عيان واشترك في حملات السلطان مسعود الغزنوي ورأى بعينيه ماحل بجيش السلطان في معركة دندانقان سنة 431هـ/ 1040م.

كما تمت الاستفادة من كتاب (زبدة التواريخ) للحسيني (ت 624هـ/ 1227م) وكتاب (تاريخ دولة ال سلجوق) للبنداري (ت 643هـ/ 1245م) وكتاب (العراضة في الحكاية السلجوقية) لابن النظام الحسيني (ت 743هـ/ 1342م)، لانها كتب مختصة بتاريخ السلاجقة، ظهورهم وسيطرتهم على العالم الاسلامي، ثم انقسامهم.

وافاد كتاب (مسامرة الاخبار ومسايرة الاخيار) لمحمود اقسرائي (توفي بعد

سنة 723هـ/ 1323م) هذه الدراسة كثيرا، حيث وردت فيه معلومات عن السلاجقة الروم، لم ترد في المصادر الاخرى، فضلا عن قيام المؤلف بتحليل الروايات التاريخية.

كما خصص المستوفي القزويني (ت 750هـ/ 1349م) فقرة خاصة من كتابه (تاريخ طزيدة) عن سلاجقة الروم اذ ترجم لسلاطينهم وعلاقاتهم، فضلا عن قيام دولتهم وكيفية تأسيسها.

اما المصادر المؤلفة باللغة العربية التي رفدت هذه الدراسة فهي كثيرة ومتنوعة ومنها كتاب (ذيل تاريخ دمشق) لابن القلانسي (ت 550هـ/ 1160م) حول التحالف بين سلاجقة الروم والدولة الفاطمية في مصر ضد سلاجقة المشرق كما انه يعد مصدرا هاما حول تصدي سلاجقة الروم للحملات الصليبية ولاسيما الحملة الثانية. وكتاب (تاريخ العظيمي) لمحمد بن علي العظيمي (ت 556هـ/ 1160م) الذي تناول توسع سلاجقة الروم في بلاد الشام في عهد سليمان بن قتلمش وسيطرته على مدينة انطاكية واصطدامه مع مسلم بن قريش العقيلي ومع تتش بن الب ارسلان وكيفية مقتله.

وافاد كتاب (الكامل في التاريخ) لابن الاثير (ت 630هـ/ 1232م) هذه الدراسة كثيرا لانه اورد معلومات وافية عن معظم سلاطين سلاجقة الروم وعلاقاتهم مع الدولة والممالك الاسلامية، فضلا عن علاقاتهم مع الدولة البيزنطية. ويعد مصدراً شاملاً لمعظم فترة البحث اما الاستفادة من كتابه (التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية) فكان بدرجة اقل، لان الكتاب الف عن دولة الاتابكية، فكانت المعلومات التي وردت عن سلاجقة الروم مقتضبة للغاية.

ومن المصادر الاخرى التي استفادت منها الدراسة كتاب (المختصر في اخبار البشر) لابي الفدا (ت732هـ/ 1331م)، اذ اورد صورة موجزة عن تاريخ سلاجقة الروم وعلاقتهم مع الايوبيين والكرج والخوارزميين.

وتمت الاستفادة من (تاريخ ابن خلدون) (ت 808هـ/ 1405م) الذي افرد بابا خاصا لسلاطين سلاجقة الروم وتسلسل حكمهم مع ابرز الاحداث التي

جرت في بلاد الاناضول. وعلى الرغم من انه يعد مصدرا متاخرا فان معلوماته تتميز بالدقة واورد معلومات لم ترد في المصادر المعاصرة لفترة البحث.

وكانت الاستفادة من كتاب (زبدة الحلب من تاريخ حلب) لابن العديم (ت 660هـ/ 1262م) كبيرة لانه اورد رواية متكاملة عن محاولة مؤسس دولة سلاجقة الروم السيطرة على شمال بلاد الشام بما فيها مدينة حلب، فضلا عن ايراده معلومات عن العلاقات بين الملك الظاهر الايوبي وسلاطين قونية وعن الأرمن في كيليكيا.

ويفوق كتاب (مفرج الكروب) لابن واصل (ت 697هـ/ 1298م) في اهميته عن مؤلف ابن العديم في رفد البحث بمعلومات عن العلاقة بين الايوبيين وسلاجقة الروم ولاسيما الجزء الرابع والخامس اذ ورد فيهما تفاصيل عن التحالف بين سلاجقة الروم والايوبيين ثم اندلاع الحرب بين الجانبين.

وتم الاعتماد على كتاب (تاريخ الزمان) و(تاريخ مختصر الدول) لابن العبري (ت685هـ/ 1286م). وترجع اهمية مؤلفاته الى انه عاش في بلاد الروم وعاصر بعض الاحداث فقد كان قريبا من احداث القرن (7هـ/ 13م)، لذا افاد البحث خلال تلك الفترة.

وتمت الاستفادة من كتاب (مرآة الزمان) الجزء الثامن لسبط ابن الجوزي (ت 654هـ/ 1256م)، لان مؤلفه عاصر الاحداث وتتميز رواياته بالدقة لانه نقلها عن شهود عيان للاحداث اذ تعد روايته عن التحالف بين سلاجقة الروم والايوبيين وانتصارهم على الجيش الخوارزمي سنة 628هـ/ 1231م في غاية الدقة. ويعد مراة الزمان متمما لتاريخ ابن الاثير بعد سنة 628هـ/ 1231م.

ومن الكتب العامة التي استفادت منها الدراسة (النجوم الزاهرة) لابن تغري بردي (ت 874هـ/ 1469م) وكتاب (كنز الدرر) لابن ايبك الدواداري (ت 725هـ/ 1324م) وكتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) وكتاب (اتعاظ الحنفا) للمقريزي (ت 845هـ/ 1441م)، فضلا عن (التاريخ المنصوري) للحموي (ت 644هـ/ 1246م).

وتم الاعتماد على مؤلفات الذهبي (ت 748هـ/ 1347م) ولاسيما كتاب (تاريخ الاسلام)، الذي تناول الاحداث التي جرت بين (601-634هـ/ 1205-1237م) حيث وردت فيه معلومات دقيقة عن الاحداث التي جرت في بلاد الروم في مطلع القرن 7هـ/ 13م.

وكانت الاستفادة من كتاب (الفتح القسي) وكتاب (البرق الشامي) للعماد الاصفهاني (ت 597هـ/ 1200م) جيدة بخصوص العلاقات بين السلطان صلاح الدين الايوبي وسلاجقة الروم وعن حملة الملك فردريك بربروسا وموقف سلاجقة الروم منها. وتنطبق هذه الاستفادة على كتاب (النوادر السلطانية) لابن شداد (ت 632هـ/ 1234م) وكتاب (الروضتين) وكتاب (الذيل على الروضتين) لابي شامة (ت 665هـ/ 1266م).

ثالثاً: المصادر الاجنبية:

تكمل المصادر الاجنبية بعض الثغرات في المصادر العربية عن سلاجقة الروم وتم الاعتماد عليها في حالة عدم ورود معلومات عن بعض الاحداث في المصادر العربية وسيتم عرض تلك المصادر الاساسية بايجاز.

اعتمدت الدراسة حول تاسيس دولة سلاجقة الروم على كتاب (The Alexiad) لمؤلفتها Anna Comnena كان هذا الكتاب ذا فائدة كبيرة للدراسة، لان الكاتبة هي ابنة الامبراطور البيزنطي الكسيوس الاول وعاصرت احداث قيام دولة سلاجقة الروم وتوسعها، كما كانت قريبة من الاحداث ونقلت رواياتها عن شهود عيان. ومع ذلك فانها تمجد والدها وتبرر سياسته وتعد سلاجقة الروم من اتباع البيزنطيين ويستطيع الباحث المتمعن ان يفطن بسهولة الى عدم دقتها عندما تتحدث عن المسلمين، ومع ذلك فان كتابها مفيد في القاء الضوء على بعض الاحداث ودور بعض الشخصيات التي لم تشر اليها المصادر الاسلامية.

وحول تصدي سلاجقة الروم للحملة الصليبية الاولى كان كتاب اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس لمؤلف مجهول رافق الامير النورماندي بوهيموند مفيدا لهذه الدراسة، لان مؤلفه اشترك في الاحداث بنفسه وكان شاهد عيان لها.

كما اعتمدت الدراسة على حولية بعنوان (Anonymous Syriac Chronicle) المنشور في مجلة (J.R.A.S) سنة 1933 لمؤلف مجهول عن الحملة الصليبية الاولى والثانية وموقف سلاجقة الروم من تلك الحملات وقضائهم على الحملة الصليبية الثانية اما كتاب (A HSITORY OF DEEDS DONE BEYOND. THE SEA) لوليم الصوري (WILLIAM OF TYRE) فكان مفيدا جدا لان المؤلف عاصر احداث الحملة الصليبية الثانية وحكم السلطان قلج ارسلان الثاني وزار اوربا والقسطنطينية، فسجل معلومات دقيقة عن عصره واشار الى قوة سلاجقة الروم وماحققوه من انتصار على البيزنطيين سنة 572هـ/ 1176م.

ويعد كتاب (Türkiye Selcukluları, Hakkında Resmi Vesikalar) من المصادر الاساسية التي رفدت الدراسة بمعلومات قيمة لان الكتاب يحتوي على مجموعة كبيرة من الوثائق الرسمية التي تعود لسلاطين سلاجقة الروم وتخص ادارة الدولة والاوقاف ونظام البلاط وتعيين الوزراء والحكام كما يحتوي على الرسائل التي تبودلت بين السلطان علاء الدين كيقباد الاول وجلال الدين منكبرتي. ومما يزيد من قيمة هذا الكتاب، قيام الباحث التركي عثمان توران بجمع هذه الوثائق وتحقيقها وترجمتها من اللغة الفارسية الى اللغة التركية ونشر النص الفارسي معها ايضا.

وعلى الرغم من ان هذه الوثائق تخص ادارة الدولة وتنظيمات سلاجقة الروم وملكية الاراضي واراضي الاوقاف واشعارا كثيرة، يمكن للباحث الاستفادة منها للتعرف على طبيعة الاوضاع السياسية في بلاد الروم في اواخر القرن 6هـ/ 12م.وبداية القرن الذي يليه، كما تبين هذه الوثائق بان معظم المكاتبات الرسمية لدولة سلاجقة الروم دونت باللغة الفارسية.

رابعا :المراجع الحديثة :

استفادت الدراسة من مراجع عربية عديدة كان من ابرزها كتاب (الروم وصلاتهم بالعرب) لأسد رستم وكتاب (العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الاولى) لجوزيف نسيم يوسف وكتاب (تركستان) وكتاب (تاريخ الترك في

اسيا الوسطى) لبارتولد وكتاب (الامارات الارتقية) لعماد الدين خليل وكتاب (سياسة صلاح الدين الايوبي) لدريد عبد القادر نوري وكتاب (الدول الاسلامية) لستانلي لين بول وكتاب (الحركة الصليبية) لسعيد عبد الفتاح عاشور وكتاب (روما وبيزنطة) لاسحق تاوضروس عبيد وكتاب (مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية) لسهيل زكار. اما المراجع الاخرى فكانت الاستفادة منها اقل.

وكانت الاستفادة من المراجع غير العربية اعم واشمل بسبب استخدام مؤلفيها مصادر لم يتسن للباحث الاطلاع عليها ومع ذلك فان الباحث لم ياخذ بوجهة نظر مؤلفي تلك المراجع فقط، بل قام بمناقشتها ونقدها احيانا.

كذلك اعتمدت الدراسة على مؤلفات (كلود كاهين Claude Cahen) ولاسيما كتابه (PRE-OTTOMAN TURKEY) الذي يعد مرجعا مهما عن تاريخ سلاجقة الروم واتسمت تحليلات المولف للاحداث بالدقة الا ان الباحث لايتفق معه في تحليله للعديد من الاحداث كما سيظهر اثناء البحث.

وتمت الاستفادة من كتاب. (HISTORY OF BYZANTINE EMPIRE) لظازليظ (Vasileiv) حول الصراع بين المسلمين الترك والدولة البيزنطية ونجاح سلاجقة الروم في اقامة دولتهم على حساب البيزنطيين في اسيا الصغرى. كما تمت الاستفادة من (Statet The Byzantine) لاوستروطورسكي (Ostrogorsky) بهذا الخصوص. واستفاد البحث من الكتب التي الفت عن الحروب الصليبية ودور السلاجقة الروم في تلك الحروب مثل كتاب (A history of the Crusades) لرنسيمان (Runciman) ودراسة بلدوين (Baldwin) التي تحمل نفس العنوان وكتاب (The Origin of the Idea of Crusades) لاردام (Erdam).

وافادت اراء الباحث اومان (Oman) التي وردت في كتاب (The Art of War in the Middle Ages,) الدراسة في تفسير نتائج المعارك الحربية وفشل العديد من الحملات الصليبية عبر اسيا الصغرى.

اما كتاب(The Historical Giography of Asia Minor) لرامسي

(RAMSAY) فتعد دراسة هامة عن اسيا الصغرى والطرق التي كانت تسلكها الجيوش البيزنطية ثم الصليبية وطبيعة هذه الطرق واثرها على حركة الجيوش ونتائج المعارك.

ومن المراجع التركية التي افادت الدراسة كتاب (Anadolu Fatihi Kutalmiş Oglu) للباحث علي سفيم (A.Sefim) اذ تتناول سيرة مؤسس الدولة سليمان بن قتلمش واعماله، كما ان تحليلات الباحث مهمة، على الرغم من محاولته اعطاء شخصية سليمان طابعا قوميا تركيا صرفا.

ومن المراجع الفرنسية التي افادت الدراسة كتاب (Histoire Des Croisades Et Du Royaume France De Jerusalem.) لكروسيه (Grousset) اذ اشار المؤلف الى المعارك التي خاضها الصليبيون ضد سلاجقة الروم. ويلقي كتاب (La Syrie Du Nord Al, Epoaue Des Croisades) لكلودكاهين الضوء على الصراع الذي دار بين القوى السياسية اثناء الحروب الصليبية للسيطرة على شمال سوريا بمن فيهم سلاجقة الروم ونور الدين زنكي ومن بعده صلاح الدين.

هذا ويعد كتاب (الاعمال التاريخية) للمؤرخ كردليفسكي (Gordlevsky) -باللغة الروسية- من المراجع الاساسية التي رفدت البحث بمعلومات لم ترد في المصادر المتوفرة، فضلاً عن تحليلاته الصائبة واسلوبه الشيق والشمولي عن تاريخ الترك في اسيا الصغرى.

واخيرا ارجو ان اكون قد وفقت ولو بعض التوفيق في سد ثغرة من ثغرات التاريخ السلامي والمتمثل بتاريخ سلاجقة الروم في اسيا الصغرى والله ولي التوفيق.

المقدمـــة

أُطلق على الاتراك السلاجقة في اسيا الـصغرى تـسمية سـلاجقة الـروم في المصادر العربية والفارسية ولهذا سيرد خلال هذه الدراسة تـسمية سـلاجقة الـروم اسوة بتلك المـصادر وهـي تعـني الاتـراك الـسلاجقة الـذين حكمـوا معظـم بـلاد الاناضول خلال القرنين السادس والسابع الهجري/ الثـاني عـشر والثالـث عـشر الميلادي.

ومن أجل دراسة تاريخ الكرد ودورهـم في البنـاء الحـضاري ينبغـي دراسـة تاريخ الشعوب والامم المجاورة لهم حتى يتسنى للباحثين الاعتماد على تاريخ تلك الشعوب والامم واتخاذها وسيلة لازالة الغموض عن تاريخ الكرد.

ولسلاجقة الروم تاريخ مشترك مع الكرد في جوانب عدة واصبحوا مجاورين للكورد بعد أن إستقروا في آسيا الصغرى وأسسوا دولتهم. وقد لعب الكـرد دوراً اساسيا في مساندتهم والمساهمة في حركة الجهاد التي قادهـا الاتـراك الـسلاجقة في آسيا الصغرى ضد الدولة البيزنطية والصليبيين فـضلاً عـن دورهـم في الاحـداث السياسية والعسكرية. واصبح ذلك التاريخ المشترك من دوافع البحث.

يعد تاريخ سلاجقة الروم حلقة غامضة في التاريخ الاسلامي، لم يتم البحث فيه بشكل تفصيلي حتى من قبل الترك انفسهم، وذلك لقلة المصادر التي تتطرق الى تاريخهم فضلا عن بعثرة المادة التاريخيةبين بطـون المـصادر وعـدم ظهـور مـؤرخين مختصين بدراسة تاريخ تلك الفترة حتى القرن 7 هـ/ 13م.

كذلك فان اهتمامات الكتاب والمؤرخين الـترك انـصب في العـصر الحـديث على تاريخ سلاطين آل عثمان الذين اقاموا دولتهم علـى انقـاض دولـة سـلاجقة الروم، لانها تمثل صفحة مشرقة من تاريخهم، فضلا عن كثـرة المـدونات والوثـائق التي تركتها الدولة العثمانية، فاصـبح مـن الميـسور الكتابـة عـن تـاريخهم، عكـس سلاجقة الروم الذين لم يخلفـوا وراءهـم سـوى كتابـات محـدودة ليـست كافيـة في الاعتماد عليها فضلا عن انهم دونوا مكاتباتهم باللغـة الفارسـية واللغـة العربيـة،

فشكل ذلك عقبة ثانية امام الترك المعاصرين للكتابة عن سلاجقة الروم. كما ان المعلومات التي وردت عن سلاجقة الروم في المصادر العربية والفارسية قليلة. وهذا يفسر قلة المراجع التركية الحديثة عن تاريخهم خلال القرن:6و 7هـ/ 12 و 13م، علما بان المصادر العربية والفارسية غير كافية، لتسليط الضوء على تاريخ سلاجقة الروم السياسي، لهذا كان لابد للباحث ان يستعين بالمصادر البيزنطية والارمنية والمصادر اللاتينية التي الفت عن الحروب الصليبية.

لهذا فان البحث عن تاريخ سلاجقة الروم السياسي لم يكن بالامر السهل، الا انه اصبح حافزا لمضاعفة الجهد والاستعانة بمصادر ومراجع متباينة، لاعطاء صورة متكاملة عن حكمهم، وطبيعته وعلاقاتهم السياسية.

ومن الدوافع الاخرى لاختيار هذه الدراسة ماكان من دور سلاجقة الروم في تغيير الواقع السياسي والطابع السكاني لبلاد الاناضول، اذ وضعوا الاساس في تحويل اسيا الصغرى من ارض يونانية مسيحية الى ارض تركية اسلامية تعرف اليوم باسم (تركيا) واضطر سكانها الاغريق، اما الى الاندماج مع المجتمع التركي او الهجرة الى السواحل الغربية لاسيا الصغرى واوربا، فضلاً عن العلاقات التاريخية بين الكرد والترك.

والمشكلة التي واجهت الباحث هو تداخل موضوعات الرسالة بسبب تداخل العلاقات السياسية بين الدول خلال فترة البحث، لهذا كان لابد من حدوث تكرار بعض الاحداث في اكثر من مبحث وقد تمت الاشارة الى ذلك.

وبسبب طول فترة حكم سلاجقة الروم اقتصرت هذه الدراسة على الفترة الممتدة بين تأسيس دولتهم سنة 470هـ/ 1077م وحتى وفاة السلطان علاء الدين كيقباد الاول سنة 634هـ/ 1237م لان فترة حكمه تمثل قمة توسع السلاجقة وقوتهم حيث بدأ حكمهم بالضعف بعد ذلك التاريخ ويخضعون لسلطان المغول ويستطيع باحثون اخرون تكملة ماتبقى من تاريخهم السياسي والممتد بين 634هـ-708هـ/ 1237-1308م عبر دراسة اخرى.

الفصل الأول

قيام سلطنة سلاجقة الروم

أولاً: جغرافية بلاد الاناضول

ثانياً: اصل السلاجقة

ثالثاً: توغل السلاجقة في بلاد الاناضول

رابعاً: سليمان بن قتلمش وتأسيس الدولة

خامساً: جهود خلفاء سليمان في تثبيت اركان الدولة

أولاً : جغرافية بلاد الروم

أ. التسمية :

اطلق الجغرافيون والرحالة المسلمون تسمية بلاد الروم على الاقاليم الخاضعة للدولة البيزنطية، كما أطلقوا على البحر المتوسط تسمية بحر الروم، وقد اقترنت كلمة الروم بالنصارى في المصادر البلدانية، فأورد ابن الفقيه بأن الروم كلهم من النصارى[1]، وأشار القزويني الى مذهبهم فأورد بانهم على دين الفلاسفة الى ان ظهرت فيهم النصرانية[2]، وكتب ابن بطوطه الذي زار آسيا الصغرى (بلاد الروم) في القرن 8 هـ/ 14م، بأنه كان في آسيا الصغرى كثير من النصارى تحت ذمة المسلمين التركمان[3].

وظهر مصطلح آسيا الصغرى منذ القرن 5م وأطلق على الاقليم الروماني في آسيا، لتمييزه عن الاقاليم الرومانية الاخرى[4]، وسبب ظهور هذه التسمية يرجع الى ظهور كل تضاريس قارة آسيا في هذا الاقليم[5]، اما مصطلح الاناضول (Anatolia) فقد تاخر ظهوره حتى القرن 3هـ/ 9م وهو مرادف لمصطلح آسيا الصغرى. فقد اورد ابن خرداذبة ضمن ولايات بلاد الروم الخاضعة للبيزنطيين ولاية باسم سعمل (الناطلوس) وأشار بأنها من اكبر اعمال (ولايات) الروم وفيها مدينة عمورية[6]، وتغير اسم تلك الولاية لدى الترك الى (أنادوليا) أي الاناضول، واصبح مصطلحاً يشمل المناطق التي سيطر عليها الترك من اراضي الدولة البيزنطية[7].

---

(1) مختصر كتاب البلدان، (بيروت:1988م)، ص129.

(2) آثار البلاد واخبار العباد، (بيروت:1960م)، ص586.

(3) رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، (بيروت:د/ ت)، ص 249.

(4) Miller Asia Minor, Enc. Br. (London:1955), Vol. 2, p. 535

(5) Dewdney, physical Human Economic Geography of Turkey, printed in: (Italy:1971), p.15.

(6) المسالك والممالك (بيروت:1988)، ص196.

(7) Miller, op., cit, p., 535.

وعليه فقد اعتمدت هذه الدراسة استخدام مصطلح بلاد الروم وآسيا الصغرى والاناضول لتشير الى المناطق التي انتشر فيها الاسلام، وخضعت لحكم السلاجقة الترك، الذين طغت عليهم تسمية الروم ايضاً، فسموا في المصادر الاسلامية بسلاجقة الروم او ملوك الروم او سلاطين الروم، بعد ان استولوا على معظم آسيا الصغرى، التي كانت تخضع للروم البيزنطيين، ودفعوا البيزنطيين نحو السواحل الغربية لبلاد الاناضول في النصف الثاني من القرن 5هـ/ 11م. واعترفت الدولة البيزنطية بحق الترك في السيادة على تلك المنطقة وفق معاهدة سنة 470هـ/ 1077م، لحاجة بيزنطة الى مساعدتهم[1].

ب. الحدود:

صنفت المصادر البلدانية الاسلامية بلاد الروم ضمن الاقليم الخامس من اقاليم العالم السبعة المعروفة لدى الجغرافيين المسلمين[2]، وتقع بين ارمينيا شرقاً وبلاد الكرج (جورجيا) وبحر القرم (البحر الاسود) شمالاً وبحر الروم (البحر المتوسط) وخليج القسطنطينية غرباً، وبحر الروم وبلاد الشام واقليم الجزيرة جنوباً[3]. ويؤيد ماركوثولو[4] الذي زار المنطقة في القرن 7هـ/ 13م هذا التحديد إذ اشار الى ان المناطق التي خضعت للسلطة السلجوقية في آسيا الصغرى كانت تمتد من كيليكيا (قيليقيا) جنوباً وحتى البحر الاسود شمالاً ومن سواحل بحر مرمرة غرباً وحتى حدود ارمينيا الصغرى، وتضم اقليمي فريجيا وكبدوكيا[5].

ومن الملاحظ ان كوردستان كانت خارج نطاق بلاد سلاجقة الروم، وقد صنفت المدن والمناطق الكردية ضمن اقليمي الجزيرة وارمينيا كما وردت في المصادر البلدانية؛

(1) Ramsay, The Historical Geography of Asia Minor (London:1890), p.78.

(2) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، مخطوط، السفر الثالث، مصورة المجمع العلمي العراقي، تحت (رقم2797/ 2)، روقة 137-38؛ المستوفي القزويني، نزهة القلوب، (طهران:1957)، ص30.

(3) ابن حوقل، صورة الارض، (بيروت:1979)، ص 181 وينظر: ابو الفدا، تقويم البلدان (باريس:1850)، ص378؛ المستوفي القزويني، نزهة القلوب، ص20.

(4) سفرنامه ماركوبولو، ترجمة حبيب الله صحيحي، (تهران:1971)، ص20-21.

(5) لتحديد موقع هذه الاقاليم ضمن اسيا الصغرى ينظر الخارطة رقم (2).

لان المناطق الغربية والشمالية من كوردستان كانت تابعة ادارياً لاقليمي الجزيرة وارمينية[1].

ولكن هذا لا يعني بأن كوردستان لم تخضع لسلطة سلاجقة الروم، فقد استولوا على مدن ميافارقين وآمد لبعض الوقت، وخضعت مدن وقصبات اخرى لهم لفترة طويلة مثل ملاطية ومرعش، وتوغلوا شرقاً، فاستولوا على مدن موش واخلاط وخربوط وملازكرد، وخضعت مناطق اخرى لحكمهم، وسيتضح ذلك خلال الدراسة.

ج. المظاهر الطبيعية:

تشمل بلاد الروم من الناحية الطوبوغرافية هضبة واسعة تنحدر نحو الغرب وتفصل جبال البنطس بينها وبين البحر الاسود، ويزداد ارتفاع الهضبة باتجاه الشرق وتسمى بكبدوكيا. وفيها تقع مدينة أنقرة. ويفصل الهضبة عن بلاد الشام جبال طوروس، كما تفصل هذه الجبال بينها وبين كوردستان مع أمتدادها جبال انتي طوروس[2].

وبسبب ارتفاع الجبال وبعض مناطق الهضبة ادى ذلك الى زيادة تساقط الثلوج، فاصبحت البلاد غنية بالموارد المائية، ولهذا تكثر في بلاد الروم الانهار التي تخترق الهضبة وتصب في البحار المجاورة فيخترق نهرا سيحان وجيحان القسم الجنوبي الشرقي من الهضبة ليصبا في البحر المتوسط[3]. ويخترق نهر هلس (قيزل ارمق) القسم الشمالي الشرقي من الهضبة ليصب في البحر الاسود، اما نهر دراطون (سقاريا) فيخترق القسم

(1) المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، (بيروت:1987)، ص122 وينظر: المستوفي القزويني، نزهة القلوب، ص177 وما بعدها. وللتفصيل ينظر: لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، (بغداد:1945)، ص160.

(2) للتفصيل عن جغرافية بلاد الاناضول الطبيعية ينظر:Dewdney, op. Cit., pp. 15-33؛ جودت حسين جودت ومحمد خميس الزوكة، جغرافية اوراسيا الاقليمية، (الاسكندرية: د/ت)، ص 36وما بعدها؛ يونس عبد الله علي الطائي، دور المرتكزات الجغرافية السياسية في العلاقات العراقية التركية، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة الموصل (كلية التربية:1997)، ص30 وما بعدها.

(3) ابو الفدا، تقويم البلدان، ص50. وينظر: لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص163.

الشمالي الغربي من الهضبة ليصب في البحر المذكور، ويتجه نهرا مندريس ودوريس ليصبا في بحر ايجة الى الجنوب من مدينة ازمير، فضلا عن انهار صغيرة اخرى[1].

ونظراً لاحاطة الهضبة بالجبال والمرتفعات في الشمال والجنوب والشرق، فقد ادى ذلك الى قلة تاثير الرياح الرطبة عليها، لذا اصبح مناخها شبه صحراوي في وسط الهضبة، وتكثر على سطحها البحيرات المالحة، وبات امر اختراقها والتنقل عبرها امراً صعباً في فصل الصيف، وبصورة عامة يسود في الهضبة مناخ البحر المتوسط[2].

د. وصف بلاد الروم:

اسهب الجغرافيون والرحالة المسلمون في وصف بلاد الروم، وهذه احدى مزايا تلك المصادر التي ركزت على الجانب الوصفي والاجتماعي. فاورد ابن حوقل بأنه تكثر فيها الجبال والقلاع، وثمة قرى منحوتة تحت الصخر في الجبال وتتميز بغزارة مياهها[3]. واشار القزويني الى ان بلاد الروم مملكة واسعة كثيرة الخيرات[4].

اما ابن بطوطه فقد وصفها وصفاً جميلاً وذكر بأنها:

((من احسن اقاليم الدنيا، وقد جمع الله ما تفرق من المحاسن في البلاد. فاهله اجمل الناس صوراً وانظفهم (ملابساً) واطيبهم (مطاعماً) واكثر خلق الله شفقة ولذلك يقال البركة في الشام والشفقة في (بلاد) الروم)) [5].

كما وصف ابن فضل الله العمري بلاد الروم بقوله: ((من اثرى البلاد، صخورها تتفجر ماءً وهي شديدة البرودة شتاءً حيث تتساقط عليها الثلوج)) [6]. وأشار

(1) Dewadeny, Op. Cit., p.24 ff. Brice, south west Asia (London:1966) Vol. VIII: p.121 ff; Miller, op. Cit , p. 537.

(2) Dewdney, op. Cit, p. 25 ff.

(3) صورة الارض، ص182.

(4) آثار البلاد، ص20.

(5) رحلة ابن بطوطة، ص299.

(6) مسالك الابصار، مخطوط، ورقة 139.

القلقشندي الى انواع حيواناتها ومزروعاتها ومعادنها والى رخص الاسعار فيها[1].

هـ. بحر الروم:

وصفت المصادر الاسلامية سواحل بحر الروم (البحر المتوسط) وجزره بدقة، مما يدل على سعة معلوماتهم عنه[2]، فقد فطن ابن الفقيه الى اتصال هذا البحر مع بحر بنطس وذكر بأن: ((بحر الروم (يمتد) من انطاكية الى القسطنطينية ويدور بأتجاه الشرق حتى يخرج خلف باب الابواب من ناحية الخزر))[3].

وقدر شيخ الربوة طول بحر الروم بـ(3076) ميلاً وعرضه بـ(711) ميلاً[4]. وترجع اهمية هذا البحر الى صلاحيته للملاحة في جميع مواسم السنة وتوسطه العالم المعروف آنذاك، ولذا تميز بموقع مهم في وقت السلم والحرب. وقد سيطر السلاجقة على سواحله الشمالية والشرقية آنذاك.

و. الطرق البرية:

تكاد تفصل جبال طوروس بين بلاد الروم من جهة وبلاد الشام من جهة اخرى، وفي الوقت نفسه فان جبال انتي طوروس تفصل بين بلاد الروم من جهة وكوردستان وارمينيا من جهة اخرى. ولم تشكل هذه الجبال مانعاً عبر التاريخ، بسبب وجود عدد من الممرات التي تخترقها والتي اصبحت مسالك بين اسيا الصغرى وبلاد الشام. فقد اورد ابن خرداذبة بانه ثمة ثلاث طرق[5] تخترق آسيا الصغرى هي:

---

(1) صبح الاعشى، (بيروت:1987)، حـ5، / 339. وينظر: ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص 129.

(2) ابن حوقل، صورة الارض، ص 183 وما بعدها.

(3) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص 136.

(4) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (بطرسيورغ:1865)، ص 138-139، الاصطخري، المسالك والممالك، ص50.

(5) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص91-100. وقد اورد رامسي هذه الطرق في كتابه. ينظر: Ramsay, op- cit, p. 78.

1. طريق طرسوس الى خليج القسطنطينية ماراً بريف مدينة قونية[1].
2. درب السلامة- القسطنطينية وهو طريق عام.
3. الطريق المتياسر، ويمر بالعديد من القصبات والمدن المعروفة في بلاد الروم مثل هرقلة[2] وقونية ودورلية[3] (دورليوم) ونيقية[4] ونيقوميدية[5]، ويصل الى القسطنطينية، ويتفرع منها طريق فرعي الى مدينة عمورية[6]. وقدر الحسيني المسافة بين نيقية والقسطنطينية بـ(30) ميلاً[7].

وقد اكد الباحث رامسي Ramsay بأن مدينة قونية[8] كانت ملتقى لاربع طرق

---

(1) تقع مدينة قونية في جنوب آسيا الصغرى واصبحت مركزاً لسلاجقة الروم ينظر: ياقوت، معجم البلدان، (بيروت:د/ت)، حـ4، ص15؛ البغدادي مراصد الاطلاع، حـ 3، ص1134؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، (بيروت:1980)، ص484؛ الهروي، الاشارات لمعرفة الزيارات، (دمشق:1953)، ص56.

(2) تقع جنوب شرق قونية. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، حـ 5، ص398-399؛ ابو الفدا، تقويم البلدان، ص383؛ المرعشي، اقليم نامة مخطوط، مكتبة الدراسات العليا- جامعة بغداد، رقم (358)، ورقة 6.

(3) تقع دورليوم شمال غرب الاناضول وتسمى في الوقت الحاضر اسكي شهر ينظر:
Ramsay, op. Cit., pp. 212-213.

(4) تسمى في الوقت الحاضر ازنيك وتقع على بحيرة تحمل نفس الاسم ينظر: الحسيني، انس المهج وروض الفرج، مخطوط، المكتبة المركزية- جامعة بغداد- رقم (165خ)، ورقة 136؛ Ramsay, Op. Cit., pp. 212-213; ابن رسته، الاعلاق النفيسة، (بيروت:1988)، ص144؛ الهروي، الاشارات، ص58.

(5) تقع مدينة نيقوميديا شمال غرب آسيا الصغرى على ساحل بحر مرمرة الشرقي. ينظر:
Ramsay, op. Cit., p. 197 ff.

(6) تقع في وسط بلاد الاناضول. ينظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 196؛ ياقوت، معجم البلدان، حـ4،ص154؛ الهروي، الاشارات، ص 58.

(7) الحسيني، انس المهج، ورقة 136.

(8) Ramsay, op. Cit., 197- 199.

رئيسية، تربط المدينة بوسط آسيا الصغرى وغربها وذكرها على النحو الاتي:

1. قونية- كوتاهية- دورليوم.
2. طريق من قونية يتجه شرقاً ثم يستدير غرباً الى كوتاهية.
3. طريق عسكري من قونية نحو ابواب كيليكيا.
4. طريق قونية- انقرة.

وفي الوقت نفسه ارتبطت قونية بعدة طرق بأتجاه الجنوب للوصول الى ساحل البحر المتوسط حيث ميناء أنطالية وميناء العلايا وكانت لهذه الطرق اهميتها الاقتصادية والعسكرية.

ونظراً لوجود طرق محددة يسلكها السكان عبر اسيا الصغرى، عبر ممرات محددة فقد اطلق القلقشندي على بلاد الروم بلاد الدربندات[1]، ووصف ابن بطوطة الطرق والمسالك التي عبرها اثناء رحلته في مدن آسيا الصغرى بالتفصيل[2].

ز. أهم المدن:

وجدت مدن وقصبات كثيرة في بلاد الروم، وقد انتشرت في وسط الهضبة، من نهر الفرات شرقاً وحتى السواحل الغربية، اضافة الى المدن المنتشرة على السواحل البحرية. واهم هذه المدن هي قونية واقصرا وقيسارية ونيكسار وانكوريا (انقرة) وبرغلو وتوقات وارزن الروم (ارضروم) وأماسية وميناء سينوب على البحر الاسود وميناء انطاكية على البحر المتوسط ومدن اخرى[3]. واورد ابن الاثير اسماء المدن المهمة في بلاد الاناضول ضمن روايته حول قيام السلطان قلج ارسلان الثاني بتقسيم البلاد بين

(1) صبح الاعشى، حـ5، ص322. ويقصد بالدربندات الممرات الجبلية. ينظر: حسن عميد، فرهنط فارس عميد، (طهران:1373ش)، حـ 2، ص1104؛ هةذار، هةنبانة بورينة، (تهران: 1369ش)، ل310.

(2) رحلة ابن بطوطة، ص 301 وما بعدها.

(3) ينظر الخارطة رقم (3).

ابنائه[1].

كما سيطر سلاجقة الروم على المدن الكردية في اقليم ارمينيا الجغرافي وهي ملاطية واخلاط وخربوط وسيواس وارزنجان واحيانا امتد نفوذهم الى المدن الكردية في اقليم الجزيرة مثل ميافارقين وآمد[2].

ح. السكان:

يعد سكان بلاد الروم ذو أصول هندو اوربية[3]، اقتبسوا الحضارة الاغريقية واللغة اليونانية وتطبعوا بطبائع الشعب الاغريقي، لان اللغة اليونانية كانت لغة الادارة والثقافة والبلاط لدى الروم البيزنطيين[4]. ولهذا ذكر المؤرخون البلدانيون بأن سكان بلاد الاناضول هم من الروم، الا انهم ركزوا على الدين اكثر من العنصر وذكر ابن الفقيه بهذا الصدد:

((والغالب عليهم رومي وصقلبي والروم كلهم نصارى)) [5]، اما القزويني فقد اورد بأن اهل بلاد الروم مسلمون ونصارى[6]، لانه عاش في القرن 7هـ/ 13م وعاصر توسع سلطنة سلاجقة الروم وانتشار الاسلام في اسيا الصغرى، حتى اصبح غالبية السكان من المسلمين، بعد خضوع الاناضول لسلطتهم لمدة قرنين. واطلق ابن فضل الله العمري على بلاد الروم تسمية بلاد الترك[7]، وهذا يدل على سيادة الترك على بلاد الروم وتشكيلهم اغلبية كبيرة من السكان.

---

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، (بيروت:1987)، حـ10، ص219 وما بعدها. وينظر: الدواداري، كنز الدرر، تحقيق صلاح الدين المنجد، (القاهرة:1972)، حـ7، ص111.

(2) وسيتم تحديد مواقع هذه المدن واهميتها كما وردت في المصادر الاسلامية عندما يرد ذكرها تباعاً فضلا عن تعيين مواقعها على الخرائط المرفقة مع هذه الدراسة.

(3) Ramsay, Op. Cit., p. 34.

(4) Diehl, Byzantium: Greatness and Decline, (NewJersey:1957) pp.112- 19.

(5) مختصر كتاب البلدان، ص129.

(6) آثار البلاد، ص586.

(7) مسالك الابصار، مخطوط، السفر الثالث، ورقة 140.

ومع ذلك حافظ اليونانيون على وجودهم لفترة طويلة، وعاشوا الى جانب المسلمين الترك، وعاش في بلاد الروم الارمن ايضاً واختلطوا مع الترك وقد اسسوا دولة في منطقة كليكيا تعرف بأرمينيا الصغرى[1]، ورغم اختلاطهم بالترك فانهم حافظوا على دينهم وثقافتهم وارضهم لفترة طويلة، فقد ذكر ماركوثولو في رحلته الى اسيا الصغرى بان اليونانيين والارمن كانوا يعيشون في المدن ويعملون في التجارة والحرف اليدوية[2].

وهكذا فان بلاد الروم كانت تشكل معظم تركيا الاسيوية في الوقت الحاضر باستثناء السواحل الشمالية الغربية التي تقابل مدينة استنبول ومنطقة كيليكيا التي تاسست فيها دولة ارمينيا الصغرى وكوردستان الشمالية، كما ان الساحل الشمالي الشرقي لم يخضع لحكمهم حتى اوائل القرن 7هـ/ 13م اذ قامت فيها مملكة مستقلة كان مركزها ميناء طرابزون وعرفت بمملكة طرابزون، التي احتفظت بعلاقاتها مع الروم البيزنطيين.

ومن الجدير بالذكر ان كلمة روم ورومي التصقت بالترك الذين استقروا في بلاد الاناضول، فالشاعر الكردي (ئەحمەدیَ خاني) [3] يذكر كلمة روم في القرن 11هـ/ 17م بمعنى الترك. ويظهر اثر كلمة روم ورومي واضحاً في الفولكلور الكردي وهي ترمز الى الترك[4].

ثانياً: اصل السلاجقة

على الرغم من وجود عدة دراسات عن السلاجقة[5]، فانه ما يزال يكتنف

(1) استارجيان، تاريخ الامة الارمنية، (الموصل:1951)، ص203 وما بعدها، وينظر: المدور، مروان، الارمن عبر التاريخ، (بيروت:1982)، ص 222 وما بعدها.

(2) رحلة ماركوبولو، ص 20-21.

(3) مةم وزين، (باريس:1989)، ص 22-21.

(4) عز الدين مصطفى رسول، دراسة في ادب الفولكلور الكردي، (بغداد:1987)، ص45.

(5) سهيل زكار، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية، (دمشق:1981) ص13 وما بعدها، تامارا تالبوت رايس، السلاجقة، ترجمة لطفي الخوري وابراهيم الداقوقي، (بغداد:1968)، ص 13-14؛ احمد كمال الدين حلمي، السلاجقة في التاريخ والحضارة، (الكويت:1975)، ص15 وما بعدها؛ عبد=

اصلهم الغموض ويغلب عليه الطابع الخرافي احياناً[1]، وسبب ذلك يعود الى عدم تدوين تاريخهم قبل هجرتهم من تركستان الى ديار الاسلام واحياناً اخرى تأخير هذا التدوين الى ما بعد تلك الهجرة.

وعلى الرغم من ان الطرديزي[2] عاصر هجرة السلاجقة الى خراسان واشار الى علاقتهم مع الغزنويين، الا انه لم يتطرق الى اصل السلاجقة، اما البيهقي الذي عاصر الصراع الغزنوي السلجوقي، بل كان شاهد عيان لبعض احداث ذلك الصراع، فقد اشترك شخصياً في حملات السلطان مسعود الغزنوي (421-432هـ/ 1030-1043م) ضد السلاجقة في خراسان، وركز على تدوين تاريخ السلطان المذكور بتفاصيل مملة، دون ان يكتب شيئاً عن اصل الامراء السلاجقة[3].

ويعد كتاب (ملك نامه) المفقود والمجهول المؤلف اقدم كتاب تناول اصل السلاجقة، وقد الف للسلطان السلجوقي الب ارسلان (455-465هـ/ 1063-1073م) في شبابه ونقل عنه ابن العديم[4] الذي اشار بان صاحب ملك نامه استفاء

=النعيم محمد حسنين، سلاجقة ايران والعراق، (القاهرة:1975)، ص18 وما بعدها؛ حسين امين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، (بغداد:1965)، ص 45-7؛

Bosworth The Political and Dynastic History of the Iranian World, (C. H. Ir.), vol.5, pp. 11- 23;

هارت، السلاجقة في: دائرة المعارف الاسلامية، (بيروت: د/ت)، حـ12، ص 24-39.

(1) فامبري، تاريخ بخارى، ترجمة احمد محمود الساداتي، (القاهرة:1965م)، ص 127-145.

(2) تاريخ كرديزي (زين الاخبار)، به تصحيح ومقابله عبد الحي حبيبي، (تهران:1363ش)، ص410 وما بعدها.

(3) البيهقي، تاريخ البيهقي، ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأت، (بيروت:1982)، ص510 وما بعدها.

(4) بغية الطلب في تاريخ حلب، مخطوط، مصورة المجمع العلمي العراقي، عن مخطوطة رقم (2925/ 3)، احمد الثالث استنابول، القسم الرابع، ورقة (538). ويرى بارتولد بأن سلجوق او سلجيق ليس اسم علم ولكنها تحريف لكلمة سوباشي بمعنى قائد الجيش. ينظر: بارتولد، تاريخ الترك في اسيا الوسطى، ترجمة احمد السعيد سليمان، (القاهرة:1958)، ص100؛ طه ندا، فصول من تاريخ الحضارة الاسلامية، (بيروت:1976)، ص 152.

انسابهم من الامير ايناتج بك[1]، أسنّ القوم واعرفهم بانساب السلاجقة[2]، فذكر بان الامير سلجوق بن دقاق كان من اعيان ترك الخزر وكان دقاق يلقب (تمر بالغ) أي شديد القوس. وقد انجب دقاق ولداً سماه سلجوقاً، وكان لقبه صوباشي (بمعنى مقدم الجيش). وانجب سلجوق اربعة اولاد هم: ميكائيل وموسى وارسلان بيغو وآخر توفي، وانجب ميكائيل ولدين هما: طغرل بك محمد وجغري بك داود.

ويبدو ان المؤرخين المسلمين مثل ابن الاثير[3] والحسيني[4] اعتمدوا مثل ابن العديم على كتاب ملك نامه حول اصل السلاجقة دون الاشارة اليه. اما المصادر الفارسية فقد اوردت تفصيلات اكثر، فقد اورد النيشابوري[5] بان اسم والد سلجوق هو لقمان من آل طوقشورميشد (غازي) بن كوكجو جواجه وينتمي الى عشيرة قويوق التركية، وكان له دور في قيادة جيوش ملوك الترك، وقد اشتهر أبنه سلجوق بحسن السيرة وذكر بأن له خمسة ابناء[6].

واعطى الكاشغري معلومات اكثر تفصيلاً من النيشابوري عن اصل السلاجقة، عندما بحث عن أصول القبائل التركية، فاورد بان الترك في الاصل عشرون قبيلة، من بينهم القفجاق والبجناك وقاي والقوغيز والغز. واطلق على الغز اسم التركمان ايضا

---

(1) اورد ابن الاثير ان علي تكين قرب اليه يوسف بن موسى بن سلجوق وقدمه على جميع الامراء ولقبه بالامير ايناتج بيغو وقد يكون ايناتج هذا ما نقل عنه صاحب ملك نامه. ينظر: ابن الاثير، الكامل، حـ8، ص238.

(2) ابن العبري، تاريخ الزمان، نقله الى العربيه الاب اسحق ارملة، دار الشرق، (بيروت:1991)، ص 87.

(3) الكامل، حـ8، ص216 وما بعدها.

(4) زبدة التواريخ- اخبار الامراء والملوك السلجوقية، (بيروت:1986)، ص23 وما بعدها.

(5) سلجوقنامه، (تهران:1332ش)، ص10 وما بعدها. وينظر: اقسرائي، مسامرة الاخبار ومسايرة الاخيار، (تهران 1362ش)، ص10 وما بعدها.

(6) يضيف النيشابوري اسمي يونس ويوسف الى أبناء سلجوق. ينظر: نيشابوري، سلجوقنامه، ص 10.

ويتكون الغز من (22) بطناً لكل بطن علامة وسمة على دوابهم. ومن بين هذه البطون عشيرة القنق (قويوق لدى النيشابوري) التي كانت تعد حسب ما اورده الكاشغري من بين اهم هذه البطون، وتنتمي اسرة السلاجقة الى عشيرة القنق[1]. وقد انتشرت القبائل التركية الرعوية في اواسط اسيا بين بحر الخزر غرباً ومنغوليا شرقاً[2].

كان جد السلاجقة دقاق (لقمان)، في خدمة ملوك ترك الخزر، حيث تولى قيادة جيش الامير كاطان (Cagan)، لذا تربى ابنه سلجوق في بلاط الامير المذكور الذي طرد من الخدمة بسبب طموحه[3].

وثمة خلاف بين المؤرخين حول اسم جد السلاجقة الذي ورد بصيغة دقاق[4] وتفاق[5].

ويقاف[6] ولقمان[7] ولكنهم متفقون بأنه كان قائداً للجيش لدى ملوك الخزر، ووصفه ابن الاثير بأنه كان شهماً ذا رأي وتدبير وبأنه كان من زعماء الترك الغز، يرجعون اليه ويطيعونه[8].

---

(1) ديوان لغات الترك (استنبول: 1332هـ) حـ1، ص56؛ زكار، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية، ص 34.

(2) Bosworth, op. Cit., pp. 1-6.

(3) Koestler, The Thirteenth Tribe, (London:1971) p. 133- 134.

(4) ابن العديم، بغية الطلب، القسم الرابع، ورقة 538.

(5) ابن الاثير، الكامل، حـ8، ص238، ومعنى تفاق كما اوردها ابن الاثير تعني، القوس الحديد.

(6) الحسيني، زبدة التواريخ، ص23.

(7) نيشابوري، سلجوقنامه، ص 10.

(8) الكامل، حـ8، ص238، وينظر ابن الوردي، تتمة المختصر في اخبار البشر، (النجف:1969)، حـ1، ص481؛ الراوندي، راحة الصدور، وآية السرور، ترجمة ابراهيم امين الشواربي واخرون، (القاهرة:1960)، ص145؛ رايس، السلاجقة، ص 20-21؛ ارشيد يوسف، سلاجقة الشام والجزيرة (عمان:1988)، ص15.

وذهب ابن الاثير ابعد من ذلك حينما أشار الى ان تفاق نهى ملك الترك بيغو[1] عن غزو ديار الاسلام، فاغلظ له القول، فلطمه تفاق فشج رأس الملك، وحينما اراد رجال الملك القاء القبض عليه، دافع عنه اصحابه ومنعوا الملك من اعتقاله او الحاق الاذى به. ويفهم من رواية ابن الاثير بأنه تصالح مع الملك واقام عنده[2]. ولا يوجد ما يدل على انه دخل الاسلام[3]، وهذا ما يضعف رواية ابن الاثير، ومما يزيد من ضعفها ما اورده ابن الاثير نفسه بأن تفاق ترك ابنه سلجوقاً يتربى في بلاطهم بعد موته[4]، على الرغم من اتفاق روايته مع طبائع الترك الذين يصفهم بارتولد Barthold بانهم ذو قلوب جافية واطباع غليظة، فاصبح من الصعب التمييز بين الزعماء وعامة الشعب في مجتمع الترك الرعوي حتى في الملبس[5].

وتفيد الروايات التاريخية بأن ملك الترك اهتم برعاية ابنه سلجوق بعد وفاته وقربه اليه وعينه قائداً للجيش[6]، غير ان الملك بدأ يضيق ذرعا بسلجوق، بسبب اطاعة الناس له واراد التخلص منه، واحس سلجوق ما يدبر له الملك، لهذا هاجر الى ديار الاسلام، واعتنق مع اتباعه الدين الاسلامي الحنيف، واقام في بلاد ما وراء النهر، بنواحي مدينة جند[7]، وبدأ يغزو ابناء جلدته من الترك[8].

---

(1) كان ملك الترك الاعظم يلقب خاقان أي الخان الاعظم وبيغو اقل منه ينظر: الكاشغري، ديوان لغات الترك، حـ2، ص24، حـ3، ص117.

(2) الكامل، حـ8، ص239.

(3) الحسيني، زبدة التواريخ، ص23.

(4) الكامل، حـ8، ص 239.

(5) بارتولد، تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان، (الكويت:1981)، ص452.

(6) يلقب قائد الجيش في اللغة التركية سئة سالار. ينظر: شمس الدين سامي، قاموس الاعلام، (استنبول:1914)، حـ1، ص708.

(7) مدينة مشهورة قرب نهر سيحون، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، حـ2، ص178.

(8) ابن الاثير، الكامل، حـ8، ص129.

وقدم كل من الطرديزي والنيشابوري والراوندي رواية اخرى اقرب للواقع، مفادها ان سبب هجرة سلجوق واتباعه نحو ديار الاسلام يرجع الى زيادة اعدادهم وقلة مراعيهم، فاضطروا الى التوجه من تركستان الى بلاد ما وراء النهر[1]، وان هذه الهجرة حدثت في حدود سنة 375هـ/ 985م. وكانوا يقضون الشتاء حول نور بخارا- قرب مدينة بخارى[2]، وفي فصل الصيف كانوا ينتقلون الى مناطق الصغد[3] وسمرقند[4] في حركة فصلية[5]. لهذا فان خبر الخلاف بين دقاق او سلجوق وبين ملك الترك قد أختلق بعد قيام الدولة السلجوقية لتحسين سمعة السلاجقة واعطائهم هالة اسلامية روحانية، لان اتباعهم التركمان قد جلبوا لهم سمعة سيئة، عندما اقترفوا سفك دماء المسلمين ونهب اموالهم وهتك اعراضهم[6].

وبعد هجرة السلاجقة الى ديار الاسلام، نشأت الصلات بينهم وبين مسلمي جند، وبتاثيرهم تحولوا بالتدريج الى الاسلام[7]، في نهاية القرن 4هـ/ 10م بعد ان ادركوا

---

(1) زين الاخبار، ص411؛ سلجوقنامه، ص 10؛ راحة الصدور، ص 145.

(2) بخارى: مدينة مشهورة في بلاد ما وراء النهر واورد اليعقوبي بانه بلد واسع فيه اخلاط الناس من العرب والعجم، شديد المنعة. ينظر: اليعقوبي، كتاب البلدان، (بيروت 1988)، ص59، ياقوت، معجم البلدان، حـ1، ص308، البغدادي، مراصد الاطلاع، ص 353.

(3) الصغد كورة تقع قرب سمرقند. ينظر: اليعقوبي، كتاب البلدان، ص59، باقوت، معجم البلدان، حـ3، ص409-410.

(4) من مدن ما وراء النهر تقع شرق بخارى ينظر: ياقوت، معجم البلدان، حـ3، ص 346- 350.

(5) نيشابوري، سلجوقنامه، ص10؛ الراوندي، راحة الصدور، ص 145.

(6) حول ما اقترفه التركمان من اعمال ضد المسلمين. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، (بغداد:1990)، حـ8، ص107؛ ابن الاثير، الكامل، حـ8، ص327 وما بعدها؛ هبة الله الشيرازي، سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، (القاهرة:1949)، ص132؛ البنداري، تاريخ دولة ال سلجوق، (بيروت:1978)، ص8.

(7) هارت، مادة السلاجقة في :دائرة المعارف الاسلامية، حـ12، ص45. وينظر: لين بول، الدول الاسلامية، ترجمة محمد صبحي فرزات، (دمشق:1973)، حـ1، ص312.

اهمية الدين الاسلامي[1]، واصبحوا مسلمين سنيين على مذهب الامام (ابو حنيفة)، وقد ايدوا الخليفة العباسي[2].

وفي الوقت الذي هاجر السلاجقة الى بلاد ما وراء النهر في اواخر القرن 4هـ/ 10م، كانت الدولة السامانية (216-389هـ/ 874-999م) قد ضعفت بسبب مؤامرات البلاط، والمنافسة بين قادة الجيش والوزراء، مما ادى الى انفصال حكام الاقاليم وتدخلهم في شؤون الامارة السامانية[3]، كما تعرض السامانيون لضغط ملوك الايلكخانيين الترك الذين دخلوا الاسلام على يد السامانيين في منتصف القرن 10م، وتبنوا اسماءً والقاباً اسلامية، ثم بدأوا بمقاتلة السامانيين، من اجل السيادة على بلاد ما وراء النهر[4].

ودخل السلاجقة في هذا الصراع واشتركوا في القتال وكانوا ينضمون عادة الى صفوف السامانيين، فاشار ابن الاثير ان سلجوقا قدم العون العسكري للسامانيين حينما استنجدوا به، بعد مهاجمة هارون بن ايلك خان ممتلكاتهم، وارسل ابنه أرسلان (ارسلان) مع عدد من المقاتلين لمعاونتهم[5]. الا انهم في الوقت نفسه كانوا ينتهزون الفرصة لتحسين احوالهم وزيادة نفوذهم والاستيلاء على مراعي جديدة.

ادى معاونة السلاجقة للسامانيين الى السماح لهم بالاستقرار في بلادهم (ما وراء النهر). واصبحت مدينة جند قاعدة لهم وتوسعوا شرقاً حتى ضفاف نهر جيحون عند بحيرة خوارزم (اورال). وبعد سقوط الدولة السامانية واستيلاء ملوك تركستان المسلمين على املاكها في بلاد ما وراء النهر من جهة، واستيلاء الغزنويين[6] على املاكها في

(1) رايس، السلاجقة، ص23.

(2) حسنين، سلاجقة ايران والعراق، ص18.

(3) فامبيري، تاريخ بخارى، ص118.

(4) لين بول، الدول الاسلامية، ص 272؛ كلود كاهين، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية، ترجمة بدر الدين القاسم، (بيروت:1972)، حـ1، ص 346.

(5) ابن الاثير، الكامل، حـ8، ص 236.

(6) اقام الغزنويون دولتهم في القرن 4هـ/ 10م (351-582هـ/ 962-1186م) واتخذوا مدينة غزنة في=

خراسان من جهة اخرى، تدخل السلاجقة في النزاع بين الامراء الترك الايلكخانيين، للاستيلاء على مدينة بخارى واصبح لهم دور ووزن سياسي في الاحداث، فقد ساعدوا الامير علي تكين الذي استولى على مدينة بخارى وهزموا جيشاً ارسله الملك ايلك خان لاسترداد المدينة[1].

بقي سلجوق وابناؤه يعملون على تثبيت وجودهم في بلاد ما وراء النهر حتى وفاته، حيث تشير المصادر التاريخية الى ان سلجوقاً قد توفي ودفن بمدينة جند عن عمر بلغ (107) سنوات وترك خمسة ابناء هم: أرسلان وميكائيل وموسى ويونس ويوسف، وجميعهم كانوا يملكون قابليات القيادة، مما ادى الى مضاعفة اتباعهم حسب رواية النيشابوري[2].

انتقلت زعامة السلاجقة الى اكبر ابناء سلجوق المدعو أرسلان والذي حمل ايضا اسم ارسلان بيغو، ووصفه الراوندي بانه كان اكثر الاخوة علماً وارجحهم عقلاً[3]، وهو جد سلاجقة الروم موضوع هذه الرسالة[4]، لهذا اعتمد عليه والده في قيادة السلاجقة قبل وفاته.

ازداد السلاجقة قوة تحت زعامته، مما اثار مخاوف ايلك خان ملك الترك حيث اسرع بعقد الهدنة مع يمين الدولة السلطان محمود الغزنوي (387-421هـ/ 997-1030م) وتحسنت العلاقات بينهما، بعد ان تزوج محمود إبنته. اقترح ايلك خان على صهره ان يستفيد من السلاجقة في فتوحاته في الهند وحذره في الوقت نفسه من قوتهم

=افغانستان الحالية عاصمة لهم وتوسعوا في شبه القارة الهندية للتفصيل ينظر

Bosworth, The Ghaznavids, (Edinburgh 1963), p. 201 ff

(1) ابن الاثير، الكامل، حـ8، ص237.

(2) سلجوقنامه، ص10، الحسيني، زبدة التواريخ، ص 25.

(3) الراوندي، راحة الصدور، ص 146.

(4) زمباور، معجم الانسان والاسرات الحاكمة في العالم الاسلامي، ترجمة زكي محمد حسن بك وآخرون، (بيروت:1980م)، ص 215.

واحتمال خروجهم عن طاعته وتاسيس دولة مستقلة خاصة بهم[1].

اخذ السلطان محمود التحذير السابق بشكل جاد، فقد راى السلاجقة يساعدون علي تكين للاستيلاء على مدينة بخارى، وهزموا جيش ايلك خان، وكان ذلك من اسباب تحالف ايلك خان مع محمود الغزنوي ودعوته لعبور نهر جيحون، فرحب السلطان محمود بتلك الدعوة، لان علي تكين كان يعارض يمين الدولة ويمنع وصول رسله الى تركستان، وما ان علم علي تكين وارسلان سلجوق بقدوم السلطان محمود وجيشه، حتى هربا من بخارى[2].

وبعد وصول محمود الغزنوي الى بخارى سنة 414هـ/ 1023م، اراد استمالة السلاجقة، فأرسل اليهم رسولاً دعا زعيمهم أرسلان الى مقابلته، للتداول بخصوص الجهاد في الهند، حتى يمنح السلاجقة فرصة المشاركة فيه، ووعده بانه سيرجع الى قومه مكرماً بالهدايا السلطانية. قرر أرسلان تلبية تلك الدعوة بعد ان تشاور مع اخوته وسار للقاء السلطان ومعه عشرة الاف فارس، وعندما علم السلطان محمود بمقدمه، ارسل رسولا ليعلم أرسلان بانه ليس بحاجة الى الرجال حالياً وان الهدف من اللقاء هو اقامة تحالف بينهم، مبني على اسس المحبة والمودة، ولم يدرك أرسلان بعقليته البدوية ما يدبر له السلطان وصرف رجاله بعد ان اختار من بينهم (300) رجلاً من امراء القوم، لمرافقته وكان من بينهم ابنه ابو الفوارس قتلمش[3].

رحب محمود الغزنوي بضيفه واكرمه وسأله السلطان عن القوة التي سيقدمها السلاجقة له عند الحاجة، فأجاب أرسلان بأنه اذا ارسل قوسه الى قومه، سيؤدي الى ركوب (30) الف فارس، مما اثار مخاوف السلطان منه، فالقى القبض على أرسلان ومرافقيه، ثم ارسله الى قلعة كالنجر في الهند[4].

(1) نيشابوري، سلجوقنامه، ص11؛ الراوندي راحة الصدور، ص147؛ ابن النظام، العراضة في الحكاية السلجوقية، (بغداد:1979)، ص22.

(2) طرديزي، زين الاخبار، ص410؛ ابن الاثير، الكامل، حـ8، ص 237.

(3) نيشابوري، سلجوقنامه، ص 12.

(4) طرديزى، زين الاخبار، ص 410.

وتشير المصادر الفارسية الى هروبه من السجن بمعاونة اتباعه من التركمان الذين تسللوا الى القلعة، متنكرين بصفتهم سقاة وحطبة. وتتحدث الروايات التاريخية عن محاولة ابنه قتلمش تخليص والده من الاسر وبأنه كان يحوم حول قلعة كالنجر. ويظهر ان الغزنويين قد افرجوا عنه وبانه هو الذي دبر امر اخراج والده من القلعة، الا ان حراس القلعة، تنبهوا للامر وساروا في اثرهم والقوا القبض عليه مرة اخرى، برفقه ابنه قتلمش، بعد ان ضلوا طريقهم[1]، فأمر السلطان محمود بالتخلص من أرسلان عن طريق سقيه السم وبتشديد الحراسة على ابنه قتلمش، ومات أرسلان في السجن سنة 422هـ/ 1031م، بعد ان قضى فيه سبع سنوات[2].

وذكر الراوندي بأن أرسلان عندما يئس من الخلاص واقترب منه حراس القلعة اوصى الرجلين التركمانيين اللذين كانا يرافقانه ان يتركاه ويذهبا الى اخوته وان يقولا لهم على لسانه:

((اجتهدوا في طلب الملك ولا تيأسوا ولو اصبتم بالهزيمة عشرات المرات وحذار ان تتراجعوا (لان) السلطان (محمود) ما هو الا عبد لا نسب له وهو رجل غدار لن يبقى الله الملك له وستزول دولته على ايديكم)) [3].

انتقلت زعامة السلاجقة بعد أرسلان الى اخيه ميكائيل سنة (415هـ/ 1024م)، وبرز من ابنائه طغرل بك محمد وجغري بك داود[4]، اللذان قادا السلاجقة نحو المجد، والتزما جانب الحيطة والحذر من السلطان محمود. وكان الاخير قد ارسل رسولاً مع هدايا الى ابناء سلجوق، برر حجزه لأرسلان، اذ اشار في رسالته الى اخوته بان أرسلان اساء التصرف في ديوان السلطان، لجهله بالمراسيم السلطانية وانه اسرف في الشراب وحفاظاً على سمعة السلطان، تم حجزه لعدة ايام، واوصاهم بألا يقلقوا او يسيئوا الظن به، وسيتم ارساله اليهم وفق مراسيم سلطانية خاصة، وطلب منهم الا يخرجوا عن طاعة

(1) نيشابوري، سلجوقنامه، ص 12، الراوندي، راحة الصدور، ص 150.

(2) اقسرائي، مسامرة الاخبار، ص14، الراوندي، راحة الصدور، ص 151.

(3) راحة الصدور، ص 151.

(4) ابن فندق، تاريخ بيهق، (حيدر آباد:1968)، ص 122.

السلطان[1].

وعندما وصل هذا الخبر الى مسامع أخوة أرسلان، ارادوا القيام بحركة ضد السلطان محمود، لكن خوفهم منه، بسبب قوته ومكانته في العالم الاسلامي، جعلهم يفكرون ملياً بالامر، فكظموا غيظهم واستقبلوا رسول السلطان وقبلوا هداياه واظهروا ولاءهم له واستعدادهم لتنفيذ اوامره[2].

ثم ارسل السلاجقة التماساً الى السلطان محمود طلبوا فيه السماح لهم بعبور نهر جيحون الى اقليم خراسان لضيق مراعيهم في بلاد ما وراء النهر[3]، فوافق على طلبهم واعطاهم المنطقة الواقعة بين نسا[4] وباورد[5].

ولم يأخذالسلطان محمود بنصيحة ارسلان الجاذب حاكم طوس[6] الذي حذره من السلاجقة، بسبب كثرة جموعهم، واستجاب لالتماسهم، لانه اراد الحصول على المزيد من المال الذي وعد السلاجقة بتقديمه له، فعبروا الى خراسان في حدود سنة 416هـ/ 1026م[7]، وعملوا على دعم مركزهم وبدأوا بمضايقة السكان واحدثوا الاضطرابات في المنطقة.

نتيجة للاعمال السابقة، شكا سكان نسا وباورد من تصرفات التركمان والتمسوا من السلطان محمود العمل على ابعادهم، وامر الاخير ارسلان الجاذب حاكم طوس باجلائهم من المنطقة، فاشتبك معهم وهزم امام السلاجقة. اضطر اثر ذلك السلطان محمود ان يخرج اليهم بنفسه لتأديبهم سنة 419هـ/ 1028م فأنهزم التركمان وفقدوا اربعة

---

(1) اقسرائي، مسامرة الاخبار، ص 13.

(2) آقسرائي، مسامرة الاخبار، ص 13.

(3) نفسه، ص 13؛ البيهقي، تاريخ البيهقي، ص 153.

(4) من مدن خراسان بينها وبين مرو خمسة ايام ينظر: ياقوت، معجم البلدان، حـ5، ص282.

(5) تقع بين مدينتي سرخس ونسا ينظر: ياقوت، معجم البلدان، حـ1، ص333، البغدادي، مراصد الاطلاع، حـ1، ص159.

(6) من مدن خراسان، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، حـ4، ص49.

(7) اقسرائي، مسامرة الاخبار، ص14.

الاف من فرسانهم[1].

ويظهر ان التركمان الذين عبروا نهر جيحون الى خراسان، كانوا من اتباع أرسلان، اما القوة الرئيسية للسلاجقة بقيادة ميكائيل وابنائه فقد بقيت في بلاد ما وراء النهر. وبعد اعتقال السلطان محمود لأرسلان وابنه قتلمش، دفعت البداوة اتباعهم الى ممارسة اعمال الاغارة على قرى ومدن خراسان وتحولوا الى عصابات تمارس النهب والسلب، وهذا ما دفع اهل خراسان للتوجه بالشكوى للسلطان ضدهم.

وعلى الرغم من هزيمتهم امام السلطان الا انه لم يستطع القضاء عليهم، فانتشروا في خراسان، مما ادى الى اضطراب الامن فيها، كما ان سيل تدفق التركمان لم ينقطع الى خراسان، وقد وصلت غاراتهم الى مناطق اصفهان والري (العراق العجمي) ولهذا اطلق على هؤلاء اسم التركمان العراقية، كما وصلت غاراتهم ايضاً الى اذربيجان وارمينيا[2].

أ. قيام الدولة السلجوقية:

تجنب ميكائيل وابناؤه الاصطدام بالسلطان محمود لانهم ادركوا قوته، وعرفوا مكانته لدى الخليفة العباسي، الا انهم خططوا، للثأر من الغزنويين في الوقت المناسب، وبدأوا بتنظيم قوتهم. وفي سنة 421هـ/ 1030م توفي السلطان محمود وكان ابنه مسعود في خراسان فزحف نحو غزنة، وادخل عدداً من التركمان في جيشه وسيطر على الحكم بعد ان ابعد اخاه محمداً عن السلطة[3].

استغل السلاجقة اضطراب الوضع في غزنة، ووسعوا سيطرتهم على بلاد ما وراء النهر وازدادت هجرتهم الى خراسان بعد وفاة حليفهم علي تكين حاكم بخارى وساءت علاقتهم مع ابنائه، وسيطروا على مناطق واسعة من خراسان، ثم ارسلوا رسالة الى سوري بن المعتز والي خراسان، طلبوا فيها السماح لهم بالاستقرار في خراسان، حول

(1) كرديزي، زين الاخبار، ص 416.

(2) ابن الاثير، الكامل، حـ8، ص238- 239.

(3) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص 139-141.وينظر Bosworth, Op. Cit., p. 228- 229.

مدينة نسا، وطلبوا منه استحصال موافقة السلطان[1].

كتب سوري بن المعتز رسالة مع التماس السلاجقة وارسلها الى السلطان مسعود، وكان السلطان في جرجان فلما قرأ الرسالة، توجه الى نيسابور ووصلها في 22 رجب سنة 426هـ/ 2 حزيران 1035م وارسل فور وصوله جيشاً الى نسا، فانسحب منها السلاجقة نحو الصحراء. وعندما طاردهم جيش السلطان باغتوه والحقوا الهزيمة به[2].

ويرجع سبب انتصارهم الى اعتمادهم على الاسلحة الخفيفة، اذ كان سلاحهم الاساسي القوس والنبال، كما تميزوا بخفة الحركة، فاتبعوا اسلوب الكر والفر في حروبهم. وكان هذا الاسلوب يربك الجيوش النظامية. واحتفظ التركمان بذلك الاسلوب في حروبهم مع الدولة البيزنطية والصليبيين ايضاً[3].

وعلى الرغم من انتصار السلاجقة، فانهم بعثوا رسولاً الى السلطان مسعود اعتذروا له ما بدى منهم. وذكروا بأنهم حاربوا جيشه دفاعاً عن النفس وطلبوا منه ان يصفح عنهم، فاستجاب السلطان لرسالتهم وارسل اليهم وفداً للاجتماع بقادتهم[4].

ويلاحظ ان السلاجقة قد بلغوا درجة كبيرة من النضج السياسي، فلم يصبهم الغرور بعد انتصارهم على جيش السلطان مسعود، وفضلوا التظاهر بأعلان الخضوع له، بغية الاعتراف بوجودهم في خراسان ومنحهم حكم بعض مناطق ذلك الاقليم[5].

وبعد تبادل الرسائل بين الجانبين، منح السلطان مسعود حكم ولاية نسا وفراوة ودهستان للاخوة طغرل بك وجغري بك داود وبيغو، كما ارسل السلطان ممثله لتسليمهم شارات تلك الولايات، وليأخذ منهم المواثيق فقط. وخاطبهم السلطان بلقب

---

(1) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص 449- 506.

(2) نفسه، ص 510 وما بعدها؛ طرديزي، زين الاخبار، ص 429.

(3) حول الاساليب القتالية لدى التركمان ينظر: سميل، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة سامي هاشم، (بيروت:1982)، ص 76-82. وينظر:

Oman, Ahistory of the Art of war in the Middle Ages (Newyork:1926), p. 250 ff.

(4) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص 525.

(5) نفسه، ص 528؛ طرديزي، زين الاخبار، ص 435.

دهقان[1]. ومع كل تلك الامتيازات، لمس ممثل السلطان روح التحدي والعصيان، لدى السلاجقة[2].

علا شأن السلاجقة بعد اتفاقهم مع السلطان مسعود الغزنوي واستمروا في التوسع وارسلوا سنة 428هـ/ 1036م رسالة اخرى الى السلطان مسعود طالبوا فيها منحهم حكم مدن مرو وسرخس وباورد وان يتم صرف الارزاق لهم باعتبارهم جنود السلطان، على ان تبقى ادارة تلك المدن بيد السلطان[3].

اما السلطان مسعود فكان قد غادر خراسان وذهب الى الهند، ثم عاد الى العاصمة غزنة سنة 428هـ/ 1036م، فبلغته اخبار نشاط التركمان في خراسان، لهذا تحرك على راس جيش كبير نحو مدينة بلخ، وعندما وصلت اليه رسالة السلاجقة، علم بان قادتهم يخدعونه، ولهذا قرر مهاجمتهم، وارسل الى امير خراسان يأمره بطرد السلاجقة من خراسان، الا انه لم يستطع تنفيذ الامر السلطاني؛ لان قوة السلاجقة كانت فوق طاقته، لكن السلطان الح عليه بقتالهم، فاضطر ان يشتبك معهم قرب سرخس في شعبان سنة 429هـ/ مايس 1037م وهناك دارت معركة قاسية بين الطرفين انتهت بانتصار السلاجقة[4]، حيث حددت تلك المعركة مستقبل السلاجقة السياسي.

ان معركة سرخس تعد بداية لقيام الدولة السلجوقية اذ توجه طغرلبك بعدها الى مدينة نيسابور وجلس على عرش السلطان مسعود في ذي القعدة سنة 429هـ/ آب 1037م، ولقب بالسلطان الاعظم ركن الدين والدنيا[5]، وخطب له ولاخيه داود على منابر خراسان، وبقي عليهم ان يحصلوا على اعتراف الخليفة العباسي بسلطاتهم.

لم يقف مسعود الغزنوي مكتوف الايدي، بعد انتصار السلاجقة عليه بل اخذ يعد

---

(1) كلمة فارسية معناها السيد او الشخص النبيل. عميد، فرهنط عميد، حـ2، ص 1164؛ جبران مسعود، الرائد- معجم لغوي عصري، (بيروت: 1981)، حـ1، ص683.

(2) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص 528.

(3) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص529.

(4) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص590-594. وينظر: الحسيني، زبدة التواريخ، ص 41.

(5) البيهقي،تاريخ البيهقي، ص 594-604؛ الحسيني، زبدة التواريخ، ص41.

عدته لأخذ الثأر منهم، الا ان محاولته باءت بالفشل، حيث تمكن السلاجقة من تثبيت قوتهم وحكمهم بانتصارهم في المعركة الفاصلة التالية وهي معركة دندانقان.

ب . معركة دندانقان (431هـ/1040م) واثرها في قيام حكم السلاجقة :

تحرك السلطان مسعود من غزنة على رأس جيش كبير شمل خمسين الف رجل وثلاثمائه فيل حسب تقدير المؤرخ المعاصر له (البيهقي ت 470هـ/ 1077م) والذي كان من ضمن المشاركين بتلك الحملة، كان الهدف منها طرد السلاجقة من خراسان. ولما علم السلاجقة بذلك انسحبوا باتجاه الشرق نحو حدود مدينة سرخس. وكانوا بحدود (20) الف رجل، لهذا خافوا في بداية الامر، مواجهة الجيش الغزنوي، واقترح طغرل بك على السلاجقة ترك خراسان والتوجه نحو ثغور الروم، لكن اخاه جغري بك رفض اقتراحه وقرر مواجهة العدو[1]، واتبع السلاجقة مع مسعود الغزنوي اسلوب الكر والفر، فانسحبوا من نيسابور وسرخس، باتجاه مرو، فتبعهم السلطان واشتبك معهم في عدد من المعارك التكتيكية، اجبروا خلالها جيش السلطان على ان يتوجه حسب مشيئتهم الى صحراء دندانقان، بين مرو وسرخس، في حر الصيف. وكانت آبار المياه تحت سيطرة السلاجقة، بعد ان ردموا الابار في المناطق التي انسحبوا منها، وباغت السلاجقة جيش مسعود، فاضطربت صفوفه وانهزم السلطان ناجيا بنفسه وخرجت خراسان من يده نهائياً[2]، وخضعت للسلاجقة بعد ان غنموا اموالاً طائلة[3].

وتعد تلك المعركة التي حدثت في 8 رمضان سنة 431هـ/ 23مايس 1040م[4] من المعارك الفاصلة في التاريخ والتي كان من نتائجها قيام الدولة السلجوقية وتوسعها وسيطرتها على معظم العالم الاسلامي وارمينيا واسيا الصغرى فيما بعد.

---

(1) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص 682-683.

(2) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص 684، وينظر: بارتولد، تركستان، ص 448- 449.

(3) الداوداي، كنز الدرر، حـ6، ص 345.

(4) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص 684. وذكر البروفيسور علي سفيم بان معركة دندانقان كانت كارثة بالنسبة للغزنويين، ينظر:

SEVIM, Anaddula fatihi kutalmis Oglu Suleyman Sah, (Ankara: 1990), p.1.

بعد ان احكم السلاجقة قبضتهم على اقليم خراسان وقسموها بينهم[1]، ارادوا اسباغ الشرعية على حكمهم، ولهذا ارسلوا رسالة الى الخليفة العباسي القائم بأمر الله (422–467هـ/ 1031-1075م)، حملها ابو اسحق الفقاعي وكان ذلك بتدبير وزير السلاجقة ابو القاسم الكوباني[2]، اعلنوا فيها تعلقهم بالخلافة العباسية السنية وناشدوا الخليفة الاعتراف بسلطتهم في خراسان[3]، وكان الخليفة قد ارسل اليهم كتاباً بعد استيلائهم على نيسابور سنة 429هـ دعاهم فيها بالا يتعدوا حدود الله وان يرعوا عباده، ((فتباهوا برسالة الخليفة وازدادوا بها قوة ورفعة)) [4].

وقد نالت رسالة السلاجقة استحسان الخليفة واستقبل رسول السلطان، لان الامور في بغداد كانت مضطربة واراد الخليفة الاستفادة من القوة الجديدة في المشرق للتخلص من قادة الجيش الترك من جهة وهيمنة البويهيين على الخلافة من جهة اخرى، لهذا اجاب الخليفة على رسالة السلاجقة وارسل رسالة الى طغرل بك في الري، حملها هبة الله محمد بن مامون، واظهر الخليفة في رسالته احتضانه للسلاجقة ودعاهم الى الالتزام بالشرع، واوصى الخليفة رسله بالتودد للسلطان والاقتراح عليه بالمجيء الى بغداد وحملوا الى طغرل بك خلع الخلافة مع كتاب التفويض بالحكم. رحب طغرل بك بدعوة الخليفة لزيارة بغداد وارسل هداياه اليه[5].

وكان طغرل بك في تلك الفترة مشغولاً باخضاع الاقاليم الايرانية لنفوذه، لذا تأخر في ايفاد رسله الى بغداد حتى سنة 443هـ/ 1052م. تضمن رد السلاجقة شكرهم

(1) نيشابوري، سلجوقنامه، ص18؛ الراوندي، راحة الصدور، ص167 البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص10. وينظر:

Bosworth, The Political and Dynastic History of Iranian World, (C. H. Ir.), Vol.5. P.22.

(2) الراوندي، راحة الصدور، ص167، وينظر: عباس اقبال، الوزارة في عهد السلاجقة، ترجمة احمد كمال الدين حلمي. (باريس:1945)،ص64.

(3) الراوندي، راحة الصدور، ص167.

(4) البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص8.

(5) الراوندي، راحة الصدور، ص168-169. وينظر المستوفي القزويني، تاريخ كزيدة، (تهران: 1364ش)، ص354.

للخليفة لانعامه عليهم بالخلع، كما حمل رسلهم عشرة الاف دينار الى دار الخلافة واعلاقا نفيسة وهدايا اخرى، فاكرم الخليفة رسل طغرل بك[1].

في تلك الفترة كان طغرل بك قد سيطر على اقاليم المشرق الاسلامي وايران بين 433-446هـ/ 1042-1054م، ولم يستطع البويهيون الوقوف بوجهه وانهاروا بسرعة، فاستولى السلاجقة على جرجان وطبرستان سنة 433هـ/ 1042م، وعلى بلاد خوارزم سنة 434هـ/ 1043م، واخضعوا اصفهان والري سنة 434هـ/ 1043م. واتخذ السلطان الري مركزاً للسلطنة، وخطب له نصر الدولة المرواني[2] (402-453هـ/ 1018-1061م) على منابر دياربكر سنة 441هـ/ 1050م واخضع همدان سنة 442هـ/ 1050م. وبدأ امبراطور الروم بمراسلة السلطان، اذ ارسل اليه هدية وطلب عقد معاهدة معه؛ لان سيطرة طغرل بك على ايران اثار مخاوف الامبراطور البيزنطي، ولذلك عمر مسجد القسطنطينية واقيمت فيه الخطبة باسم طغرل بك[3]، لكن السلطان بدأ يغزو بلاد الروم بعد سيطرته على اذربيجان سنة 446هـ/ 1054م[4].

وتوج طغرل بك انتصاراته بدخوله بغداد سنة 447هـ/ 1056م، فامر الخليفة بذكر اسمه في الخطبة ونقش اسمه على السكة ومنحه لقب ملك المشرق والمغرب[5]، وحصل على شرف الزواج من بنت الخليفة القائم وهو شرف لم يحصل عليه أي امير مسلم قبله[6].

---

(1) ابن الاثير، الكامل، حـ8، ص303.

(2) لعب الامير الكردي نصر الدولة دوراً سياسياً واضحاً في احداث النصف الاول من القرن 5هـ/ 11م وكانت له علاقات مع البيزنطيين والفاطميين للتفصيل ينظر: الفارقي، تاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف عوض، (القاهرة:1974)، ص93 وما بعدها.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، (القاهرة: 1971)، حـ2، ص230.

(4) للتفصيل حول استيلاء السلاجقة على اقاليم العالم الاسلامي ينظر: ابن الاثير، الكامل، حـ8، ص250 وما بعدها؛ اقسرائي، مسامرة الاخبار، ص 14 وما بعدها.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، حـ8، ص 181- 182.

(6) ابن الاثير، الكامل، حـ8، ص 357-358.

جـ. قتلمش بن أرسلان:

لم يلعب قتلمش[1] دوراً فعالاً في تاسيس دولة السلاجقة مثل ابناء عمه ميكائيل، طغرل بك وداود على وجه الخصوص، ويرجع سبب ذلك الى اعتقاله مع والده على يد محمود الغزنوي وبقائه في حجز الغزنويين اكثر من خمسة عشر سنة كما سبقت الاشارة الى ذلك. لذلك انتقلت قيادة السلاجقة الى ابناء ميكائيل. عقد السلاجقة الصلح مع السلطان مسعود الغزنوي بعد معركة دندانقان، على ان يكون للسلطان السند وان يترك خراسان والمناطق المحيطة بها للسلاجقة[2]، وطلبوا من السلطان مسعود اطلاق سراح ابن عمهم قتلمش، فوافق على ذلك وأقام السلطان طغرل بك الاحتفالات ابتهاجاً له واكرمه كثيراً، لذلك اظهر ولاءه لابن عمه طغرل بك واخلص له حتى وفاة السلطان سنة 455هـ/ 1063م[3]. ولا يوجد ما يدل على وقوف قتلمش وأخيه رسول تكين ضد طغرل بك[4].

وعندما قسم السلاجقة الاقاليم بين افراد البيت السلجوقي، اعطيت ولاية جرجان ودامغان لقتلمش[5]، ثم اناط به السلطان مهمة قيادة الجيوش وارسله الى ارمينيا واذربيجان بصحبة ابراهيم اينال[6]، وحققت هذه الحملة النصر على ملك الابخاز[1]

---

(1) وردت ترجمة حياته بايجاز في بعض المصادرالعربية. ينظر: ابن الاثير، الكامل، حـ8، ص367-368؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، (بيروت:1977)، حـ5، ص71؛ ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، (القاهرة: د/ت)، حـ2، ص 185، الذهبي، العبر في خبر من غبر، (بيروت:د/ت)، حـ2، ص305؛ الحنبلي، شذرات الذهب، (بيروت:د/ت)، حـ3، ص301.

(2) نيشابوري، سلجوقنامه، ص 17.

(3) اقسرائي، مسامرة الاخبار، ص 14.

(4) Sevim, Op. Cit., p. 21-22.

(5) نيشابوري: سلجوقنامه، ص 18؛ الحسيني، زبدة التواريخ، ص 38؛ الراوندي، راحة الصدور، ص 104.

(6) اخو طغرل بك من امه وقد تمرد ضد طغرل بك سنة 448هـ/ 1057م فهاجمه طغرل بك وقتله بعد اسره. والاينالیون طائفة من التركمان تحالفوا مع السلاجقة وساهموا في قيام الدولة السلجوقية=

المتحالف مع الروم والذي وقع في اسر السلاجقة، وتوغلت جيوشهم في بلاد ارمينيا وسيطرت على مدينة ارزن[2] سنة 438هـ/ 1046م، وأشار الحسيني الى انتزاع الموصل من قريش بدران العقيلي على يد رجال الحملة السلجوقية[3].

وعندما دخل طغرل بك بغداد سنة 447هـ/ 1056م، اصطحب معه ابن عمه قتلمش وارسله سنة 448هـ/ 1057م الى أقليم الجزيرة لقتال البساسيري[4]، الذي ازدادت قوته بعد ان ارسل اليه الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (427-487هـ/ 1036-1094م) الاموال والخلع مع داعي الدعاة هبة الله الشيرازي[5].

انضم دبيس بن مزيد امير الحلة الى البساسيري، كما انضم الى حركته العرب والكرد وعدد كبير من رجال قريش بن بدران العقيلي امير الموصل. وبعد ان قام التركمان من رجال قتلمش بنهب اموال السكان، زاد انضمامهم الى البساسيري، مما ادى الى رجحان كفته. وحدثت المعركة في سنجار والحقت الهزيمة برجال قتلمش وقريش بن بدران (الذي كان قد انضم الى جانب السلاجقة) وقتل في المعركة عدد كبير من التركمان[6]، وسيطر البساسيري على الموصل بعد ان انضم اليه قريش بن بدران. اما

=ينظر: نيشابوي، سلجوقنامه، ص18؛ الراوندي، راحة الصدور، ص168.

(1) الابخاز احدى مقاطعات اذربيجان وما تزال تحمل نفس الاسم. ينظر:بارتولد، الابخاز في: دائرة المعارف الاسلامية، حـ1، ص23.

(2) مدينة في بلاد ارمينيا ينظر: ياقوت، معجم البلدان، حـ1، ص150.

(3) زبدة التواريخ، ص57.

(4) هو ابو الحارث ارسلان البساسيري القائد التركي الذي خرج عن طاعة الخليفة القائم قبيل دخول السلاجقة الى بغداد، وبعد دخول السلاجقة بغداد توجه نحو الجزيرة واعلن ولاءه للخليفة الفاطمي. ينظر: ابن العديم، بغية الطلب، حـ3، ورقة 382-394؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، حـ1، ص 192- 193؛ ناجي عبد الجبار، ثورة البساسيري في بغداد، 447-451هـ/ 1055-1059م، مجلة كلية الاداب في جامعة البصرة، العدد (5) 1971، ص42- 78.

(5) الشيرازي، سيرة المؤيد في الدين، ص 100 وما بعدها.

(6) المصدر نفسه، ص134 وينظر: ابن العمراني، الانباء في تاريخ الخلفاء: (لايدن:1973)، ص191.

قتلمش فقد هرب الى همدان واستنجد بالسلطان، فأنجده وسار معه السلطان الى سنجار وانتقم قتلمش من اهلها وقتل رجالهم وسبى نساءهم، بحجة تمثيلهم بالقتلى السلاجقة في معركة سنجار السابقة[1]، وظل على صلة وثيقة بطغرل بك، فقد رافقه عندما دخل بغداد للمرة الثانية سنة 449هـ/ 1058م[2]، مما يدل على انه كان لقتلمش مكانة لدى طغرل بك بسبب مساهمته في بسط السلطة السلجوقية على مناطق عديدة.

بعد ان استتب الامر لطغرل بك في بغداد بعد قضائه على حركة البساسيري سنة 450هـ/ 1058م[3]، ارسله السلطان الى ديار بكر وحدود الشام لاخضاع تلك المناطق للسلطة السلجوقية، وتشير بعض المصادر الى توغل قتلمش في بلاد الروم وسيطرته على عدة مدن، منها قونية واقصرا[4] ولكن كما يبدو فانه لم يستطع تثبيت الحكم السلجوقي فيها، بدليل ان السلطان عينه ملكاً على طبرستان ومازندران[5].

وبعد وفاة طغرل بك سنة 455هـ/ 1063م حاول الوزير عميد الملك الكندري[6] تنصيب سليمان بن داود سلطاناً بتوصية من طغرل بك، بعد وفاة اخيه داود ولكن الب ارسلان بن داود حاكم خراسان عارض تنصيب سليمان وأيده امراء كثيرون. وشد من ازره وزيره نظام الملك[7]. ادرك الوزير الكندري خطورة الوضع وخاف ان يزحف الب

---

(1) ابن الاثير، الكامل، حـ8/ 335؛ ابن العمراني الانباء في تاريخ الخلفاء، ص192؛ وللتفصيل ينظر: يوسف، سلاجقة الجزيرة والشام، ص44-45.

(2) ابن الاثير، الكامل، حـ8، ص335.

(3) نيشابوري، سلجوقنامه، ص21؛ اقسرائي، مسامرة الاخبار، ص15.

(4) المقريزي، اتعاظ الحنفا، حـ2، ص 270.

(5) نيشابوري، سلجوقنامه، ص21، اقسرائي، مسامرة الاخبار، ص15.

(6) اقبال، الوزارة في عهد السلاجقة، ص 66-67.

(7) ابو علي الحسن بن علي بن اسحق الطوسي ينظر: ترجمته في: ابن العديم، بغية الطلب، حـ5، ورقة 556-586؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، حـ2، ص128-131؛ اقبال، الوزارة في عهد السلاجقة، ص69-83.

ارسلان نحو الري ولهذا امر بقراءة الخطبة في الري باسم الب ارسلان[1]، على ان يكون سليمان ولي عهده. وشجع نظام الملك ألب ارسلان على التخلص من الوزير الكندري وهذا ما حدث، وحل نظام الملك محله[2].

وكان قتلمش في طبرستان يراقب الوضع، واعتقد بانه احق بالسلطنه من ابناء داود، ولان والده تولى زعامة السلاجقة بعد موت جدهم سلجوق ومات في السجن في سبيل قومه. خرج قتلمش على الب ارسلان بعد ان حشد عدداً كبيراً من الرجال واتجه نحو مدينة الري وكان اتباعه التركمان لا يتوانون عن نهب السكان[3].

دعا الب ارسلان قتلمش الى الطاعة وانكر عليه جمع الجيش والوقوف ضده وطلب منه ان يراعي صلة القرابة ويظهر انه كان متاكداً من الانتصار على الب ارسلان، بسبب كثرة رجاله. وفي المعركة التي جرت قرب مدينة الري قتل قتلمش وتفرق جيشه، بعد ان وقع عدد كبير منهم في الاسر[4].

ادت حركة ابراهيم اينال ضد طغرل بك وحركة قتلمش ضد الب ارسلان، الى بعثرة جهود السلاجقة وبالتالي لم يتمكنوا من السيطرة على جميع الاقاليم الاسلامية[5]. أن الطبيعة البدوية لقادتهم جعلتهم لا يدركون ضرورة الخضوع لسلطان واحد واتخاذه رمزاً لوحدتهم.

ويعد مقتل قتلمش اول تصدع في الاسرة السلجوقية الحاكمة، فقد اراد الب ارسلان الانتقام من اسرة قتلمش وهم بقتلهم جميعاً ولكن نظام الملك نهاه عن ذلك واقترح عليه تجريدهم من القابهم[6]، وبقوا في الري اسرى حتى مقتل الب ارسلان سنة

---

(1) الراوندي، راحة الصدور، 185.

(2) اقبال، الوزارة في عهد السلاجقة، ص68.

(3) ابن الاثير، الكامل، جـ 8، ص367- 368.

(4) الحسيني، زبدة التواريخ، ص79-81؛ اقسرائي، مسامرة الاخبار، ص16.

(5) Bosworth, Op. Cit., p. 12.

(6) نيشابوري، سلجوقنامه، ص22؛ المستوفي القزويني، تاريخ كزيدة، ص473؛ مشكوتي، ازسلاجقة تاصفويه، (تهران:1343ش)، ص55.

465هـ/ 1073م، حيث استغلوا فرصة اضطراب الوضع في الري وهربوا الى بلاد الاناضول[1].

وكان رسول تكين اخو قتلمش وابناؤه سليمان ومنصور وألب ايلك ودولت قد وقعوا في اسر الب ارسلان بعد معركة الري[2]. ويعد وصول سليمان بن قتلمش الى بلاد الاناضول اثر هروبه، من الاسر اول انقسام في البيت السلجوقي الحاكم وبداية لقيام سلطنة سلاجقة الروم سنة 470هـ/ 1077م.

ومن الجدير بالذكر ان قتلمش كان مهتماً بعلم التنجيم واوردت المصادر بأنه كان عالماً بالنجوم. وقد سار اولاده واحفاده من بعده على سنته، وقربوا اليهم المنجمين[3] ولذلك اتهموا بالخروج على مبادئ الدين الاسلامي أو انهم اقل التزاماً بالدين مقارنة ببقية امراء المسلمين الذين قربوا العلماء والفقهاء.

ثالثاً: توغل السلاجقة في بلاد الاناضول

توغلت القبائل التركية في آسيا الصغرى قبل السلاجقة بأمد طويل، وبحدود القرن 2هـ/ 8م، وسكنوا في منطقة ارضروم. وكان هؤلاء الترك ينتمون الى قبائل القالاج والقارلوق والقانغلي والقبجاله. وفي الوقت نفسه اجتاحت قبائل تركية اخرى براري اوراسيا ووصلوا منطقة البلقان وهم البجناك وبدأوا يثيرون المشاكل في الاقاليم الغربية للامبراطورية البيزنطية. وكان البجناك مقاتلين متمرسين ونظراً لحاجة الدولة اليهم، فقد قبل انخراطهم مرتزقة في الجيش البيزنطي[4].

واصبحت الاوضاع ملائمة اكثر خلال القرن 5هـ/ 11م، للتحرك نحو آسيا

(1) Cahen, Pre- Ottoman Turkey (London: 1968), p. 74.

(2) Ibid, p.74; Sevim, Op. Cit., p. 22.

(3) ابن الاثير، الكامل، جـ8، ص368. وينظر الذهبي، سير اعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد معروف واخرون، (بيروت:1990)، جـ18، ص113.

(4) Gordlevsky, Izbrannie Sochenenie, Istoricheskie Raboti, (Moskva 1960); Tom I P.48-49 Baldwin, "History of the Crusades, (Newyork:1958). Vol. I, P. 135 ff.

الصغرى[1]، بسبب ضعف الجيش البيزنطي ودفاعاته، فقد كان الجيش البيزنطي يعاني من كثرة التمردات الداخلية وأدى نشره في معسكرات ثابتة خاصة، الى بعثرة جهده العسكري، كما ان سيطرة الدولة البيزنطية على ارمينيا وربطها بأدارة الامبراطورية المباشرة، جعل الارمن يسأمون الحكم البيزنطي المباشر وفقدوا الحماس للدفاع عنه، ولهذا اصبح الامر سهلاً امام مجموعات التركمان لاجتياح حدود الامبراطورية البيزنطية[2].

وشهد النصف الاول من القرن 5هـ/ 11م تدهور الوضع السياسي للامبراطورية البيزنطية وعدم استقرار العرش. فقد تولى قيادة بيزنطة بين (416-460هـ/ 1025-1067م) عشرة اباطرة بضمنهم امرأتان[3].

وبعد ان احكم السلاجقة سيطرتهم على بلاد ايران، اتجهوا نحو ارمينيا وبلاد الاناضول. ففي سنة 440هـ/ 1048م قاد قتلمش بن أرسلان، حملة عسكرية توغلت في شرق الاناضول حتى وصلت اطراف دياربكر، فصدها نصر الدولة المرواني، واثناء تقهقره، مر قتلمش بمناطق ارمينيا وشق طريقه بالقوة. وبعد رجوعه شرح لطغرل بك كثرة خيرات بلاد الروم، ولهذا صمم السلطان الاستمرار في شن الغارات على البيزنطيين[4]. ومن جهة اخرى هزم جيش تركماني اخر كان يتألف من (20) الف رجل بقيادة حسن الاطرش في ارمينيا على يد حاكم مدينة آني عاصمة ارمينيا[5].

اراد السلاجقة من خلال تلك الهجمات اختبار دفاعات البيزنطيين ومعرفة طبيعة

(1) Sounders, A History of Medieval Islam, (London:1969). Pp.141-169.

(2) Shaw, History of The Ottoman Empire and Modern Turkey, (Cambridge: 1979), Vol -I, P. 6.

(3) Anna Comnena, The Alexiad, (Newyork: 1969), p.520.

(4) Finlay, History of the Byzantine Empire, (London: 1935), p.407-408;

وينظر: رشيد الجميلي، الصراع بين السلاجقة والبيزنطيين، مجلة الاستاذ -كلية التربية- جامعة بغداد، العدد 1، (1977-1987) ص202.

(5) Finlay, Op. Cit., p 408.

بلاد الاناضول والحصول على الغنائم وكسب تأييد الامراء المسلمين في اذربيجان والجزيرة، ولهذا اتخذت حروبهم طابع الاغارة ولم يكن هدفها السيطرة على بلاد الاناضول او الاحتفاظ بالارض هناك.

وقاد ابراهيم اينال هجوماً سلجوقيا ضخما ضد الدولة البيزنطية سنة 442هـ/ 1050م، توغل الجيش السلجوقي في بلاد الروم حتى وصل مدينة ارزن، واستولى على المدينة ثم رجعت الحملة مثقلة بالغنائم والاسرى[1].

وكانت الحرب ضد الدولة البيزنطية تعد جهاداً لانها تشن ضد اعداء الاسلام، لذلك اطلق لقب غازي (مجاهد) على من يشترك فيها، واصبح الجهاد دافعاً قوياً للتركمان للاشتراك في تلك الحملات، فضلاً عن الحصول على الغنائم والمكاسب المادية[2].

وفي سنة 446هـ/ 1054م توغل طغرل بك في منطقة بحيرة وان والحق الهزيمة بالارمن وتقدم حتى وصل الى مدينة ملازطرد وحاصرها ثم عاد الى الري[3]. اعقبه قتلمش سنة (447هـ/ 1055م). في الاغارة على مناطق شرق الاناضول مرة اخرى، وسقطت مدن قارص وملاطية بيد التركمان سنة 450هـ/ 1058م، ثم ترك طغرل بك العمليات العسكرية في جبهة الاناضول لقائده ياقوتي وتفرغ لشؤون السلطنة[4].

وعلى الرغم من ان تلك الغارات كانت متقطعة، فانها اربكت الدفاعات البيزنطية، لانها كانت منظمة مع دقة اختيار الهدف وكيفية الوصول اليه ومحاولة الحاق اكبر الخسائر بالعدو وتدمير قواته، يتم بعدها جمع الغنائم والاسلاب ثم الانسحاب السريع المنظم[5].

---

(1) Ibid, p.400.

(2) Teachner, The Turks and the Byzantine Empire, (C. Med. H), Vol.4, PP.737-739.

(3) Finlay, Op. Cit., p.44.

(4) Bosworth, Op. Cit., p. 44;

وينظر: يونغ، العرب واوربا، ترجمة ميشيل ازرق، (بيروت:1979)، ص147.

(5) رايس، السلاجقة، ص33.

ازداد اندفاع التركمان الى داخل بلاد الاناضول في عهد السلطان الب ارسلان، فبعد ان استتبت الامور له في المشرق، بدأ بمهاجمة ارمينيا واستولى على عاصمتها آني سنة 457هـ/ 1064م، كما توغل في بلاد الكرج، فاضطر ملكهم الى طلب الصلح وزوج ابنته للسلطان. واستمر تقدم السلاجقة في بلاد الاناضول حتى وصلوا الى اقليم كبدوكيا وكيليكيا واستولوا على مدينة قيسارية ومدينة ملاطية سنة 460هـ/ 1068م[1]. وتوغل القائد التركماني الافشين في الاراضي الخاضعة للبيزنطيين حتى وصل الى ساحل بحر مرمرة[2].

وبهذا التقدم بات السلاجقة يتحكمون في الممرات وطرق المواصلات التي تفصل بين بلاد الروم وبلاد الشام[3]. ويعلق الباحث استروطورسكي (Ostrogorsky) على الموقف، فيذكر بأن البيزنطيين وقفوا مكتوفي الايدي ازاء هجمات السلاجقة[4].

ومن الملاحظ ان حملات الب ارسلان اتسمت بالجدية، لان الهدف منها كان الاستيلاء عل بلاد الاناضول والاحتفاظ بها، لذا بدأ التركمان يتدفقون الى المناطق المفتوحة ويستقرون فيها بمرور الوقت. وشجع السلطان تلك الهجرة، للتخلص من العناصر التركمانية المشاغبة من جهة واستخدامهم للتوسع على حساب الدولة البيزنطية

(1) ابن الاثير، الكامل، حـ8، ص368-370، وينظر:

Gordlevsky, Op. Cit., p. 48;

ايليسيف، الشرق الاسلامي في العصر الوسيط، ترجمة منصور ابو الحسن، (بيروت:1986)، ص352؛ اسد رستم، الروم وصلاتهم بالعرب، (بيروت:1956)، حـ2، ص109-110؛ محمد سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، (بيروت:1981) ص242؛ نبيه عاقل، الامبراطورية البيزنطية (دمشق:1970) ص254.

(2) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص109 وينظر:

Kuran, Turkiyenin Batilila Smasi UE Milli Mesleelr, (Ankara 1994), p.66; Sevim, Unlusel, Guklu komutanlari, (Ankara: 1990), p.18 ff.

(3) Cahen, op. Cit., p. 70.

(4) Ostrogorsky, History of the Byzantine State, (Oxford:1968), p.343.

من جهة اخرى، لان التركمان كانوا يهددون مؤسسات الدولة باستمرار(1)، فضلاً عن دافع الجهاد الذي يعد السبب الاساسي لذلك الاندفاع.

ادت هجمات السلاجقة على ارمينيا الى هجرة الارمن نحو الغرب وعبروا الفرات، متجهين نحو كيليكيا ونجحوا في تأسيس امارات ارمنية هنالك، واصبح لهم دور سياسي في الاحداث التي جرت في شمال بلاد الشام وسيأتي الحديث عنها خلال الدراسة.

ساعد تولي قسطنطين العاشر (451-460هـ/ 1059-1067م)، عرش بيزنطة، التركمان على التوغل في بلاد الاناضول، لانه اهمل الشؤون العسكرية وتقرب من الارستقراطية الحاكمة في العاصمة واولى الجانب الاقتصادي الاولوية، فأظهر حرصه على رعاية مصالح التجار ورجال الصيرفة. وقد ادت سياسته الى احتدام الصراع بين قادة الجيش والنبلاء واصحاب الاراضي في آسيا الصغرى من جهة اخرى والحكومة المركزية البيروقراطية من جهة اخرى(2). وسبب وقوف النبلاء الى جانب الجيش يعود الى تعرض ممتلكاتهم لهجمات التركمان وخوفهم من فقدانها نهائياً ولهذا كانت تقوية الجيش والدفاع عن اقاليم آسيا الصغرى الوسطى في مصلحتهم.

ادى وفاة الامبراطور البيزنطي قسطنطين العاشر سنة 460هـ/ 1067م الى تغيير الوضع، بعد ان تولت ارملته ايودوكيا (Eudocia) السلطة واصبحت وصية على ابنيها الصغيرين ميشيل وقسطنطين. وفي الحقيقة اصبحت السلطة بيد باسيلوس والقيصرجون دوكاس اخو الامبراطور السابق. تزوجت ايوديكا من القائد العسكري رومانوس ديوجين، بضغط من العسكريين، واعترف به امبراطوراً (461-463هـ/ 1068-1071م). وكان رومانوس عسكريا متمرساً وشجاعاً، لذا قرر مواجهة السلاجقة

(1) Turan, Anatolia in the Period of the Seljuks and the Beylikes, (C. H. Is), (Cambridge1970), Vol. 1, p.232.

(2) Runciman, A History of the Crusades, (London:1951) Vol 1, p 73; Vasiliev, History of the Byzantine Empire, (Madison:1958), Vol 1, p 351-352;
وينظر: عبد القادر احمد اليوسف، الامبراطورية البيزنطية (بيروت:1966)، ص140.

وطردهم من آسيا الصغرى[1].

والمشكلة التي واجهها رومانوس هي عدم تجانس جيشه الذي ضم عناصر يونانية وفرنجية ونورماندية وتركية وارمنية وكان خلق الانسجام بين هذه العناصر يتطلب الكثير من الوقت. وعلى الرغم من ذلك فإنه قاد اربع حملات ضد السلاجقة وحققت حملاته الثلاثة الاولى بعض النجاحات[2].

أنشغل السلاجقة خلال تلك الفترة بتثبيت سيطرتهم على بلاد الشام بغية انهاء النفوذ الفاطمي فيها[3]، وارسل الب ارسلان القائد أتسز لتنفيذ تلك المهمة، ورأى رومانوس أن الفرصة مواتية له لمجابهة السلاجقة، فهاجم آسيا الصغرى مما ادى الى تراجع الترك، وتقدم جنوباً وأغار على الثغور الشامية وأحتل منبج بين (460-462هـ/ 1068-1070م) وبات يشكل تهديداً مباشراً على السلاجقة في بلاد الشام. وتحرك بسبب ذلك ألب ارسلان الى الشام ودخل مدينة حلب في مطلع سنة 463هـ/ 1071م[4]، ولكنه لم يبق طويلاً عندما وصلت اليه الانباء بأن امبراطور الروم قد خرج من القسطنطينية على راس جيش ضخم لمهاجمة السلاجقة في ارمينيا واذربيجان، لذا اسرع السلطان بالتراجع نحو الشرق، وتجنب خلال انسحابه الاصطدام مع الجيش البيزنطي، اذ وصل الى ملازطرد صيف سنة 463هـ/ 1071م[5].

(1) Ostrogorsky, Op. Cit. p 344; Vasiliev, Op. Cit., Vol. 1, p 352-53.

(2) Ostrogorsky, Op. Cit, p. 344.

(3) محمد جمال الدين سرور، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق، (القاهرة:1964)، ص60-61.

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، (لندن:1908)، ص98.

(5) زكار، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية، ص118 وما بعدها؛ يوسف، السلاجقة، ص50-51.

معركة ملازطرد (مانزطرد Manzgert) 463هـ/1071م

وقعت تلك المعركة التي تعد من المعارك الفاصلة في التاريخ، قرب بلدة ملازطرد الى الشمال من بحيرة وان يوم الجمعة (17) ذي القعدة سنة 463 الموافق (26) آب سنة 1071م. ووردت تفاصيل عنها في المصادر الاسلامية والبيزنطية، وتكاد تكون رواية الطرفين متشابهة، حيث تتفق روايات الجانبين على ان السلاجقة احرزوا نصراً حاسماً على البيزنطيين، وادل ما في الامر على نصرهم، وقوع الامبراطور رومانوس في الاسر[1].

شجعت النجاحات العسكرية التي حققها رومانوس، خلال حملاته الثلاثة الاولى ضد التركمان، في اتخاذ قرار يستهدف طرد السلاجقة من آسيا الصغرى نهائياً، ومن اجل تحقيق ذلك الهدف حشد جيشاً ضخماً، ضم في صفوفه النورمان والفرنج والمكدونيين والبلغار والبجناك واليونان والارمن والكرج[2]، مع عدد كبير من العربات الحربية والفرسان وآلات الحصار، وقدرت المصادر الاسلامية ذلك الجيش بأكثر من 200 ألف مقاتل، اما المصادر البيزنطية فقدرت جيش رومانوس باكثر من (60) الف مقاتل[3]، وهو تقدير اقرب للحقيقة كما سيتضح عند تحليل روايات الطرفين.

وفي الوقت نفسه لم تقدر المصادر الاسلامية قوة السلطان الب ارسلان بشكل

---

(1) البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص40-44؛
Ostrogorsky, Op. Cit., p. 34; Vasiliev, Op. Cit., Vol.1. P 353.

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، على هامش كتاب ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص10؛ ابن الجوزي المنتظم، حـ8، ص260؛ ابن الاثير، الكامل، حـ8، ص388؛ البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص40؛ ابن كثير، البداية والنهاية، (بيروت:1977)، حـ12، ص100-101؛ الحنبلي، شذرات الذهب، حـ3، ص311؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، (تهران: 1339ش)، حـ4، ص264.

(3) Oman, Op. Cit., p 219.

دقيق، فأورد سبط ابن الجوزي بان السلطان كان في اربعة الاف من غلمانه[1]، اما ابن الاثير فقدر جيش الب ارسلان بـ(15) الف فارس[2] وقدره ابن الجوزي بـ(20) الف مقاتل[3]، وقدر ابن القلانسي[4] جيش الروم بـ(60) الف وجيش الب ارسلان بـ(400) الف وهو تقدير مبالغ فيه كثيراً. ويعد تقدير ابن الجوزي معقولاً. وبعد انضمام عشرة الاف من الكرد الى جيش السلطان حسب رواية سبط ابن الجوزي[5] قارب جيش السلطان نصف جيش الامبراطور البيزنطي.

ويظهر ان المصادر الاسلامية تأثرت بالرواية الرسمية للسلطان، فبالغت في تضخيم الجيش البيزنطي وتحجيم جيش الب ارسلان، لتحيط السلطان ورجاله بهالة من الشجاعة والاقدام، ومع ذلك فأن السبب الاساسي لانتصار السلطان في ملازطرد هو رفع شعار الجهاد وهو ما اكدت عليه تلك المصادر.

بعد ان اكمل رومانوس استعداداته تقدم نحو مدينة اخلاط صيف سنة 463هـ/ 1071م. وتشير المصادر الاسلامية بأن السلطان بعث برسالة الى رومانوس مقترحاً عليه عقد الهدنة بين الطرفين وكلف الرسل في الوقت نفسه بالتعرف على قوة العدو وطبيعة اسلحته وتشكيلاته. وقد رفض الامبراطور مقترحات السلطان[6]، لاعتقاده بضعف موقف السلطان، كما أنه لم يكن يثق بوعود السلاطين السلاجقة بسبب عدم سيطرتهم على اتباعهم التركمان[7]، ومن انضم اليهم من المجاهدين من الاقوام الاخرى بما فيهم الكرد.

واورد النيشابوري اسماء الامراء التركمان الذين كانوا مع الب ارسلان في معركة

---

(1) مرآة الزمان على هامش كتاب ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص100.

(2) الكامل، حـ8، ص388.

(3) المنتظم، حـ8، ص261.

(4) ذيل تاريخ دمشق، ص99.

(5) مرآة الزمان على هامش كتاب ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص102.

(6) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص102؛ الفارقي، تاريخ الفارقي، ص189.

(7) Vasiliev, Op. Cit., Vol.1, p. 356; Ostrogorsky, Op. Cit., p. 344.

ملازطرد وهم: ارتق وسليق ومنكوجك ودانشمند وضاولي وضالدوز وقدر عدد فرسانه بـ(15) الف فارس مع خمسة الاف رجل، لكن كثرة الامراء في جيشه توحي بأن السلطان كان في جمع اكبر، لانه كان لكل امير من اولئك الامراء التركمان أتباعه، ومع ذلك فإن الجيش البيزنطي كان ضعفي جيش السلطان او اكثر حيث وصف النيشابوري ذلك الجيش بالجراد المنشور وبانه بعدد النمل وذرات الرمل[1].

ويمكن ان نعلل انتصار الب ارسلان على رومانوس واسره في معركة ملازطرد الى:

أولاً: جمع السلطان معلومات دقيقة عن جيش رومانوس وطبيعة تشكيلاته ونقاط القوة والضعف فيه.

ثانياً: أختار السلطان زمان ومكان المعركة، فقد انسحب امام الجيش البيزنطي وعندما وصل البيزنطيون الى ملازطرد راى السلطان بانه في وضع يستطيع صد ذلك الجيش.

ثالثاً: استماتة التركمان والكرد في القتال وتطبيقهم اساليب قتالية ناجحة وهو الالتحام مع العدو والتظاهر بالتقهقر أمامه لسحب العدو الى مناطق وعرة حيث تنقض عليهم الكمائن.

رابعاً: اشتراك السلطان بنفسه في القتال وهجومه على قلب جيش العدو، فزاد حماس المسلمين واندفعوا وراء سلطانهم في جهاد قل نظيره[2].

أما المصادر البيزنطية فتبرر هزيمة البيزنطيين في ملازكرد برفض البجناك الاشتراك في المعركة وتشير الى أنهم انسحبوا من جيش رومانوس وانضموا الى جانب السلاجقة[3]، واوردت بان الجيش اخطأ فهم ايعاز الامبراطور بأنسحاب جزئي، مما ادى الى ارباك صفوف الجيش وانسحابه بشكل غير منظم، وبأن المعركة جرت في ارض

(1) سلجوقنامه، ص25-26.

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان على هامش كتاب ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص100-105

(3) Vasiliev, Op. Cit., Vol.1, p. 356.

مكشوفة فأصبح فرسان الروم صيداً سهلاً امام رماة السهام الترك الماهرين[1].

فرض السلطان شروطه على الامبراطور الاسير مع فدية مالية كبيرة ثم اطلق سراحه. وبموجب تلك الشروط اصبح الامبراطور البيزنطي تابعاً للسلطان، اذ كان عليه ان يمده بالرجال عند الطلب[2].

واتهم البيزنطيون الامبراطور رومانوس بالخيانة وعزلوه من منصبه وعينوا ميشيل السابع امبراطوراً (464-471هـ/ 1071-1078م)، وعندما عاد رومانوس منع من دخول القسطنطينية والحقت به الهزيمة وتم ألقاء القبض عليه وسملوا عينيه ومات سنة 464هـ/ 1072م، واصبحت الدولة في حل مما تم الاتفاق عليه مع الب ارسلان[3].

ووصف ظاسيليف Vasiliev معركة ملازطرد بأنها كانت كارثة، لانها تمثل موتاً بطيئاً للسيادة البيزنطية في آسيا الصغرى، التي كانت تعد الجزء الاساسي للامبراطورية البيزنطية[4]. وبالغ احد الكتاب البيزنطيين حينما ذكر بأن جميع المناطق البيزنطية في آسيا الصغرى اصبحت بيد الترك بعد تلك المعركة. ووصفها مؤرخ آخر بأنها ساعات موت الامبراطورية البيزنطية العظيمة[5].

كان من نتائج معركة ملازطرد، زيادة هجرة التركمان الى عمق آسيا الصغرى وأستقرارهم. وساعدهم على ذلك الانشقاق الذي حصل في صفوف البيزنطيين في اعقاب معركة ملازطرد حيث بدأ سكانها اليونانيون بترك اراضيهم، والتوجه نحو الغرب، فاصبحت مناطق عديدة خالية من السكان. ونظراً لكون التركمان شعباً بدائياً رعوياً، لم يهتموا بالزراعة؛ فتحولت مناطق زراعية عديدة داخل آسيا الصغرى الى مناطق

---

(1) Oman, Op. Cit., p. 221

(2) نيشابوري، سلجوقنامه، ص27؛ Ostrogorsky, p. 344;

وللتفصيل عن معركة ملازطرد ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، جـ8، ص260-265؛ عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص245- 249.

(3) Ostrogorsky, Op. Cit., p 346; رستم، الروم،جـ2، ص112

(4) Vasiliev, Op. Cit., Vol. 1, p 356.

(5) Ibid, Vol.1 , p. 357; Oman, The Art of War in the Middle Ages, (Newyork:1953), p.54.

جرداء، وأدى ذلك الى حرمان الامبراطورية البيزنطية من مصدر مهم للحبوب، ولم يعد بأمكانهم تجنيد سكان آسيا الصغرى في جيشهم[1]، فزاد ذلك من ضعفها.

بعد سيطرة السلاجقة على وسط بلاد الاناضول وجنوبها وشمال الجزيرة، قامت في تلك المناطق امارات تركمانية من قبل قادة السلاجقة، على النحو الآتي:

أولاً: الامير أرتق بن اكسك[2] سيطر على مدينة ماردين (مصردين) ومد نفوذه بعد ذلك الى آمد وميافارقين.

ثانياً: الامير محمد بن الدانشمند سيطر على مدن قيسارية وسيواس وتوقات ونيكسار في اقليم كبدوكيا[3].

ثالثاً: الامير ضاولي سقاو سيطر على مرعش[4].

رابعاً: الامير مكنوجك سيطر على ارزنجان[5].

وعلى الرغم من سيطرة السلاجقة على آسيا الصغرى منذ سنة 463هـ/ 1071م إلا انهم تأخروا في اعلان دولتهم حتى سنة 470هـ/ 1077م. واورد كلودكاهين ان سبب ذلك التأخر يرجع الى عجز التركمان آنئذٍ عن تنظيمها وميلهم الى الغزو[6].

رابعاً: سليمان بن قتلمش وتأسيس دولة سلاجقة الروم

يحتل سليمان شاه[7] (470-479هـ/ 1077-1086م) مكانة بارزة في تاريخ بلاد

(1) رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ترجمة، عبد العزيز توفيق حمادة، (القاهرة:1961)، ص52.

(2) Sevim, Op. Cit., p. 40.

(3) Cahen, Pre- Ottoman Turkey, p. 91 ff.

(4) رشيد الجميلي، الامير جاولي سقاوه، مجلة المؤرخ العربي، العدد 3، 1975، ص208-222.

(5) Cahen, Op. Cit., p. 90 .

(6) تاريخ الشعوب الاسلامية، حـ1، ص350.

(7) اشارت معظم المصادر الى حياة سليمان باختصار ولم ترد شيئاً عن حياته الشخصية بل ركزت على نشاطه العسكري. ينظر: ابن قاضي شهبة، الاعلام بتاريخ أهل الاسلام، مخطوط، مصورة المجمع العلمي العراقي (رقم 9)، المجلد 3، القسم الاول، ورقة56؛ المستوفي القزويني، تاريخ كزيدة، ص474؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، حـ2، ص340؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء،=

الاناضول باعتباره مؤسس سلطنة السلاجقة في بلاد الروم التي تعد اقدم دولة اسلامية تركية تأسست في آسيا الصغرى وأدى تاسيسها الى تغيير الواقع التاريخي وحتى الجغرافي للمنطقة؛ لان بلاد الاناضول لم تكن تركية وبأعتراف الباحثين الترك انفسهم[(1)] ولكنها تتركت بالتدريج، بعد استقرار التركمان فيها. شجع سليمان هجرة التركمان الى الاناضول، مما أدى الى زيادة نسبتهم وبدأوا يشكلون اغلبية السكان خلال فترة قصيرة. وتم تتريك اسماء الجبال والسهول والانهار والمدن والقرى ونشروا في البلاد تراثهم الرعوي، كما استمروا في شن الغارات على المناطق المدنية البيزطية للسيطرة على تلك المناطق ونشر الاسلام فيها على شكل حركة جهاد مستمرة.

ووصل الترك بقيادة سليمان الى جزر بحر ايجه وسواحل البحر الاسود وأرسى قواعد دولة دام حكمها أكثر من قرنين (470-708هـ/ 1077-1308م) وهذا ما دفع الباحثين الترك في العصر الحديث الى الاشادة بسليمان وربطه بتراث تركيا القومي[(2)]. واجمعت المصادر على نجاحه في القيام بكثير من المهام السياسية والعسكرية التي ارست قواعد دولة اسلامية في اسيا الصغرى كما سيتضح اثناء عرض اعماله.

أ. دخوله الى بلاد الاناضول:

تشير المصادر الاسلامية الى ان السلطان الب ارسلان ابعد سليمان وأخوته عن مركز السلطنة الى مناطق الثغور على حدود بلاد الروم بعد وقوعهم في اسره بعد معركة الري سنة 456هـ/ 1064م. وعندما تولى ملكشاه (465-485هـ/ 1073-1092م) منصب السلطان، عين سليمان بن قتلمش قائداً في جبهة الاناضول، وأناط به مهمة قيادة التركمان ضد الدولة البيزنطية[(3)].

=حـ18،ص449؛ رزق الله منقريوس الصدفي، تاريخ دول الاسلام (القاهرة:1907)،حـ2،ص112-113؛ تسترشين، سليمان بن قتلمش في:دائرة المعارف الاسلامية، حـ12، ص174-76.

(1) Sevim, Kutlamış Oğlu, Op. Cit., p. 22.

(2) Sevim, Kutlamiş Oğlu, op. Cit, P.42.

(3) نيشابوري، سلجوقنامه، ص28؛ اقسرائي، مسامرة الاخبار ومسايرة الاخيار، ص18؛ خواندمير، حبيب السير، ص493؛ المستوفي القزويني، تاريخ كزيدة، ص473. ميرخواند، تاريخ روضة الصفا،

وتعكس تلك المصادر وجهة النظر الرسمية لسلطنة السلاجقة في ايران، لتظهر السلطان السلجوقي بمظهر المسيطر على جبهة الاناضول، لان تلك الجبهة تعد صورة للجهاد المستمر ضد البيزنطيين، وبأن ما انجزه سليمان في تلك الجبهة من انتصارات وإقامة دولة ثم مد نفوذه حتى سواحل بحر مرمرة، كان بفضل السلطان. واخذ عدد من الباحثين المحدثين بذلك الرأي دون تحليل[1].

وفطن قسم من الباحثين استناداً الى أدلة تاريخية بأن ملكشاه لم يعين سليمان بن قتلمش قائداً في الاناضول، لانه بقي مع أخوته وعمه رسول تكين في اسر السلطان الب ارسلان حتى وفاته، عند ذلك استغلوا حالة الاضطراب التي سادت الري بعد مقتل الب ارسلان وهربوا الى بلاد الاناضول، حيث التف حولهم التركمان باعتبارهم من اسرة السلاطين، فتولوا قيادتهم في غزو اراضي الدولة البيزنطية[2].

وكان الب ارسلان قد عين ارتق قائداً في جبهة الاناضول الذي انتصر على جيش بيزنطي سنة 464هـ/ 1072م ووصل في فتوحاته غرباً حتى خليج نيقية، إلا ان ارتق استدعي الى الري بعد مقتل الب ارسلان، لمساعدة ملكشاه في تثبيت سلطته. ولم يكن للتركمان قائد محنك يقودهم للجهاد بعد رحيل أرتق ولهذا التفوا حول سليمان بعد وصوله الى الاناضول. وكان هؤلاء التركمان ينتمون الى قبيلة يبغولو Yabgulu التي ثارت ضد طغرل بك والب ارسلان ثم دخلت الاناضول[3].

واورد جيبون (Gibbion) بأنه كان لقتلمش خمسة ابناء طموحين وكانوا تواقين للأخذ بثأر أبيهم الذي قتل في معركة الري سنة 456هـ/ 1064م. وبعد موت الب

حـ4، ص281.

(1) سعيد عبد الفتاح عاشور، اوربا العصور الوسطى، (القاهرة:1972)، ص434؛ سيديو، تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر (حلب:1969)، ص221؛

Vasiliev, Op. Cit., Vol.1, p 359; Teachner, The Turks and The Byzantine Empire to the End of the Thirteenth Century, (C.Med.H), Vol. 4, p. 740.

(2) Cahen, Op. Cit., p.73-74; Turan, Op. Cit., p 234; Sevim, Op. Cit., p 22.

(3) Turan, Op. Cit,. p. 234.

ارسلان انضم التركمان الى جانبهم واستلوا سيوفهم بوجه ملكشاه، فتدخل الخليفة في ذلك النزاع وحثهم على الجهاد بدلاً من اراقة دماء اخوتهم. استجاب سليمان لنداء الخليفة وتصالح مع ملكشاه وبادر السلطان بتعيينه قائداً في جبهة الاناضول واعطاه حرية غزو اراضي الدولة البيزنطية، فتولى تلك المهمة وعبر مع أخوته الاربعة الى بلاد الاناضول واستقر في معسكر قرب كوتاهية[1].

ولم تشر المصادر الاسلامية الى تلك الاحداث ولا تؤيدها الادلة التاريخية او الاحداث اللاحقة بل على العكس تماماً، اشارت الاحداث اللاحقة الى قوة السلطان ملكشاه وأنه لم يكن بأمكان امير مثل سليمان الوقوف بوجهه وانه وأخوته كانوا في منطقة جبال طوروس واستقروا في مدينة الرها بين (364-468هـ/ 1072-1075م)، وبدأوا التدخل في بلاد الشام ضد القائد التركماني اتسز الذي ارسله ملكشاه لاخضاع الشام. وارسل القائد التركماني صوقلو (Soqlu) رسالة الى الب ايلك بن قتلمش دعاه فيها المجيء الى بلاد الشام ووعد بأنه سينضم اليه وبأنهم سيحصلون على الدعم والاسناد من الدولة الفاطمية لتأسيس أمارة خاصة به في سورية وفلسطين بعد طرد أتسز منها وذكر له بأن الناس سيطيعونه باعتباره من امراء البيت السلطاني. لبى الب ايلك تلك الدعوة وذهب بصحبة اخيه دولت وابن عمه ابن رسول تكين الى فلسطين وانضموا الى الامير صوقلو وتحالفوا مع الفاطميين ضد اتسز[2].

ان انحياز امراء السلاجقة الى جانب الفاطميين عمق الخلاف القائم بين ابناء قتلمش والسلطان ملكشاه، لانهم انضموا الى الجبهة المضادة للسطان وهذا يفند الرواية القائلة بأن ملكشاه عين سليمان بن قتلمش قائداً في الاناضول.

هاجم اتسز الامير صوقلو في منطقة طبرية سنة (467هـ/ 1074م) وقتله واسر

(1) Gibbon, The History of the Decline and Fall of Roman Empire (London:1903), vol. 7, p.163.

(2) Sevim, Op. Cit., p 24; Cahen, Op. Cit., p 74;

ايليسيف، الشرق الاسلامي في العصر الحديث، ص363؛ Sevim, Unlu Selcuklu komutanlari, p 37.

ابناء قتلمش وارسل رسالة الى ملكشاه شرح له الوضع. وعندما علم سليمان بما حل بأخوته، هرع نحو سورية وحاصر مدينة حلب ثم رفع الحصار عن المدينة مقابل بعض المال. توجه سليمان بعد ذلك جنوباً وارسل الى اتسز طالباً منه تسليم اخوته وابن عمه إليه، فرفض استز طلبه[1].

ويمكن الاستنتاج بأن سليمان هو الذي ارسل أخوته وابن عمه الى الشام وأقام تحالفاً مع الفاطميين بوساطة القائد التركماني صوقلو بغية السيطرة على بلاد الشام وأقامة امارات فيها، يحكمها أمراء من آل قتلمش. ولم يكن سليمان يملك القوة الكافية للسيطرة على بلاد الشام، فتراجع نحو آسيا الصغرى وحاصر في طريق عودته مدينة انطاكية، ثم رفع الحصار عنها مقابل الحصول على (20) الف قطعة ذهبية، توجه بعد ذلك نحو حلب مرة اخرى وهاجم قوة عسكرية مؤلفة من ثلاثة الاف فارس ارسلها ملكشاه لمعاونة اتسز وشتت تلك القوة[2].

ب. تأسيس الدولة:

استفاد سليمان وأخوه منصور من النزاع بين المتنافسين على العرش البيزنطي، فبدأوا بالاستيلاء على القلاع والمدن البيزنطية في الاناضول بالتدريج ومد سليمان نفوذه حتى سواحل بحر مرمرة، ثم استولى على مدينة نيقية (ازنيك) واتخذها مركزاً لحكمه سنة 470هـ/ 1077م[3].

اتبع سليمان سياسة مرنة مع الامبراطور البيزنطي والقادة البيزنطيين الذين تمردوا عليه ولم يتوان عن تقديم المساعدة لهم، كلا على انفراد طالما يساعده ذلك على بسط سيطرة على ارض جديدة في آسيا الصغرى.

فاستجاب سليمان لدعوة الامبراطور ميخائيل السابع سنة 465هـ/ 1073م،

(1) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، نقلاً عن سهيل زكار، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية، ص158؛ Sevim, kutalmis oglu, p 25.

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، نقلا عن سهيل زكار، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية، ص 158، Bosworth, Op. Cit., p 96.

(3) Anna comnena, Op. Cit., p 12.

عندما طلب منه التدخل ضد القائد البيزنطي المتمرد رسلباليل الذي اعلن استقلاله في مناطق قونية وأنقرة. توجه سليمان بجيشه نحو الغرب ولاحق جموع القائد النورماندي، فوقع رسلباليل في الاسر وافتدى نفسه بالمال وقام مرة اخرى بجمع العصابات وشن الهجمات ضد الترك والروم في منطقة سيواس، فاستعان الامبراطور البيزنطي بالقائد التركماني طوطاغ، واستفاد طوطاغ مثل سليمان من ذلك التعاون وساعده ذلك على الاستقرار مع اتباعه في اقليم كبدوكيا[1].

ادى التعاون بين سليمان وميخائيل السابع الى زيادة نفوذه وساعد ذلك في بسط سيطرته على مناطق جديدة وتقدم باتجاه الساحل ولهذا يمكن ان تعد الفترة بين (465-470هـ/ 1073-1077م) بداية لقيام سلطنة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى. وادرك الامبراطور ميخائيل السابع بأنه لا يستطيع مواجهة الترك بمفرده، وأن ذلك فوق طاقته، بسبب فقدانه السيطرة على الاقاليم الشرقية والغربية من الامبراطورية. ومن اجل مواجهة خطر السلاجقة، اجرى اتصالات مع البابا جريجوري السابع (465-487هـ/ 1073-1058م) وكتب إليه يطلب منه المعونة ضد الترك ووعده بأعادة العلاقات بين الكنيسة الارثودكسية والبابوية، فرحب البابا بالفكرة، ولكنه عندما دعا امراء اوربا لنجدة الامبراطورية البيزنطية لم يستجيبوا لدعوته وتأخر ذلك المشروع حتى سنة 489هـ/ 1096م[2].

وفي سنة 470هـ/ 1077م طلب القائد البيزنطي في آسيا الصغرى نسيفورس (نقفور) بوتانياتس مساعدة عسكرية من سليمان واتفق معه بانه سيمنحه مقابل ذلك نصف المناطق التي سيتم الاستيلاء عليها. رحب سليمان بذلك المقترح وأرسل رجاله لمعاونة القائد البيزنطي المتمرد واستولى على عدة مدن في غرب الاناضول دون إراقة

---

(1) Anna comnena, Op. Cit, pp 32-37; رستم، الروم، حـ2، ص113.

(2) Erdam, The Origin of the Idea of Crusade, (Newjersy:1977), p.161-164;

اسحاق تاوضروس عبيد، روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين، (القاهرة:1970)، ص 49.

دماء، كان من اهمها مدينة نيقية التي اصبحت عاصمة للدولة الجديدة[1]. اما نسيفورس فقد استولى على القسطنطينية بمساعدة رجال سليمان واصبح امبراطوراً باسم نقفور الثالث (471-474هـ/ 1078-1081م)[2].

وتمرد القائد البيزنطي نسيفورس ميليسينوس ضد الامبراطور الجديد في البلقان وطلب المساعدة العسكرية من سليمان، فوافق سليمان شريطة ان يتقاسم معه المناطق والمدن التي سيتم الاستيلاء عليها. وارسل الامبراطور نقفور الثالث القائد قسطنطين أخ الامبراطور السابق للقضاء على ميليسينوس وحلفائه السلاجقة، فتمرد قسطنطين ايضا ضد الامبراطور وطالب بالعرش[3].

أدت التحالفات التي اقامها سليمان مع المتنافسين على العرش البيزنطي الى استيلائه على معظم المقاطعات البيزنطية في آسيا الصغرى وثبت كيان سلاجقة الروم سنة 473هـ/ 1080م وسيطر على المقاطعات الممتدة من كيليكيا جنوباً وحتى سواحل البحر الاسود شمالاً ومن نهر قيزل أرمق شرقاً وحتى سواحل بحر مرمرة غرباً[4].

ولدت انتصارات سليمان وتأسيسه للدولة السلجوقية في آسيا الصغرى صدى كبيراً لدى التركمان في ايران وأذربيجان، فهاجروا الى بلاد الاناضول باعداد كبيرة بعد سنة 473هـ/ 1080م، فارتفعت نسبة السكان الترك في آسيا الصغرى. وقد ادى الوضع المضطرب للدولة البيزنطية الى رجحان كفة سليمان، لانه كان يملك القوة الاساسية في بلاد الاناضول، ففضل الارمن والكرج وبعض الاغريق الخضوع له، للتمتع بالامان، كما تحرر اصحاب القرى من سيطرة الاقطاعيين واصبحوا يملكون الارض، مستفيدين من سلطة المسلمين الترك، وباتوا احراراً لا يدفعون سوى ضريبة الخراج في ظل حكم

(1) العظيمي، تاريخ العظيمي، مخطوط نشره كلودكاهين في مجلة J. A (باريس:1938)، ورقة 361؛ Vasiliev, Op. Cit., Vol 1, p 459.

(2) Anna, Op. Cit., p 129.

(3) Ibid, p 92 ff; Vasilieve, Op. Cit., Vol. 1, p 358; Teachner, Op. Cit., p 740.

(4) Ostrogorsky, Op. Cit., p 439.

سليمان[1].

وبعد ان استعرض الباحث التركي عثمان توران الانجازات العسكرية التي حققها سليمان بسيطرته على اقليم فريجيا وغرب الاناضول ووصوله الى سواحل البسفور ونجاحه في إلحاق الهزيمة بجيش بيزنطي ضخم أرسل نحو عاصمته نيقية، علل عدم مهاجمته القسطنطينية، بعدم أمتلاكه الاسطول[2].

اما كلودكاهين، فيرى بأن البيزنطيين هم الذين شجعوا الترك على التقدم الى قلب آسيا الصغرى وفتحوا لهم ابواب مدنهم والتي كانت ستصمد حسب رأيه أمامهم لفترة طويلة، بسبب أسوارها المنيعة، وذلك لان القادة البيزنطيين المتنافسين اعتمدوا على الترك ولم يجعلوهم اعداءهم الاساسيين، ولم ينظروا اليهم مثل نظرتهم العدائية للعرب، لانهم كانوا يعرفون الترك منذ فترة طويلة واستخدموهم في الجيش الامبراطوري وعدوهم جزءاً من شعب الامبراطورية، على الرغم من ان الترك في آسيا الصغرى كانوا مسلمين ولكن في نظر بيزنطة فإن أسلامهم لم يكن شيئاً هاماً، لانهم مسلمون سطحيون، ليس لهم مساجداً ومدارس ولا يتكلمون العربية، واعتقد البيزنطيون بأنهم سينصهرون في شعوب الامبراطورية كما سبقت للامبراطورية وأن صهرت شعوباً اخرى[3].

حاول كلودكاهين بهذا الطرح ان ينسب ما أنجزه الترك في بلاد الاناضول الى خطأ البيزنطيين ويوحي للقاريء وكانه كان بأمكان الدولة البيزنطية القضاء على الترك وطردهم من آسيا الصغرى، وهذا خلاف الواقع سواء أكان ذلك قبل فترة حكم سليمان او بعده. فالمسلمون الترك اتبعوا أساليب قاسية في القتال وشنوا الغارات على المناطق العامرة وحتى المسلمون لم ينجوا من تلك الغارات. وكانت حربهم ضد بيزنطة تعد جهاداً من اجل نشر الاسلام، لذلك حرص الامراء التركمان في الحصول على رضا السلطان الاعظم في الري والذي كان بدوره حريصاً في الحصول على رضا الخليفة العباسي عنه والاعتراف به سلطاناً، ففي حالة تحقيق أي انتصار كان يتم اخبار الخليفة

(1) Sevim, Op. Cit., p 27.

(2) Turan, Op. Cit., p 235.

(3) Cahen, Op. Cit., p 76.

العباسي به كما حدث في ملازطرد[1].

تغير الموقف السياسي في اسيا الصغرى بعد سنة 474هـ/ 1081م في اعقاب تسلم القائد العسكري الكسيوس كومنين (474-512هـ/ 1081-1118م) عرش الامبراطورية. ويفهم من كلام أبنته آنا التي ذكرت بأن الامبراطور قدم هدايا لسليمان مقابل انسحابه من مناطق البسفور الشرقية ان الامبراطور كان يدفع الجزية لسليمان في بداية حكمه، على الرغم من انها ذكرت بأن الكسيوس شن هجوماً بحرياً على الترك عند سواحل البسفور الشرقية[2].

وكان الكسيوس مشغولاً في بداية حكمه بالنورمان الذين هاجموا اقاليم الامبراطورية الغربية بقيادة روبرت جيسكارد، كما كان البجناك يشكلون تهديداً للامبراطورية في الشمال، لذلك كان الكسيوس بحاجة الى بعض الوقت لاعادة بناء الجيش والتخلص من منافسيه ومعالجة الازمة المالية. إزاء تلك الاوضاع خطب الامبراطور الجديد ود سليمان وأراد عقد الهدنة معه وتقول آنا بأن والدها كسب صداقة الترك وأغدق عليهم الهدايا وحث سليمان على عقد السلام معه ومساعدته عسكرياً، فارسل سليمان سبعة آلاف من رجاله الاشداء لمواجهة النورمانديين[3].

ومن جهته اراد سليمان ان يعقد هدنة دائمية مع البيزنطيين، بعد ان سيطر على معظم آسيا الصغرى، ولم يبق بيد البيزنطيين سوى شريط ساحلي ضيق في الشمال الغربي، كما ان جلوس الكسيوس على عرش بيزنطة ونجاحه في صد النورمان في الغرب وقضائه على البجناك، اقنعت سليمان بأن مواجهة الامبراطور الجديد الذي اتسم بالفطنة والذكاء ليس بالامر السهل، فضلاً عن اعترافه بسليمان سلطاناً على التركمان في آسيا الصغرى، لمعرفة الكسيوس بأنقياد التركمان له وبأنه الشخص الوحيد الذي يستطيع كبح جماحهم. وقد نجح الكسيوس بسياسته الميكيافلية، توجيه أنظار التركمان من

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 104؛ ابن الجوري، المنتظم، حـ8، ص265.

(2) Anna, Op. Cit., p 129; Sevim, Op. Cit., p 30.

(3) Anna, Op. Cit., p. 130, 167, 198.

البسفور نحو الجنوب[1].

وفي جنوب الاناضول سيطر القائد البيزنطي الارمني الاصل فلاريتوس على منطقة كيليكيا منذ سنة 463هـ/ 1071م وأنفصلت تلك المنطقة عن الدولة البيزنطية. أستقر فلاريتوس في منطقة كيليكيا مع ثمانية الاف من جنوده إثر فراره من معركة ملازطرد. وكان من اتباع رومانوس المخلصين، لذلك تمرد على الامبراطور ميخائيل السابع. وبعد استقراره في جبال مرعش زاد عدد اتباعه والتف حوله عدد كبير من الرجال، فسيطر على المنطقة الممتدة من مدينة خربوط شرقاً وحتى جبال طرسوس غرباً، ثم استولى على الرها وأنطاكية بين 471-472هـ/ 1078-1079م. واعترف الامبراطور البيزنطي، نقفور الثالث بحكمه[2]، ولذلك تظاهر فلاريتوس بالتبعية للبيزنطيين، وفي الوقت نفسه اعلن خضوعه للسلطان ملكشاه ودفع له الجزية[3].

وكان على سليمان قبل توجهه نحو جنوب الاناضول ان يأخذ موقف السلطان ملكشاه منه بنظر الاعتبار. فعلى الرغم من العداء المستحكم بين سليمان وملكشاه، تظاهر سليمان بالتبعية ولو اسمياً للسلطان، فلم يظهر حتى الآن ما يشير الى انه سك النقود باسمه او ذكر اسمه في خطبة الجمعة. ومع ذلك لم يرق لملكشاه ما احرزه سليمان من انتصارات في بلاد الاناضول، وحاول التخلص منه وعده شبه متمرد، لهذا ارسل حملة عسكرية ضده بقيادة القائد البرسقي. ونجح البرسقي في قتل منصور ولكنه لم يستطع مواجهة سليمان الذي بقي مسيطراً على بلاد الاناضول[4].

أما ما ذكره عثمان توران بأن الخليفة العباسي اعترف بسليمان وارسل اليه الخلع

---

(1) Cahen, Op. Cit., p 75-76.

(2) Anna, Op. Cit., p 198;

ابن العبري، تاريخ الزمان، ص118؛ رستم، الروم، حـ 2، ص 115-16. وللتفصيل عن الارمن في كيليكيا ينظر: استارجيان، تاريخ الامة الارمنية، ص203-253.

(3) Turan, Op. Cit., p 230.

(4) Bosworth, Op. Cit., p 196

والراية والتفويض بالحكم ومنحه لقب شاه ودعاه الى المحافظة على الثغور[1]، فلا تؤيدها الادلة التاريخية إذ لا يشير أي مصدر اسلامي الى أن الخليفة بعث خلعاً الى سليمان ولم يكن باستطاعة الخليفة إرسال خلع الى منافس للسلطان اللسلجوقي في الري، لان الخليفة كان يخضع لنفوذه.

وخاف ملكشاه بعد فشل حملة البرسقي أن يزداد سليمان نفوذاً وقوة ولذلك حاول أن يحسن علاقاته مع الامبراطور الكسيوس، فارسل سفيراً الى الامبراطور البيزنطي، عرض عليه اقتراحاً لعقد معاهدة كان من شروطها أن يزوج الامبراطور ابنته من ابن السلطان ووعد الامبراطور بسحب التركمان من السواحل وتسليم بعض القلاع والمدن في بلاد الاناضول إليه. لم يظهر الكسيوس حماساً لمقترحات ملكشاه لانه كان يعلم جيداً بأنه لم يكن يملك أية سيطرة على التركمان في الاناضول، اضافة الى شعور الكسيوس بأن عقد معاهدة مع السلطان ملكشاه سيفتح أمامه المجال للتدخل في شؤون الامبراطورية البيزنطية. ولذلك فضل الابقاء على علاقاته مع سليمان، الذي اطلقت عليه النصوص البيزنطية لقب السلطان[2] [2] 2. وعندما أطمأن سليمان الى موقف البيزنطيين تحرك جنوباً نحو شمال بلاد الشام.

ج. فتح مدينة انطاكية 477هـ/1084م:

اراد سليمان ان يكمل سيطرته على اسيا الصغرى ولذلك توجه نحو جنوب بلاد الاناضول وسيطر على قونية. وكان زيادة نفوذ الارمن وسيطرتهم على كيليكيا وانطاكية وامتداد نفوذهم نحو مناطق قونية، من العوامل التي دفعت سليمان للتوجه نحو الثغور الشامية حيث اخضع لحكمه طرسوس والمصيصة وأذنة وعين زربة[3].

وارسل سليمان رسولاً الى امير طرابلس الشيعي ابو طالب بن عمار الذي كان قد خرج عن طاعة الفاطميين واعلن استقلاله، طلب منه ان يرسل اليه القضاة

(1) Turan, Op. Cit., p.230.

(2) Anna, Op. Cit., p. 200; Cahen, p 79.

(2) Anna, Op. Cit., p. 200; Cahen, p 79.

(3) ابن حوقل، صورة الارض، ص 168، ابو الفدا، تقويم البلدان ص249-251.

والخطباء، ليمارسوا مهمتهم الدينية في بلاد الاناضول[1].

ويفهم من علاقة سليمان مع أمير طرابلس بأنه لم يكن على علاقة مع الامراء المسلمين في بلاد الشام، الموالين لملكشاه، لذلك فضل الاتصال مع امير طرابلس والذي كان محايداً في الصراع الدائر بين الفاطميين والسلاجقة، على الرغم من كونه شيعياً. ومن المحتمل ان سليمان اراد ايضا ان يبتعد عن الصراع السلجوقي الفاطمي وفضل التعاون مع حاكم مسلم مستقل.

وبعد ان رتب سليمان ادارة مناطق جنوب الاناضول والثغورالشامية وفرض الجزية على حاكم ملاطية وشحن القلاع الحدودية بالرجال رجع الى عاصمته نيقية[2]، قبل ان يتوجه لفتح انطاكية.

وتعد انطاكية من المدن الحصينة[3]، والمهمة على ساحل سوريا الشمالي وقد فتحها أبو عبيدة الجراح في عهد الخليفة عمر بن الخطاب[4] واحتلها الروم سنة 358هـ/ 969م[5] وظلت تحت حكمهم حتى اعاد سليمان فتحها سنة 477هـ/ 1084م. ولذلك عد المؤرخون المسلمون تحريرها حدثاً هاماً وكتبوا عنه[6]، لان القادة

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، (القاهرة:1975)، حـ5، ص 114؛ Cahen, Op. Cit., p. 77.

(2) Sevim, Op. Cit., p. 30.

(3) ياقوت، معجم البلدان، حـ1، ص267؛ ابن الشحنة، الدر المنتخب من تاريخ مملكة حلب (بيروت: 1909) ص201 وما بعدها؛ بنيامين التطلي، رحلة بنيامين، ترجمة عزرا حداد، (بغداد:1954)، ص86-87.

(4) البلاذري، فتوح البلدان (بيروت: 1983)، ص 148-49.

(5) ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، (بيروت:1951) حـ1، ص 162.

(6) أشارت كل المصادر الاسلامية تقريباً الى فتح انطاكية على يد سليمان. ينظر: العظيمي، تاريخ العظيمي، ورقة 365؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص117؛ ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية (القاهرة:1976) ص6، ابن الاثير، الكامل، حـ8، ص435؛ ابو الفدا، المختصر، حـ2، ص195؛ ابن الوردي، تتمة المختصر، حـ1، ص531؛ الذهبي، دول الاسلام (حيدراباد:1337هـ)، حـ2، ص5؛ اليافعي، مراة الجنان، (بيروت 1970)، حـ3، ص120؛=

المسلمين عجزوا عن فتحها سنين طوال قبل السلطان سليمان.

وأشارت المصادر الاسلامية بأن حاكم انطاكية فلاريتوس (الفردوس) كان خارج انطاكية، وذهب الى بلاد الروم، لزيارة الامبراطور البيزنطي الجديد وترك انطاكية بيد احد نوابه. وأورد ابن الاثير بأن فلاريتوس أساء الى الرعية والجند، حتى أنه كان قد سجن ابنه، فأتفق نائبه في انطاكية مع ابنه على مكاتبة السلطان سليمان لتسليمه المدينة وارسلوا اليه يستدعونه فلبى ندائهم مسرعاً الى الساحل السوري عن طريق البحر وأخترق مع جيشه مناطق وعرة من جبال ووديان حتى وصل الى انطاكية. وصعد رجاله بالسلالم اسوار المدينة وفتحوا احد ابوابها، فدخلها المهاجمون وسيطروا عليها(1).

واورد ابن العديم في روايته بأن سليمان قتل في طريقه الى انطاكية اهل ضيعة العمرانية، قرب انطاكية حفاظاً على سرية الحملة(2)، وعلى الرغم من أن ذلك العمل ينم عن القسوة فإنه يدل على التكتيك العسكري الناجح الذي اتبعه سليمان للوصول الى هدفه.

اما المصادر الاسلامية الفارسية، فاوردت بأن حاكم انطاكية كان قد ذهب الى مدينة عكا لخطبة فتاة وأخبر احد الامراء الترك سليمان الذي كان يقيم في المنطقة الواقعة بين البيرة والرها بخلو المدينة من الجيش وذكر له بأنه في مقدور ألف رجل السيطرة على المدينة وشجع الامير المذكور سليمان للتوجه الى انطاكية وذكر له بأن فتحها سيرفع من شأنه لدى المسلمين، فتحرك اليها وكان يسير مع جيشه ليلاً ويختفون في النهار داخل الوديان، حتى وصل الى انطاكية يوم الخميس في (14) شعبان عند منتصف الليل ودخلوا المدينة عن طريق صعود أسوارها وفتح باب فارس ونادى المنادي بأن من يخرج

=ابن كثير، البداية والنهاية، حـ12، ص6؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، (حلب: د/ت)، ص 384؛ كامل حسين مصطفى الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، (حلب: د/ت)، حـ3، ص75.

(1) ابن الاثير، الكامل، حـ8، ص435؛ ابن العديم، زبدة الحلب، دمشق:1954، حـ2، ص86-87؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (العبر)، (بيروت:1988)، حـ5، ص9؛ القرماني، اخبار الدول وآثار الاول، (القاهرة:د/ت)، ص293.

(2) زبدة الحلب، حـ2، ص86؛ ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص211.

من داره يعد دمه مهدوراً وهاجم رجاله مقر الامير وسيطروا عليه وقتلوا كل من خرج من داره[1]. وكان ذلك تدبيراً ذكياً من سليمان لانه دخل المدينة في قلة من الرجال فإذا ما خرج الناس من دورهم سيعرفون قوته الحقيقية فيقاومونه ويخرجونه من المدينة.

وتعد رواية ابن العديم متكاملة تقريباً حول كيفية استيلاء سليمان على انطاكية ومعاملة اهلها، حيث اورد بأن المسلمين صلوا فيها يوم الجمعة (15) شعبان وأن فتحها صادف الفاتح من كانون الاول سنة 1084. واورد ايضا محاصرة سليمان لقلعة المدنية حتى تم فتحها بالامان في (12) رمضان وبأنه غنم اموالاً طائلة، ثم استقر في انطاكية وفتح الحصون المجاورة لها، فباتت دولته تمتد من نيقية حتى طرابلس[2].

وتتفق رواية اقسرائي مع رواية ابن الاثير حول منح سليمان الامان لاهل المدينة بعد سيطرته عليها وبأنه احسن الى الرعية وأعدل فيها[3]. ويعزز ابن الشحنة رواية ابن الاثير وأقسرائي حول منح سليمان الامان لاهل انطاكية وتطبيقه العدالة ومنعه نهب اموال الناس. فاورد نقلاً عن القس ميخائيل الانطاكي الذي كان شاهد عيان لدخول سليمان مدينة انطاكية، وأسر عندما حاول الخروج من المدينة، فيشير انه كان قد يئس من النجاة وسئم الحياة وتم سوقه مع بقية الاسرى ممن حاول الهروب من المدينة، وذكر بأنه سمع اثناء ذلك منادياً يقول ان سليمان امر باطلاق سراح جميع السبايا، فشكر الجميع الله على نجاتهم[4].

فطن سليمان الى أنه لا يستطيع الاحتفاظ بالثغور الشامية وانطاكية دون رضا السلطان ملكشاه وموافقته، لذلك ارسل رسولا الى ملكشاه يبشره بالسيطرة على المدينة ويخبره بأن الخطبة والسكة ستكون باسم ه في المدينة وأخبره ايضاً بأنه سيحافظ على الامن والاستقرار فيها لحين وصول أوامره[5].

(1) اقسرائي، مسامرة الاخبار، ص15؛ المستوفي القزويني، تاريخ كزيدة، ص 474.

(2) ابن العديم، زبدة الحلب، حـ2، ص 88.

(3) مسامرة الاخبار، ص 21؛ الكامل، حـ8، ص435.

(4) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص 213؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص118.

(5) اقسرائي، مسامرة الاخبار، ص21.

كان سليمان يعلم جيداً بأن السلطان إذا كان قد سكت عن قيامه بتأسيس دولة في بلاد الروم، فإن الامر مختلف في بلاد الشام، لانه خط إلتقاء النفوذ السلجوقي والفاطمي وأن السلطان ملكشاه لن يقبل بتوسع نفوذ أي حاكم في بلاد الشام دون رضاه.

أما ملكشاه فقد اظهر فرحته بما انجزه سليمان وابقى المدينة في يده[1]، وتظاهر بمباركته، وفي الوقت نفسه قرر التدخل في بلاد الشام، ولكن بعد المسافة بين الري وبلاد الشام، أدى الى تأخير ذلك.

كان لفتح انطاكية صدى واسع في العالم الاسلامي ومدح الابيوردي[2] السلطان ملكشاه بتلك المناسبة واهدى إليه قصيدة جاء فيها:

وفتحت انطاكية الروم الـــــتي   نشرت معاقلها على الاسكنــــدر

د. الحرب مع مسلم بن قريش:

أدت سيطرة سليمان على انطاكية الى زيادة نفوذ السلاجقة في بلاد الشام والى الاحتكاك بقوة العقيليين بحلب. وعلى الرغم ان سليمان ارسل بعض الغنائم هدية الى مسلم بن قريش العقيلي (453-478هـ/ 1061-1085م) [3]، الا ان الاخير عرف بأن الوضع الجديد يشكل تهديداً لحكمه، وأراد ابعاد سليمان عن بلاد الشام، لذلك طالب بالجزية التي كان يدفعها له فلاريتوس امير انطاكية فامتنع سليمان عن دفع المال لان الوضع اختلف في انطاكية بعد استيلاء سليمان عليها وأصبحت الخطبة والسكة باسم السلطان ملكشاه والجزية كانت تؤخذ من سكان انطاكية عندما كانت تخضع لحكم الروم، اما الان فقد اصبحت تابعة لحاكم مسلم وهو سليمان[4].

---

(1) نفسه، ص21.

(2) الابيوردي، ديوان الابيوردي، (دمشق:1974)، حـ1، ص305.

(3) عن ترجمة حياة مسلم بن قريش ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، حـ5، ص268، الطباخ، راغب محمود هاشم الحلبي، اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، (حلب:1988)، حـ1، ص315-319.

(4) ابن الاثير، الكامل، حـ8، ص437؛ الداواداري، كنز الدرر، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور،=

اختلق مسلم الاعذار لجر سليمان الى الحرب، بغية منع توسع نفوذه، وشجعه على ذلك الامراء التابعون له. وأشار ابن العديم الى أن الشريف حسن الحتيتي وغيره من امراء شرف الدولة (مسلم بن قريش)، خافوا ان يتم الصلح بينه وبين سليمان، لانه سيتفرغ بعد ذلك لهم ويقوم بمصادرة اموالهم، ولذلك عملوا على تعميق الخلاف بينهما لابعاد خطر مسلم عنهم[1].

تجنب سليمان الاصطدام بمسلم وحثه على عقد الصلح. وكان سليمان على صواب لانهما لم يكونا على علاقة جيدة مع السلطان، لكن مسلم رفض عرض سليمان لعقد الصلح واستعد للحرب[2]. وروى ابن العديم كيف اساء مسلم بن قريش الى اصحابه، فقطع نصف ارزاق جنده وقبض على وزيره وأخيه، مما أدى الى انضمام أصحاب مسلم لسليمان، فأحسن استقبالهم واعطاهم أرزاقا تكفيهم، كما انضم اليه عدد من رجال القبائل العربية من بني مرداس وبني كلاب. وبعكس مسلم كان سليمان جواداً اهتم بجنده وأحسن اليهم ولذلك مال الناس اليه[3].

بدأت المناوشات بين الطرفين، اذ قام رجال مسلم بن قريش بنهب المناطق المحيطة بأنطاكية، فرد عليه سليمان بنهب القرى المحيطة بحلب. واشتكى اهل تلك القرى الى سليمان، بسبب قيام رجاله بنهب اموالهم، فاعتذر لهم وامر برد اموالهم إليهم وبرر عمل جنوده بانه كان رد فعل على ما اقترفه اصحاب مسلم بحق سكان ضواحي انطاكية[4].

بدأ مسلم بن قريش هجومه ضد انطاكية على رأس ستة آلاف فارس وخرج سليمان لمواجهته. وقبيل المعركة ترك القائد التركماني جبق مع اتباعه جيش مسلم وأنضم الى سليمان، ولم يكن العرب جادين في نصرة مسلم، بسبب اساءته اليهم، وكان ذلك من اسباب هزيمة مسلم في المعركة التي جرت يوم السبت 24 صفر سنة

=(القاهرة:1972): حـ6، ص410؛ خواندمير، حبيب السير، ص538.

(1) زبدة الحلب، حـ2، ص89.

(2) Zakkar, The Emirate of Aleppo. (Beirut:1971), p. 214.

(3) زبدة الحلب، حـ2، ص88.

(4) ابن الاثير، الكامل، حـ8، ص436؛ Zakkar, Op. Cit., p 213.

478هـ/ 21 حزيران 1085م قرب بلدة عفرين، اذ انهزم اصحاب مسلم وقتل هو في المعركة[1].

وبالامكان اضافة أسباب اخرى لانتصار سليمان، منها انضمام احد القادة التركمان المعروفين بالشجاعة والاقدام والخبرة في الحرب اليه وهو ارتق بن اكسك[2]، وخبرة سليمان الحربية والسياسية والتي اكتسبها خلال عمله في اسيا الصغرى بين (464-475هـ/ 1072-1083م)، فضلاً عن ان الشمس كانت في وجوه رجال مسلم اثناء المعركة[3].

ارسل سليمان رسولا الى ملكشاه ليخبره عن الوضع المستجد في بلاد الشام، بعد مقتل شرف الدولة وطلب من السلطان منحه حكم حلب. وفي الوقت نفسه تقدم نحو حلب وحاول الاستيلاء عليها، لانها كانت لمسلم بن قريش، لكن الشريف الحتيتي رفض تسليم المدينة إليه ومنعه من دخولها، يسانده حاكم قلعة المدينة سالم بن مالك العقيلي، واتفقا على مكاتبة ملكشاه، ليطلبوا منه الحضور الى بلاد الشام، لتسليم حلب اليه او ارسال نجدة لدفع سليمان عنها. حاصر سليمان مدينة حلب فطلب منه الشريف الحتيتي رفع الحصار عنها واخبره بانه كتب الى ملكشاه في امر تسليم المدينة إليه، فرفع سليمان الحصار عن المدينة سنة 478هـ/ 1085م. وكان الحتيتي قد كتب سراً الى تتش بن الب ارسلان امير دمشق اخي السلطان ملكشاه واقترح عليه تسليم المدينة اليه[4].

اراد الحتيتي اشعال الحرب بين الزعماء السلاجقة في بلاد الشام، على امل الاحتفاظ ببعض السلطة في مدينة حلب. وكان له دور في الايقاع بين سليمان بن قتلمش ومسلم بن قريش، ونجح مرة اخرى في الايقاع بين السلاجقة انفسهم، لان استدعاء تتش الى حلب معناه الحرب بينه وبين سليمان.

وبعد ان رفع سليمان الحصار عن حلب، بسط سلطته على المناطق المحيطة

(1) العظيمي، تاريخ العظيمي، ورقة 365؛ ابن الاثير، الكامل، حـ8، ص437.

(2) الداواداري، كنز الدرر، حـ6، ص412.

(3) العظيمي، تاريخ العظيمي، ورقة 365.

(4) ابن الاثير، الكامل، حـ8، ص 443؛ ابن العديم، زبدة الحلب، حـ2، ص96

بالمدينة، فاستولى اصحاب سليمان على معرة النعمان وكفر طالب وتوجه وزيره الحسن بن طاهر نحو قلعة شيزر وحاصرها، ثم صالح اهلها على مال يدفعونه لسليمان شاه[1]. وأستولى سليمان على قنسرين واستقر فيها بعد ان اصلح قلعتها وتزوج منيعة بنت محمود بن صالح المرداسي زوجة مسلم بن قريش[2]. واراد بذلك الزواج التقرب من العرب وكسب ودهم من اجل السيطرة على شمال بلاد الشام بما فيها مدينة حلب.

هـ. نهاية سليمان شاه:

أثارت تحركات سليمان نحو حلب وسيطرته على معرة النعمان ومحاولته اخضاع حصن شيزر وتقربه من العرب، مخاوف امير دمشق تتش. وأشار اقسرائي بأنه عندما سمع تتش بمقتل مسلم بن قريش ذكر بأن سليمان سلك مسلك أبيه قتلمش وأنه سيستولي على البلاد إذا لم يتم وضع حد له وسيتمادى في توسعه[3].

تحرك تتش نحو حلب سنة 479هـ/ 1086م، بعد ان تلقى الدعوة من اميرها الحتيتي، لاستلام المدينة، وعندما علم سليمان بذلك حاصر حلب مرة اخرى. ونجح تتش في كسب العديد من الامراء التركمان في جيش سليمان الى جانبه، بالتهديد والوعيد، فترك اولئك الامراء صفوف سليمان وانضموا الى تتش، ومن بينهم افشين وصندق ومحمد بن ملج الذين ساهموا في فتح الاناضول[4]، كما كان مع تتش الامير ارتق الذي ذاعت شهرته في الحرب، وانضم الى تتش ايضا مبارك بن شبل امير بني كلاب. جرت المعركة يوم الاربعاء 18 صفر سنة 479هـ/ 3 حزيرن 1086م في موقع عين سلم على بعد ثلاثة اميال من حلب. وعندما رأى سليمان هزيمة عسكره وهو امر لم يحدث له من قبل، لم يتحمل الهزيمة فانتحر، وأشارت الروايات التاريخية بانه طعن نفسه بسكين وبقيت جثته في ارض المعركة حتى جاء تتش فأمر بغسله وكفنه وارسل الجثة الى حلب لدفنها الى جوار جثة مسلم. وقام تتش بأطلاق سراح الاسرى بمن فيهم وزير

(1) ابن العديم، زبدة الحلب، جـ2، ص95.

(2) نفسه، جـ2، ص96.

(3) اقسرائي، مسامرة الاخبار، ص21.

(4) Sevim, unlu selcuklu komutanlari, Op. Cit., p 4.

سليمان الحسن بن طاهر[1].

وتعد الحرب بين سليمان وتتش اول صراع مباشر بين القادة السلاجقة للسيطرة على بلاد الشام[2]. وأدى ذلك الصراع الى حرمان آسيا الصغرى من احد الرجال الاقوياء الذي تزعم السلاجقة ضد البيزنطيين، وكان من الممكن ان يقود جموع التركمان ضد الصليبيين ايضا[3].

لقد حمل سليمان جنده اكثر مما يتحملون، فبعد نجاحه في آسيا الصغرى وأقامته سلطنة للسلاجقة والاستيلاء على نيقية وجعلها عاصمة لدولته وسيطرته على ثغور الشام مع الروم وفتحه انطاكية، لم يكتف بذلك بل اراد الاستيلاء على حلب وربما كل بلاد الشام، فادى ذلك الى الاصطدام بالسلطان ملكشاه وقوة السلاجقة، ولذلك لم يقف التركمان الى جانبه كما كان الحال في حربه مع الروم ولم يكن بمقدوره منافسة البيت السلطاني في الري، فأنهار جيشه امام تتش وكان في ذلك نهايته.

وكان يفترض بسليمان ان يستقر في نيقية ويعمل على تطوير ادارة دولته، علماً بانه جاء الى الشام ولم يقدر بشكل صحيح الموقف السياسي والعسكري. ومع ذلك يعد سليمان شخصية تاريخية لها مكانتها في تاريخ سلاجقة الروم، لانه وضع الاساس الذي ادى الى تحويل آسيا الصغرى الى تركيا بعد مرور قرنين تقريباً.

---

(1) العظيمي، تاريخ العظيمي، ورقة رقم 366؛ ابن العديم، زبدة الحلب، حـ2، ص 97؛ ابن الوردي، تتمة المختصر، حـ1، ص533.

(2) زكار، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية، ص 203.

(3) سعيد عبد الفتاح عاشرو، الحركة الصليبية (القاهرة:1963)، حـ1، ص105 وللتفصيل ينظر: ميسون هاشم مجيد، اوضاع بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي، رسالة دكتوراه، غير منشورة، قدمت الى كلية الاداب- (جامعة الموصل:1996)، ص46-48.

خامساً: دور خلفاء سليمان في تثبيت اركان الدولة

أ. ابو القاسم (479- 485هـ/1086- 1092م):

أناب عنه سليمان في نيقية ابا القاسم عندما توجه لفتح انطاكية سنة 477هـ/ 1084. وبعد ان قتل سليمان قرب حلب سنة 479هـ/ 1086م، تسلم حكم بلاد الاناضول ومد نفوذه نحو كيليكيا وأنطاكية، ولكنه تخلى عن اقليم كبدوكيا لاخيه الامير حسن. وفي الوقت نفسه ارسل السرايا نحو الغرب ووصل رجاله الى سواحل البحر الاسود[1].

لم يستطيع ابو القاسم اخضاع الأمراء التركمان في بلاد الاناضول لنفوذه، لانه لم يكن صاحب شخصية قوية مثل سليمان حتى يتقبل الامراء التركمان إطاعته، كما انه لا ينتمي الى اسرة السلاطين السلاجقة، إذ لا تشير المصادر المتوافرة الى وجود أية علاقة بين سليمان وابي القاسم، لذلك تأسست عدد من الامارات التركمانية في بلاد الاناضول، كان من اهمها امارة الامير جكا Chaka في ازمير[2].

بقي ابو القاسم على عرش نيقية، لان ابناء سليمان، قلج ارسلان داود وقالا ارسلان كانا في مدينة انطاكية، وعندما دخل ملكشاه المدينة سنة 479هـ/ 1086م[3]. سلم وزير سليمان الحسن بن طاهر ابناء سليمان اليه، فأخذهم السلطان اسرى الى الري وإنتقل حكم جميع المناطق التي كان سليمان قد استولى عليها في بلاد الشام الى ملكشاه[4].

ويتساءل كلودكاهين فيما اذا كان الخوف قد دفع وزير سليمان شاه في انطاكية من ابي القاسم هو الذي دعاه للخضوع للسلطان والقائه القبض على ابنائه وتسليمهم الى

---

(1) Anna, Op. Cit., pp. 199- 201

(2) Turan, Op. Cit., p 233; Cahen, Op. Cit., p 78-81.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص101؛ ابن العديم، زبدة الحلب، جـ2، ص119.

(4) Cahen, Op. Cit., p 78.

ملكشاه وعدم انسحابه الى نيقية او مكان آخر في بلاد الروم[1].

ومن دراسة النصوص التاريخية يبدو ان الحسن بن طاهر وزير سليمان كان اسير تتش سنة 479هـ/ 1086م وأنه اطلق سراحه. ولا بد ان الوزير الاسير كان قد اعلن ولاءه وأخلاصه للسلطان ملكشاه، ولذلك سمح له تتش بالعودة الى انطاكية وتولي ادراتها. ولكي يثبت صدق أخلاصه ونواياه قبض على أولاد سليمان وسلمهم ملكشاه بعد دخول السلطان المدينة.

اثبت ابو القاسم جدارته في الحكم ووسع الدولة بأتجاه الغرب وأتصل مع امير ازميرجكا وتحالف معه ضد البيزنطيين، ووضعا خطة لمهاجمة القسطنطينية، بالتعاون مع الترك البجناك في البلقان. وكان جكا قد بنى اسطولاً حربياً لمجابهة القسطنطينية، ورداً على ذلك التحالف، قام البيزنطيون بمهاجمة نيقية وحاصروها فترة قصيرة[2].

وزاد الامر تعقيداً عندما ارسل ملكشاه قوة نحو غرب الاناضول بقيادة الامير البرسقي، لبسط نفوذ السلطان على آسيا الصغرى، فخاف البيزنطيون ورفعوا الحصار عن نيقية، فلاحقهم ابو القاسم واستولى على مواقع بيزنطية جديدة، الا ان ابا القاسم تراجع عندما اقترب البرسقي من نيقية، خوفاً من هجومه على العاصمة، وعقد الهدنة مع البيزنطيين. وجاء دور البرسقي لمحاصرة نيقية، ولكن البيزنطيين ساعدوا ابا القاسم، فانسحب البرسقي سنة 480هـ/ 1087م[3].

ولمواجهة خطر ملكشاه ومحاولاته اخضاع بلاد الاناضول لحكمه، تحالف ابو القاسم مع الامبراطور البيزنطي الكسيوس، فدفع ذلك التحاف ملكشاه الى ان يلجأ الى الاساليب الدبلوماسية لتحقيق هدفه، لذا ارسل سفارة الى الامبراطور البيزنطي، اقترح عليه انهاء المشاكل بين الدولتين ووعد بأرجاع الاراضي التي استولى عليها الترك إليه، التي تمتد من نيقية الى انطاكية وطلب مرة اخرى من الامبراطور ان يزوج ابنته من ابن

(1) Cahen, Op. Cit, p. 78.

(2) Anna, Op. Cit., p 207; Cahen, Op. Cit., p 80; Sevim, kutalmis oglu, p 39.

(3) Anna, Op. Cit., p 208; Cahen, Op. Cit., p 86; Sevim, Op. Cit., p40

السلطان[1].

وافق الكسيوس على فتح باب التفاوض مع السلطان ولكنه لم يثق بوعوده وكان صاحب حنكة سياسية، اراد الاستفادة من تدخل ملكشاه في شؤون بلاد الاناضول، لان ذلك يؤدي الى ضعف الامراء التركمان وانه يساعد الامبراطور على استعادة بلاد الاناضول[2].

استفاد الكسيوس فعلاً من ذلك الوضع، فاستعاد ميناء سينوب على البحر الاسود. اما ملكشاه فكان هدفه تحييد الكسيوس حتى يستطيع اخضاع سلاجقة الروم لحكمه ولذلك ارسل قوة عسكرية الى بلاد الاناضول بقيادة بوزان، ضد ابي القاسم. نجح بوزان في احتلال مناطق شاسعة من الاراضي الخاضعة لابي القاسم إلا انه فشل في السيطرة على نيقية، لكن حملة بوزان اجبرت ابا القاسم على الذهاب الى ملكشاه، للدخول في طاعته، املاً الحصول على عفوه. ويظهر ان السلطان كان قد قرر التخلص منه، لذلك طلب منه ان يرجع الى بوزان ويتفق معه، وعندما ذهب الى بوزان قام الاخير بشنقه[3]. واثناء تلك الاحداث توفي ملكشاه، فتراجع بوزان الى الرها وتقدم اخو ابي القاسم الامير حسن من كبدوكيا وسيطر على نيقية[4].

استطاع ابو القاسم ان يدافع عن سلطنة سلاجقة الروم وحافظ على استقلالها، وضحى بنفسه من اجلها، ولم تذهب جهوده سدى، حيث هرب قلج ارسلان بن سليمان من الاسر ووصل الى نيقية وتولى ادراة الدولة وهكذا استمر حكم سلاجقة الروم في اسيا الصغرى.

ب. قلج ارسلان الاول (485- 500هـ/1092- 1107م):

لا تشير المصادر الاسلامية الى كيفية استعادة قلج ارسلان[5] عرش نيقية، وقد

---

(1) Anna, Op. Cit., p 20.

(2) Cahen, Op. Cit., p 77.

(3) Anna, Op. Cit., p 207

(4) Cahen, Op. Cit., p 80.

(5) لم يرد في المصادر المتوفرة ترجمة كاملة عن قلج ارسلان الاول كما ان المصادر الحديثة اكتفت=

اشارت آنا كومنينا الى ذلك فاوردت بأن ملكشاه احتجز ابني سليمان وبعد موته هرب الاثنان ووصلا الى نيقية، فرحب بهما سكان المدينة وتولى الابن الاكبر قلج ارسلان منصب (السلطان) وبدأ بتنظيم حكومته وتوسيع سلطته[1].

أستغل ابناء سليمان حالة الاضطراب التي سادت مركز السلطة السلجوقية في الري واصفهان في اعقاب وفاة ملكشاه وتولية ابنه بركياروق الحكم (487-497هـ/ 1094-1104م)[2]، ونجحوا في الوصول الى بلاد الاناضول. واشار كلودكاهين بان بركياروق هو الذي اطلق سراح قلج ارسلان، فعاد الى بلاد الاناضول وسيطر على نيقية وقونية واقليم كبدوكيا دون اراقة دماء[3].

ادى موت ملكشاه الى تفكك الامبراطورية السلجوقية ولم يعد في قدرة سلاطين المشرق ضم اسيا الصغرى الى نفوذهم واستقل سلاجقة الروم عن سلاجقة ايران والعراق بصورة نهائية[4].

نجح قلج ارسلان في اعادة تثبيت سلطنة سلاجقة الروم مرة اخرى، بعد ان انضم اليه التركمان واعلنوا الخضوع له، فاعاد السيطرة على معظم المناطق التي كانت تخضع لوالده ونظم ادارة مقاطعاته وعين فيها الولاة، فضلاً عن القادة العسكريين للدفاع عنها[5].

تحالف قلج ارسلان مع الامير جكا وتزوج ابنته وكان جكا من اقوى امراء غرب

=بالاشارة الى نشاطاته السياسية والعسكرية. ينظر: المستوفي القزويني، تاريخ كزيدة، ص474؛ الذهبي، العبر، حـ2، ص379؛ الصدفي، تاريخ دول الاسلام،(القاهرة 1906)، حـ2، ص113؛ اليافعي، مرآة الجنان، حـ3، ص170، خواندمير، حبيب السير، ص539؛ Cahen, kilij Arslan in: E.I. New ed, (Brill: 1978), Vol 5. P 103; Gibb, kilij Arslan in: Ency. Br, (London: 1957), Vol. 20. P 309.

(1) Anna, Op. Cit., p 207

(2) ابن الاثير، الكامل، حـ8، ص485.

(3) Cahen La Syrie Du Ndord Al, Epoque Des Croisades, (Paris: 1940), p 182.

(4) Cahen, Pre- Ottoman, p.81.

(5) Turan, Op. Cit., p.237

الاناضول، لامتلاكه الاسطول الحربي، حتى انه اعلن نفسه امبراطوراً وبدأ يستعد للسيطرة على القسطنطينية، وأصبح يمثل تهديداً جدياً على الدولة البيزنطية واستمرار حكمها[1].

نجح الكسيوس بدبلوماسيته الماكرة في الايقاع بين قلج ارسلان والامير جكا، حينما ارسل رسالة الى الاول حذره فيها من طموحات جكا وذكر له بأنه يشكل خطراً على سلطته في الاناضول. وأشارت المصادر البيزنطية الى حصول اتفاق سري بين قلج ارسلان والكسيوس ضد جكا، فعندما بدأ جكا بمهاجمة السواحل البيزنطية وضرب مدنها بالمنجنيق، استعداداً لمهاجمة القسطنطينية، تعاون قلج ارسلان مع البيزنطيين ضد جكا، مما ادى الى هزيمته ووقوعه في مأزق كبير، حيث احاط به الاعداء، فاضطر للتقرب من قلج ارسلان، فاستقبله الاخير واظهر له الاحترام، ثم غدربه وقتله[2].

وبالقضاء على الامير جكا ازيح التهديد عن القسطنطينية وتقاسم قلج ارسلان والكسيوس المناطق الساحلية التي كانت تخضع للامير جكا وعقدت هدنة بين الطرفين[3] وبذلك يكون قلج ارسلان قد ارتكب خطأً كبيراً بتامره على احد الامراء المسلمين النشطين وخدم بعمله الدولة البيزنطية وكان تاثير ذلك سلبيا على الجهاد ونشر الاسلام في السواحل الغربية من اسيا الصغرى.

وبعد عقد الهدنة مع البيزنطيين توجه قلج ارسلان نحو الشرق للسيطرة على مقاطعة كبدوكيا ودخل في صراع عسكري مع الدانشمنديين، للاستيلاء على ملاطية وسيواس الا انه فشل في تحقيق اهدافه، بسبب قوة الدانشمنديين واضطر ان ينسحب من المنطقة للدفاع عن عاصمته أثر بدأ الغزو الصليبي. وقد انهزم قلج ارسلان امام الصليبيين وفقد عاصمته ومعظم بلاده، ومع ذلك فإنه قاوم الصليبيين بين 490-498هـ/ 1096-1105م دون هوادة[4].

---

(1) Anna, Op. Cit., p. 275.

(2) Anna, Op. Cit, p. 275

(3) Ibid, p. 275 للتفصيل عن علاقة قلج ارسلان مع البيزنطيين ينظر: الفصل الرابع من هذه الرسالة.

(4) للتفصيل ينظر: الفصل الخامس من هذه الرسالة.

اراد قلج ارسلان ان يعوض ما فقده من اراضي في غرب الاناضول اثر الغزو الصليبي، بالاستيلاء على مناطق اخرى في الشرق. فتوجه نحو مدينة ميافارقين عندما تلقى دعوة من الوزير ضياء الدين محمد ودخلها في 27 جمادي الاول سنة 498هـ/ 14 كانون الثاني 1105م، ودخل أمير آمد وأمراء ديار بكر في طاعته. واراد الاحتفاظ بتلك المدن واتخاذها قاعدة للسيطرة على منطقة الجزيرة، لذلك عين مملوك أبيه خمرتاش السليماني حاكماً على ميافارقين وأقطع الوزير ضياء الدين محمد مدينة ابلستان[1]، واستقر هو في ملاطية ثم استولى على الموصل سنة 500هـ/ 1107م[2]، وهرب منها الامير التركماني جاولي سقاو، مما ادى الى دخوله في صراع مع سلاجقة المشرق وهزم جيشه عند الرحبة في معركة مع جاولي وغرق هو في نهر الخابور[3] ودفن في ميافارقين[4].

ج. ملكشاه (500- 510هـ/1107- 1116م):

كان ملكشاه في الموصل عندما قتل ابوه قلج ارسلان فوقع في اسر جاولي مع أخيه شاهنشاه واطلقهما السلطان محمد بسبب صغر سنهما فعادا الى بلاد الروم واستقرا في قونية وتولى ملكشاه الحكم[5].

اما ابنه الاخر طغرل ارسلان فلم يكن معروفاً بسبب قوة شخصية أمه اليونانية ايزابيل الثانية[6] التي استقرت في ملاطية و انشغلت بالزواج أكثر من انشغالها بطلب العرش لابنها. فقد تزوجت ثلاث مرات من الامراء التركمان بحجة ايجاد اتابك ليتولى

(1) مدينة مشهورة ببلاد الروم. ياقوت، معجم البلدان، حـ1، ص75.

(2) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص272-273 وينظر: ابن شداد، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، تحقيق يحيى عبادة، (دمشق:1978) القسم الاول، حـ3، ص419-420.

(3) الفارقي، تاريخ ميافارقين، ص273؛ ابن الاثير، الكامل، حـ9، ص105، 106،107. للتفصيل عن الصراع بين قلج ارسلان وسلاجقة المشرق ينظر الفصل الثالث من هذه الرسالة.

(4) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص 273.

(5) ابن الاثير، الكامل، حـ8، ص107؛ Cahen, La Syrie, p 253

(6) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 140.

تربية ابنها والاحتفاظ بمدينة ملاطية لولدها، وكان آخر زوج لها هـو الامـير بلـق حفيـد الامير ارتق[1].

واوردت اناكومنينا بأن ملكشاه عاد من بلاد فارس، وقـام بتنظـيم شـؤون قونيـة واصبح من القوة بحيث بدأ يتحدى بيزنطة وتوغـل داخـل اراضـيهم، فهـاجم فيلادلفيـا وحاصر نيقية سنة 506هـ / 1112 م. وعنـدما واجـه القوات البيزنطيـة الرئيسـية هـزم امـامهـم واضطر الى طلب عقد الهدنة. وسيطر البيزنطيون على ميناء سـينوب ومعظـم غرب الاناضول[2]. وتروي انا تفاصيل الحرب بـين البيـزنطيين وملكـشاه وكيفيـة عقـد الهدنة بين الجانبين[3].

واثناء مقاومة ملكشاه لجيوش الكسيوس، تآمر عليه اخوه مسعود في قونية وانضم اليه النبلاء، فدفعه ذلك الى عقد الهدنة مع الامبراطور والموافقة على شروطه، للعودة الى قونية من اجل القضاء على تمرد أخيه، وقـد رفـض ملكـشاه أخـذ جـيش بيزنطـي معـه حسب اقتراح الامبراطور لئلا يتهم من قبل الترك بانه اصبح تابعاً للبيزنطيين وكان يأمل كسب تأييدهم[4].

ومن الملاحظ ان الترك قد ضللوا ملكشاه ولم يخبروه الحقيقـة حـول عـودة اخيـه وسيطرته على قونية بمعاونة الدانشمندين، إذ وقف غازي الدانشمندي معه، لان مـسعود كـان صـهره، ممـا ادى الى نجاحـه في دخـول قونيـة وتـولي حكـم الـسلاجقة سـنة 510هـ/ 1116م. عاد ملكشاه الى قونية ودخل في حرب مع اخيه مسعود وانضم معظـم الترك الى مسعود، مما ادى الى هزيمة ملكشاه وإلقاء القـبض عليـه، ثـم قتـل بعـد سمـل عينيه[5].

---

(1) Anna, Op. Cit., p 445; cahen, pre- Ottaman, p. 87.

(2) Anna, Op. Cit., p. 447.

(3) Ibid, p 476-488.

(4) Ibid, p 490.

(5) Ibid, p 491

د. السلطان مسعود الاول واعادة تثبيت السلطنة (510- 550هـ/1116- 1155م):

لم يرد في المصادر وكتب التراجم شيئاً يستحق الذكر عن مسعود بن قلج ارسلان واكتفت تلك المصادر بالاشارة الى وفاته[1] او بعض ما حدث خلال فترة حكمه الطويلة عرضا. فقد ورد اسمه لدى الملك الاشرف الغساني والكتبي، ضمن وفيات سنة 537هـ/ 1143م فأوردا ان بأن محمد الدانشمند قد توفي واستولى على بلاده مسعود بن (قلج) ارسلان صاحب قونية[2]. وورد ذكره في كتاب الاعتبار لابن منقذ[3]، فاورد بأنه رافق نور الدين زنكي (541-569هـ/ 1146-1172م) في احدى حملاته على حصن رعبان وكيسوم من بلاد الملك مسعود سلطان الروم، كما ورد ذكره في عدد من المصادر ضمن حوادث سنة 546هـ/ 1151م التي أشارت الى مهاجمة جيش نور الدين لبلاد جوسلين وهي تل باشر وعين تاب واعزاز، إذ هزم جيش نور الدين واسر حامل سلاحه (سلاحدار)، فارسله جوسلين الى مسعود بن قلج ارسلان باعتبار سلاحدار زوج ابنته[4]. وتلقي تلك الرواية بعض الضوء على العلاقات بين السلطان مسعود ونور الدين من جهة، والصليبيين من جهة اخرى. وعلى الرغم من ان ابن القلانسي عاصر فترة حكم السلطان مسعود فإنه لم يكتب عنه شيئاً يستحق الذكر[5].

استقر السلطان مسعود في قونية بمساعدة غازي الدانشمندي، لذا اصبح تحت نفوذه وتقلصت سلطته واقتصرت على قونية والمناطق المحيطة بها. وتعرض بلاده لهجمات الامبراطور البيزنطي الجديد حناكومنين (512-537هـ/ 1118-1143م) الذي

---

(1) ابن قاضي شهبة، الاعلام بتاريخ اهل الاسلام، مخطوط، المجلد الثالث، القسم الاول، ورقة 322أ؛ المستوفي القزويني، تاريخ كزيدة، ص475؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، حـ5، ص324.

(2) الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، مخطوط، مصورة المجمع العلمي العراقي، رقم، (432)، ورقة 60 أ؛ الكتبي، عيون التواريخ، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود وفيصل السامر، (بغداد:1977)، حـ12، ص376.

(3) كتاب الاعتبار، (برنستون:1930)، ص35.

(4) ابن الاثير، الكامل، حـ9، ص369.

(5) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 311، ص 332.

استولى سنة 514هـ/ 1120م على قلاع ومدن كانت تابعة للسلطان مسعود، مع ذلك وقع مسعود معاهدة مع الامبراطور البيزنطي، لمواجهة اخيه شاهنشاه (عرب)، الذي تحرك من أنقرة وقسطموني نحو قونية، فاضطر السلطان مسعود ان يلجأ الى القسطنطينية وحصل على اسناد الامبراطور البيزنطي، فعاد الى قونية وبمساعدة غازي الدانشمندي تمكن مسعود من الحاق الهزيمة باخيه وأجبره على الفرار[1].

بدأ السلطان مسعود بتقوية سلطنته سنة 529هـ/ 1134م بعد وفاة غازي الدانشمندي وتدخل في النزاع الذي نشب بين افراد البيت الدانشمندي الحاكم، مظهراً حرصه على حقوقهم جميعاً. واستولى اثناء ذلك على انقرة والمناطق القريبة منها من املاك الدانشمنديين، كما سيطر على مدينة اردهان واصبح مسعود اقوى الامراء الترك قوة في اسيا الصغرى[2].

حاول الامبراطور مانويل كومنين (538-576هـ/ 1143-1180م) غزو قونية، الا انه تراجع لشدة المقاومة التي ابداها السلطان مسعود واقتراب الحملة الصليبية الثانية من القسطنطينية، واضطر الى عقد هدنة مع سلطان الروم. واقام مسعود علاقات ودية مع نورالدين وفي الوقت نفسه تنافس معه للسيطرة على شمال سوريا، لكنه كان حذراً من التوغل كثيراً الى عمق بلاد الشام، ولعله استفاد من تجربة جده سليمان ووالده قلج ارسلان وما آل إليه مصيرهما[3].

اعاد السلطان مسعود تثبيت دولة سلاجقة الروم في اسيا الصغرى واصبحت قونية عاصمتها، فقد تخلص من اخوته واصبح مهيمناً على الامراء الدانشمنديين، كما انه صمد امام هجمات البيزنطيين، وتصدى بنجاح للحملة الصليبية الثانية والحق هزيمة ساحقة بملك المانيا كونراد الثالث (533-547هـ/ 1138-1152م) سنة 542هـ/ 1147م[4].

(1) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص141؛ Turan, Op. Cit., p 240.

(2) Cahen, pre- Ottoman, p 96.

(3) Ibid, p. 98; La Syrie, p 379.

(4) Turan, Op. Cit., p 341.

وادى ذلك الى تقوية مركزه في الاناضول ورفع سمعته في العالم الاسلامي، فساعده على تثبيت اركان الدولة مرة اخرى وترك لخليفته قلج ارسلان الثاني دولة راسخة الاركان مستقرة، مما ساعد على جعلها اقوى دولة في الاناضول، عندما تولى حكمها بعد وفاة ابيه. وبذلك دخل سلاجقة الروم دوراً جديداً في حياتهم السياسية يمكن تسميته بعصر القوة.

الفصل الثاني

دولة سلاجقة الروم في أوج قوتها

(550-634هـ/ 1155-1237م)

أولاً: الدولة في عهد قلج ارسلان الثاني

- تقسيم الدولة.
- الصراع بين كيخسرو وسليمان.
- السلطان ركن الدين سليمان الثاني.

ثانياً: عودة ضياء الدين كيخسرو للحكم.

ثالثاً: عزالدين كيكاوس الاول واعادة مجد الدولة.

رابعاً: السلطان علاءالدين كيقباد الاول ووصول سلاجقة الروم الى اوج قوتهم.

اعماله العسكرية.

اعماله العمرانية.

أولاً: الدولة في عهد قلج ارسلان الثاني (550-588هـ/ 1155-1192م)

سار قلج ارسلان على سياسة والده فعمل من اجل الوحدة السياسية لبلاد الاناضول التي ارسى قواعدها السلطان مسعود ونجح في تطوير ادارة الدولة واقتصادها ووضع اسس النهضة الثقافية في البلاد.

واورد المؤرخون بأنه كان ذا سياسة حسنة وهيبة عظيمة وعدل وافر وغزوات كثيرة ضد اعداء الاسلام[1] ووصفه ابن جبير بالعدل في رعيته والمحبة للجهاد[2] ونظراً لاستمراره في محاربة الروم البيزنطيين والتوسع على حسابهم وتحجيم وجودهم في آسيا الصغرى لقب بأبي الفتح[3] كما اطلق على قلج ارسلان سلطان بلاد الروم والشام والارمن والفرنج في نص كتابي عثر عليه في قونية، يرجع الى سنة 588هـ/ 1191م[4] ليدل على نفوذه الواسع الممتد من آسيا الصغرى الى ارمينيا الصغرى وبلاد الشام.

عاصر قلج ارسلان نور الدين محمود زنكي ومن بعده السلطان صلاح الدين الايوبي (570-589هـ/ 1173-1193م)، كما عاصر الامبراطور البيزنطي مانويل كومنين، فكان عليه ان يتبع سياسة تساعده في الوقوف امام تلك الشخصيات القوية، ولهذا لجأ الى اسلوب المناورة السياسية، منها اجراء الاتصالات واللجوء الى المفاوضات وعقد المعاهدات، لتحقيق مكاسب على حساب القوى المعاصرة له.

فبعد تسلمه السلطة بسنتين، ارسل مبعوثية الى الامير الارمني ثوروس والامراء الصليبيين بمن فيهم بلدوين الثالث ملك بيت المقدس، لاقامة تحالف ضد

---

(1) ابن الاثير، الكامل، حـ1، ص219؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، (بيروت:1958)، ص223؛ ابن الوردي، تتمة المختصر، حـ1، ص 151.

(2) رحلة ابن جبير، (بيروت:1984)، ص207.

(3) ابن الفوطي، معجم الاداب في معجم الالقاب، تحقيق محمد كاظم، (طهران:1995)، حـ1، ص284.

(4) حسن الباشا، الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والاثار، (القاهرة: 1989)، ص334-335.

نور الدين[1] وكان من اسباب ذلك التقارب الذي حصل بين نور الدين والامبراطور البيزنطي مانويل، مما دفع بقلج ارسلان الى الاتصال بالارمن والصليبيين.

اقلقت مناورات قلج ارسلان وطموحاته، نور الدين وازداد تخوفه عندما لجأ أخوه نصر الدين الى بلاطه، لهذا تحرك نور الدين سنة 554هـ/ 1159م نحو الشمال وسيطر على الثغور الجزرية مثل رعبان وكيسوم وبهسنا ومرعش سنة 555هـ/ 1160م. وتزامن ذلك مع قيام الامبراطور البيزنطي مانويل بالهجوم على التخوم الغربية للاناضول والسيطرة على دورليوم، فاضطر قلج ارسلان الى التهادن مع نور الدين حيث قامت اخته زوجة نور الدين بزيارة قونية وابرم الصلح مع نور الدين سنة 555هـ/ 1160م، حتى يستطيع مواجهة الروم[2]

اما سياسته داخل بلاد الاناضول فكانت توسعية منذ توليه السلطنة،اذ اراد في بداية الامر تقوية سلطته والتخلص من منافسة اخيه شاهنشاه حاكم انقرة وقسطموني، الذي تحالف مع ياغى باسان الدانشمندي امير سيواس ومقابل ذلك تحالف قلج ارسلان مع ذي النون امير قيسارية وذي القرنين امير ملاطية، من الاسرة الدانشمندية[3]

ازداد الصراع بين قلج ارسلان وياغي باسان، للاستيلاء على ملاطية في اعقاب وفاة اميرها الدانشمندي ذي القرنين، مما دفع بياغي باسان الى التحالف مع الامبراطور مانويل. وقاد الاخير حملة عسكرية الى انطاكية، ماراً ببلاد سلاجقة الروم، كما هاجم ياغي باسان الحدود الشمالية لبلاد قلج ارسلان، فانسحب من تلك المناطق وتركها لياغي باسان وعقد معه الصلح[4]

وأشار ابن الاثير الى الحرب بين قلج ارسلان وياغي باسان، حيث اورد بان

(1) Cahen, la Syrie, p 394-395.

(2) Elisseeff, NUR AD- DIN. (DAMAS:1967), p 547.

(3) Cahen, Pre- Ottoman, p. 100.

(4) Elisseeff, Op. Cit, p 548.

سبب الحرب يعود الى قيام ياغي باسان باختطاف عروسه، ابنة الملك سلتق بن علي بن ابي القاسم سنة 560هـ/ 1165م[1] وزوجها من ابن اخيه ذي النون. وادى ذلك الى نشوب الحرب بين الجانبين، فانهزم قلج ارسلان ولجأ الى ملك الروم[2].

وعند تحليل رواية ابن الاثير يتضح ان قلج ارسلان، اراد مصاهرة الاسرة السلتقية الحاكمة في ارزن الروم، ليحاصر الدانشمنديين في الشرق ثم يقوم بالاجهاز عليهم. وفطن ياغي باسان الى خطته فمنع قيام تلك المصاهرة، وزوج عروس قلج ارسلان من حليفه الدانشمندي ذي النون امير قيسارية وبذلك خسر قلج ارسلان حليفه وكان ذلك سببا في هزيمته وعقده الصلح مع ياغي باسان اولا ثم التقرب من البيزنطيين ثانيا.

اضطر قلج ارسلان ان يتوجه الى القسطنطينية سنة 562هـ/ 1167م، لأنه كان يدرك تماما دور بيزنطه السياسي الذي يستند على تشجيع الامراء الترك، ليضربوا بعضهم البعض حيث تنازل للبيزنطيين عن بعض القلاع الحدودية وبعد ان امن الجانب البيزنطي عاد الى بلاده وعمل على تثبيت حكمه[3]

حصل انقسام في صفوف الدانشمنديين بعد وفاة ياغي باسان سنة 561هـ/ 1164م، فاصبح ابن اخيه اسماعيل اميراً على سيواس وتولى اخوه محمود امارة ابلستان. وراى قلج ارسلان بان الفرصة مواتية للاستيلاء على المدن الخاضعة للدانشمنديين، فبدا بمهاجمتهم واستولى على انقرة مما ادى الى لجوء كل من ذي النون وشاهنشاه الى الامبراطور مانويل[4] كما حدث تمرد في سيواس سنة 564هـ/ 1167م بسبب سوء الاوضاع الاقتصادية، ادى الى قتل الامير اسماعيل

---

(1) حكم بنو سلتق في مدينة ارزن الروم. ينظر: لين بول، الدول الاسلامية، حـ1، ص336-337.

(2) الكامل، حـ9، ص477؛ ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، حـ3، ص42؛ ابن الوردي، تتمة المختصر، حـ2، ص97؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، حـ5، ص190.

(3) Turan , Op. Cit, p.203, ElisseefF,Op.cit, p. 548, Cahen, Op. Cit, p. 101.

(4) Cahen, La Syrie, p. 414.

الدانشمندي وتولى ذي النون امارة سيواس، فضلاً عن وقوع اضطرابات في اماسية ضد اسماعيل، فتدخل قلج ارسلان واستولى على المدينة[1].

لم يتمتع ذو النون بحكم سيواس طويلاً، فقد هاجمه قلج ارسلان سنة 565هـ/ 1168م واستولى على ملاطية وسيواس، فهرب ذو النون الى حلب، ليستنجد بنور الدين محمود زنكي[2]. وكان الاخير سلطانا على بلاد الشام والجزيرة ومصر. وقد تمكن اميره على مصر صلاح الدين الايوبي من انهاء حكم الفاطميين هناك وربط مصر بعجلة السياسة الزنكية[3] ولذلك وجد ذو النون في نور الدين الشخصية القادرة لانجاده فاتجه اليه بطلب النصرة.

ومما يجدر ذكره ان نور الدين وجد في اعادة ذي النون الى سيواس، فرصة مناسبة له لبسط سيطرته على شمال سوريا واقليم الجزيرة، فتحرك شمالا سنة 568هـ/ 1172م بحجة اعادة ذي النون الى امارته، مما اضطر قلج ارسلان للدخول في مفاوضات معه، وافق خلالها على عودة ذي النون الى حكم سيواس تحت حماية جيش نور الدين، الا ان تلك الحماية السابقة التي حصل عليها ذو النون، انتهت بوفاة نور الدين في 11 شوال سنة 569هـ/ 15 ايار سنة 1174م[4]، حيث انسحب جيشه بعدها من منطقة سيواس، مما دفع بقلع ارسلان لاعادة سيطرته على المدينة وبقيه املاك الدانشمنديين. وبذلك اصبح نهر الفرات الحد الشرقي لدولته.

وقد تعامل قلج ارسلان اثر انتصاراته السابقة مع البيزنطيين بطريقة جديدة ساعدته على تقوية نفوذه في اسيا الصغرى، فعلى الرغم من مهادنته الروم البيزنطيين، لم يتوان عن مهاجمة جيش مانويل اثناء حملاته على انطاكية، لاسيما

---

(1) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص33.

(2) Cahen pre- Ottoman, p. 102.

(3) Ibid, p. 102.

(4) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 50؛ ابن واصل، مفرج الكروب، تحقيق جمال الدين الشيال، (القاهرة: 1953)، حـ1،ص233؛ ابن الوردي، تتمة المختصر،حـ2،ص116-117.

اثناء انسحابه عبر ممرات كيليكيا[1].

استتب الامر لقلج ارسلان في بلاد الاناضول بعد وفاة نور الدين زنكي -كما مر ذكره- فقد سيطر على بلاد الدانشمنديين ولجأ ذو النون الدنشمندي الى القسطنطينية لينضم الى شاهنشاه اخو قلج ارسلان على امل العودة الى حكم المناطق التي فقدوها، بمعاونة الامبراطور البيزنطي. واراد مانويل انهاء النفوذ السلجوقي في بلاد الاناضول، فتقدم حتى قونية وعندما دخل جيشه ممراً جبلياً قرب قلعة ميريوكيفالون شمال غرب قونية، أنزل قلج ارسلان هزيمة ساحقة بالامبراطور البيزنطي. وكان من نتائج تلك المعركة تثبيت سلطة سلاجقة الروم بصورة نهائية، لانها أدت الى ضعف سلطة البيزنطيين ولم يفكروا بعد ذلك في محاربة السلاجقة او اخراجهم من بلاد الاناضول[2] لهذا تعد تلك المعركة مثل معركة ملازطرد من المعارك الفاصلة في التاريخ[3]، ان ذلك الانتصار السابق دفع بالسلطان قلج ارسلان للتقدم نحو ملاطية سنة 573هـ/ 1177م منهياً بذلك حكم آخر امير دانشمندي[4] ويستدل من النصوص التاريخية بان السلاجقة انشغلوا بالحرب طيلة القرن 6هـ/ 12م، لابعاد خطر اعدائهم عنهم في الداخل، الذين كانوا يطوقونهم كالخاتم. وتمثل اؤلئك الاعداء باليونانيين والارمن والدانشمنديين[5].

سيطر قلج ارسلان على الثغور الشامية بما فيه حصن رعبان بعد وفاة نور الدين زنكي وقد انشغل صلاح الدين الايوبي في بداية توليه السلطة بتثبيت حكمه في بلاد الشام والاعداد لمواجهة الغزاة الصليبيين، لم يرق له زيادة نفوذ قلج ارسلان وسيطرته على القلاع والحصون في شمال بلاد الشام، لانها تشكل تهديداً مباشراً لحلب، فارسل حملة عسكرية استولت على حصن رعبان سنة

(1) ابن الاثير الكامل، حـ10،ص62؛ Cahen, Op. Cit, p. 100.

(2) Vasiliev, Op. Cit, Vol. 2, p 429.

(3) لتفصيل عن هذه المعركة ينظر الفصل الرابع من هذه الرسالة.

(4) مؤلف مجهول، تاريخ الرهاوي المجهول، ترجمة البيرابونا، (بغداد:1986)، حـ2، ص215-216.

(5) Gordlevsky, Op. Cit, p.52.

575هـ/ 1179م[1] ولم يرغب قلج ارسلان دخول الحرب ضد صلاح الدين وفضل الانسحاب والعمل من اجل تثبيت دولته في آسيا الصغرى.

اراد قلج ارسلان اخضاع شمال الجزيرة لحكمه فزوج ابنته من نور الدين محمد بن قرا أرسلان الارتقي امير حصن كيفا واعطاه بعض القلاع من بلاده، مما ادى الى تقوية مركزه، لحصوله على مساعدة سلطان سلاجقة الروم. وعندما تزوج نور الدين من جارية واهمل ابنة قلج ارسلان أتخذ ذلك الزواج ذريعة لمهاجمته، فاستجار بالسلطان صلاح الدين[2].

وقد راى صلاح الدين في اجارة نور الدين فرصة مناسبة للتدخل في بلاد الجزيرة، بغية اضعاف الزنكيين في الموصل، من اجل اتمام وحدته التي خطط لها، ليتفرغ لمنازلة اعدائه الصليبيين، لذلك قاد جيشه نحو الجزيرة، عندما رفض قلج ارسلان ارجاع بلاد نور الدين بن قرا ارسلان له. وادى تدخل صلاح الدين الى أقرار الصلح بين قلج ارسلان ونور الدين محمد بن قرا ارسلان[3]. وبذلك كسب صلاح الدين حليفاً جديداً في الجزيرة ومنع قلج ارسلان من التوسع.

وعلى الرغم من ان صلاح الدين وضع حداً لتوسع قلج ارسلان نحو الجنوب الا انه كان اقوى شخصية في بلاد الروم، فقد حمل لقب السلطان وسك النقود باسمه[4]. وبسبب ضعف سلاجقة المشرق، اصبح من اقوى سلاطين آل سلجوق. ويستنتج ذلك مما ذكره الرحالة ابن جبير –الذي عاصر سلطان الروم- نقلاً عن احد الحجاج القادمين من بلاد الروم الذي أخبره بان سلطانهم فتح (25) بلداً في بلاد الروم وبان الامبراطور البيزنطي كان يدفع له الجزية[5].

ويلقي ابن جبير بعض الضوء على قوة قلج ارسلان عند وصفه موكب ابنته

(1) ابن واصل، مفرج الكروب، (القاهرة: 1957)، حـ2، ص79.

(2) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص101؛ ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، حـ3، ص62.

(3) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 102؛ وللتفصيل ينظر الفصل الثالث من هذه الرسالة.

(4) رايس، السلاجقة، ص240-241.

(5) رحلة ابن جبير، ص 206.

سلجوقي خاتون[1] خلال موسم الحج سنة 579هـ/ 1183م، حيث التقى بموكبها يوم الجمعة (23) ذي الحجة، ووصف سلجوقي خاتون بأنها من اعظم الخواتين قدراً بسبب سعة ملك ابيها[2].

واشاد الشاعر سبط بن التعاويذي[3] بقوة السلطان قلج ارسلان عبر مرثية نظمها لزوجة الخليفة العباسي الناصر لدين الله سلجوقي خاتون بنت قلج ارسلان والتي توفيت في بغداد سنة 584هـ/ 1188م، جاء فيها:

ولو قورعت حمر المنايا وسودها بمرهفة بيض وخطية سمر

لقارع عنها بالصوارم اب نافذ السلطان ممتثل الامر

نجح قلج ارسلان في توسيع رقعة مملكة سلاجقة الروم بعد قضائه على المعارضين لحكمه في الداخل وأنقياد التركمان له في اسيا الصغرى، فضلاً عن قيادته لحركة الجهاد ضد الدولة البيزنطية حتى تمكن من اخضاع معظم آسيا الصغرى وبذلك فقدت الدولة البيزنطية القدرة على مهاجمة السلاجقة، كما نجح في تكوين علاقات حسنة مع الخلافة العباسية والامراء المسلمين مثل نور الدين زنكي ومن بعده صلاح الدين الايوبي. وعلى الرغم من تلك الانجازات فقد اتهم في دينه، بسبب ميله الى مذهب الفلاسفة[4]. لهذا كان احد شروط نور الدين زنكي

(1) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، (بيروت: 1988)، جـ1، ص42؛ مصطفى جواد، سيدات البلاط العباسي، (بيروت:1950)، ص 182-189.

(2) رحلة ابن جبير، ص 107.

(3) ديوان سبط بن التعاويذي، (القاهرة :1903)، قصيدة رقم 138، ص223.

(4) يعطي اصحاب هذا المذهب الاولوية للعقل في الحكم على الاشياء بخلاف الدين الذي يعطي الاولوية للوحي مع احترامه للعقل واعتباره اداة ضرورية للمعرفة البشرية. وقد تأثر اصحاب هذا المذهب بالفلسفة اليونانية التي ترجم الكثير من مصنفاتها الى اللغة العربية. ينظر: عبد العزيز الثعالبي، محاضرات في تاريخ المذاهب والاديان، (بيروت:1985)، ص 8.

لعقد الصلح معه سنة 568هـ/ 1172م هو ان يعيد قلج ارسلان اسلامه امام رسله لانه في نظر نور الدين خرج عن الاسلام. وكان قلج ارسلان من الـذكاء والفطنـة السياسية بان اعلن اسلامه امام رسل نور الدين البسطاء[1].

وتأصلت تلك المعتقدات لدى سلاطين سلاجقة الـروم الـتي ورثوهـا عـن جدهم قتلمش[2]. كما ان موقع بلادهم واختلاطهم مع الاغريق في اسيا الصغرى ومع الارمن والفرنج، ادى الى تأثرهم بافكار الملل المسيحية. فضلا عن اثـر ترجمـة الفلسفة اليونانية الى اللغة العربية، فقد كان لمذهب الفلاسفة اثر واضح على عقائد الاغريق، في الوقت الذي ظل المـسلمون الـترك علـى بـساطة الاسـلام وانـشغلوا بالجهاد ضد الـروم والـصليبين ولم يهتمـوا بـالامور العقائديـة والفلـسفة باسـتثناء السلاطين.

أ. تقسيم الدولة:

ارتكب قلج ارسلان في السنوات الاخيرة من حكمه خطأً كبيراً عنـدما قـام سنة 582هـ/ 1186م بتقسيم اسيا الصغرى بين ابنائه، فمهد بعمله قيام الحرب بـين ابنائه للوصول الى السلطة[3]. وكانت حصصهم من بلاد الاناضول كما ياتي:

- قطب الدين ملكشاه، سيواس واقصرا.
- ركن الدين سليمان، توقات.
- ناصر الدين بركياروق، نيكسار.
- مغيث الدين طغرل شاه، ابلستان (ابلستين) وارزن الروم.
- نور الدين محمود سلطان شاه، قيسارية.
- معز الدين قيصر شاه، ملاطية.

---

(1) ابن الاثير، الباهر، ص 162.

(2) ينظر الفصل الثالث من هذه الرسالة.

(3) ابن ابي عذيبة، انسان العيون في مشاهير سادس القرون، مخطوط، دار صدام، (رقم 4057)، ورقـة 75.

- ارسلان شاه، نيكده Nigda
- محي الدين مسعود شاه، انقرة.
- غياث الدين كيخسرو، برغلو في غرب الاناضول.
- سنجر شاه، هيراقلية في جبال طوروس.
- نظام الدين ارغن شاه، اماسية[1].

علماً بان تعيينهم تم بصورة رسمية بعد ان حضروا الى بلاط السلطان واصبح لزاماً عليهم ان يقودوا جنودهم ليلتحق كل واحد منهم بإدارة المنطقة المخصصة له، كما كان عليهم ان ينضموا الى والدهم مع جيوشهم عند الحاجة. واحتفظ قلج ارسلان بالعاصمة قونية[2].

ولم تمض سنتان على ذلك التقسيم حتى بدأ الابن الاكبر لقلج ارسلان ملكشاه بالتحرك ضد أبيه وأخوته، فوقع قلج ارسلان تحت تأثيره وأظهر ندمه على تقسيمه لبلاده بين ابنائه وحاول ان يصحح خطأه، فمال الى تولية ابنه ملكشاه وطلب من ابنائه الاخرين الخضوع له وأراد تقوية مركزه، لذلك خطب له ابنة السلطان صلاح الدين ولم يرق ذلك لاخوته الذين خرجوا عن طاعة ابيهم[3].

ومع ذلك تحرك ملكشاه الى قونية فامر السلطان عساكره بقيادة وزيره أختيار الدين حسن بن عفراس بمقاومته واستطاع ملكشاه دحر جيش ابيه ودخول قونية[4]، وحجر على والده وقتل جماعة من امرائه واجبره على جعله ولياً للعهد امام الامراء وشهد الشهود على ذلك، الا انه ابقى الخطبة والسكة باسم والده[5]،

---

(1) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص219-220؛ ابن بيبي، تواريخ آل سلجوق، (ليدن 1902)، ص5؛ Cahen, Op. Cit, p. 111;
لين بول، الدول الاسلامية، حـ1، ص312؛ زامباور، معجم الانساب والاسرات الحاكمة، ص215.

(2) Cahen, Op. Cit, p.111.

(3) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص220؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص214.

(4) ابن ابي عذيبة، انسان العيون، ورقة 75.

(5) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، (البصرة: 1967)، المجلد الرابع، حـ2، ص93.

وتظاهر بالخضوع له وابتغى من وراء ذلك اخضاع اخوته.

وتحالف ملكشاه مع فخر الدين بهرام شاه امير ارزنجان ودبر معه مكيدة للتخلص من وزير ابيه حسن بن عفراس عندما طلب بهرام شاه من قلج ارسلان ارساله الى ارزنجان بشان اقرار الصلح بينه وبين اولاده. وفي الوقت نفسه اتفق سراً مع ملكشاه على قتله في الطريق، فكمن له رجال ملكشاه في الطريق فقتلوه مع ابنه[1].

واجبر ملكشاه اباه على الخروج معه للاستيلاء على قيسارية من اخيه محمود. واثناء حصار ملكشاه لقيسارية، افلت قلج ارسلان من الحجز ودخل قيسارية ليحتمي بأبنه محمود، فرفع ملكشاه الحصار عن قيسارية ورجع الى قونية ليعلن نفسه سلطاناً[2].

ويفهم من رواية ابن الاثير ان محمود اساء استقبال ابيه[3]، ولهذا غادر قيسارية وظل ينتقل بين اولاده ويقيم عند كل واحد منهم فترة وهم يتبرمون منه حتى وصل الى بلاط ابنه الاصغر كيخسرو امير برغلو الذي احسن استقباله واعلن الخضوع له وتقدم معه الى قونية واستولى عليها، مما اضطر ملكشاه الى الانسحاب الى سيواس[4].

وبعد ان استقر في قونية جمع كبار امراء الدولة واعلن ان كيخسرو هو ولي عهده[5]. وفي الوقت نفسه طلب منه ان يسير معه الى قيسارية لتأديب ولده محمود، فامتثل كيخسرو لامر والده وسار الى قيسارية وحاصرها. واثناء ذلك مرض قلج ارسلان وتوفي في منتصف شعبان سنة 588هـ/ 1192م، فرفع كيخسرو الحصار عن

---

(1) الاصفهاني، الفتح القسي، ص623؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، المجلد الرابع، حـ2، ص93.

(2) الاصفهاني، الفتح القسي، ص623؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، المجلد الرابع، حـ2، ص94.

(3) الكامل، حـ10، ص219.

(4) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص223؛ ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، حـ3، ص84؛ الدواداري، كنز الدرر، حـ7، ص111.

(5) ابن بيبي، تواريخ آل سلجوق، ص 4-5؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، حـ6، ص117-18.

قيسارية ورجع الى قونية لدفن ابيه وتوج سلطانا[1]. وثمة مصادر تشير ان قلج ارسلان قتل[2]، واغلب الاحتمال انه توفي بعد ان تقدمت به السن.

ب. الصراع على السلطة بين ابناء قلج ارسلان الثاني

(588-593هـ/ 1192-1196م):

دفع وفاة قلج ارسلان بأبنائه الى زيادة تنافسهم على السلطة، فلم يستطع كيخسرو اقناع اخوته الاعتراف بسلطته، فقد طلب منه اخوته الابقاء على المدن التابعة لهم في ايديهم مقابل الاعتراف بسلطته ولم يستطع ان يفرض عليهم سلطته، فاستقل كل واحد منهم وسكوا نقوداً خاصة بهم.

وكان ملكشاه من اقوى ابناء قلج ارسلان واراد ضم مدينة قيسارية لحكمه، لذلك حسن علاقاته مع اخيه محمود الذي كان يخرج لاستقباله عندما كان يمر قرب قيسارية، في تنقله عبر مدينتي سيواس اقصرا. ولم يحتط محمود ما كان يبيته له اخوه ملكشاه، وعندما راى الفرصة مناسبة للتخلص منه قتله سنة 589هـ/ 1193م وهاجم قيسارية والبستان، فهرب اخوه طغرل شاه ولجأ الى الملك ليو الارمني الذي ساعده في العودة الى البستان بعد موت ملكشاه[3].

ادى وفاة ملكشاه الى فسح المجال امام اخيه سليمان امير توقات للتحرك والاستيلاء على سيواس واقصرا وابلستان وقيسارية واصبح اقوى امير في الاناضول. وبعد ان نظم ادارة المناطق التي استولى عليها وانضم اليه معظم التركمان، تقدم نحو قونية وحاصرها[4]، حيث دافع اهل قونية عن مدينتهم ببسالة.

---

(1) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 223.

(2) الذهبي، تاريخ الاسلام، مخطوط، مصورة مكتبة الدراسات العليا جامعة بغداد، رقم (1659)، القسم الاول من سنة (581-607هـ)، ورقة 32؛ ابن ابي عذيبة، انسان العيون، مخطوط، ورقة 85؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، حـ21، ص211.

(3) Cahen, Op. Cit, p. 115.

(4) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 220.

واشار ابن بيبي بأنه كان يتصدى (60) ألفاً من رماة السهام للمهاجمين يومياً[1]. وعزا المستوفي القزويني سبب ذلك الى حب اهل قونية لكيخسرو وميلهم إليه[2]. وكان من عادة اهل المدن عدم فتح ابواب مدنهم امام الجيوش المهاجمة، خوفاً من قيام الغزاة بنهبها، فلا يسمحون لاحد دخول المدينة إلا وفق شروط يتفق عليها، منها ضمان سلامة الارواح والحفاظ على الممتلكات.

وعندما طال امد الحصار، ارسل اهل قونية الى سليمان وطلبوا منه وقف الهجوم وعقد الصلح. واشترطوا عليه ان يسمح لكيخسرو وافراد اسرته بالخروج من المدينة والتوجه الى أية دولة يرغب الاقامة فيها. ويبدو انهم اخذوا برأي كيخسرو في امر تسليم المدينة وانهم فرضوا ذلك الشرط بناءً على طلبه. وقد وافق سليمان على تلك المقترحات واعطى لاخيه المواثيق ثم دخل المدينة وتولى السلطنة فيها سنة 593هـ/ 1196م[3].

ج. السلطان ركن الدين سليمان الثاني

(593-600هـ/ 1196-1204م):

استقبل اعيان ووجهاء مدينة قونية السلطان سليمان وطلبوا عنه الصفح عنهم بسبب مساندتهم لاخيه كيخسرو، فعفى عنهم. ولكي يكسب تأييدهم ويحصل على مساندتهم، امر بتوزيع خراج خمس سنوات عليهم، فأصابت العامة والخاصة وافراد الجيش وشمل التكريم ايضاً عمال الخراج[4]. ونظراً لكثرة اكرام السلطان لاهل قونية فقد قصد بلاطه الشعراء واهل الفن. ومدحه الشاعر ظهير الدين فاريبي بقصيدة طويلة، فاغدق عليه السلطان المال والخلع والخيول[5]. اما كيخسرو فقد خرج من قونية وتوجه نحو القسطنطينية، سالكاً طريق اسكي شهر

---

(1) تواريخ آل سلجوق، ص7.

(2) تاريخ كزيدة، ص 476.

(3) ابن بيبي، تواريخ آل سلجوق، ص7.

(4) ابن بيبي، الاوامر العلائية في الامور العلائية، (انقرة: 1957)، ص 76-78.

(5) نفسه، ص91-88.

وترك ابنيه كيكاوس وكيقباد في قونية. عندما وصل الى بلدة لاديق قرب قونية، تعرض اهلها له واصابوا مرافقيه، فارسل كتاباً الى اخيه سليمان معاتباً اياه على سوء تصرف اهل لاديق. اظهر سليمان انزعاجه وامر باحضار الرجال الذين تصدوا لاخيه كيخسرو وتظاهر بأنه سيكافؤهم وبعد ان حضروا امر بقتلهم جميعاً[1]. فضلاً عن حرق بلدة لاديق. وذكر بأن من يستهين بالسلاجقة سيكون مصيره مثل مصير اهل لاديق[2].

ويظهر ان السلطان الجديد اراد بذلك الاجراء الدموي، فرض سيطرته المركزية على البلاد، فضلاً عن اعادة هيبة الدولة التي ضعفت بسبب الصراع الداخلي وقد دفع ذلك الحادث كيخسرو على تغيير وجهته جنوباً. اما ابناؤه فاستقبلهم سليمان وخيرهم بين البقاء في قونية او اللحاق بأبيهم، فاختاروا اباهم ووصلوا الى ارمينيا الصغرى، حيث استقبلهم ليو الارمني واظهر احتراماً كبيراً لكيخسرو وظل في ضيافته شهراً كاملاً، ثم توجه الى ملاطية، حيث استقبله اخوه قيصر شاه واعرب عن اسفه بخصوص مسلك اخيهم سليمان، ثم عرض عليه ان يتولى امارة المناطق الخاضعة له وبانه سيلتحق بالملك العادل الايوبي، لانه كان صهره، لكن كيخسرو رفض مقترحه، وذكر بانه سيذهب الى الملك العادل بنفسه ليستشيره في امره[3].

غادر كيخسرو ملاطية، متوجهاً الى حلب، فاحسن الامراء الايوبيون استقبال ضيفهم ولكنهم لم يساعدوه، فرحل الى آمد واستقبله بحفاوة اميرها الارتقي قطب الدين سكمان الثاني (581-597هـ/ 1185-1201م)، ثم رحل الى اخلاط وواصل رحلته حتى وصل ساحل البحر الاسود. وتوجه بعد ذلك مباشرة الى القسطنطينية، فاستقبله الامبراطور البيزنطي الكسيوس الثالث (593-600هـ/ 1195-1203م) بحفاوة الذي سمح له بالاستقرار في احدى ضواحي

---

(1) ابن بيبي، تواريخ آل سلجوق، ص 8-9.

(2) نفسه، ص9.

(3) إبن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص11.

المدينة[1].

استفاد السلطان سليمان من لجوء الامير كيخسرو الى البيزنطيين اعداء المسلمين التقليديين وهذا ما زاد من شرعية حكمه، فلم يعد الناس ينظرون إليه كغاصب للعرش، وساعده ذلك على النجاح في اعادة توحيد الدولة. فهاجم ملاطية واستولى عليها، لذا هرب اخوه قيصر شاه ولجأ الى الملك العادل، ثم استولى على نيكسار واماسية. توجه بعد ذلك شرقاً وحاصر ارزن الروم (أرضروم). وعندما خرج اميرها لعقد الصلح معه، قبض عليه، منهيا بذلك حكم آل سلتق[2].

ولتعزيز سيطرته على شرق الاناضول، عين اخاه مغيث الدين طغرل شاه اميراً على ارزن الروم، ثم توجه نحو انقرة، بسبب رفض اخيه مسعود الخضوع له وحاصر المدينة فاستسلمت له سنة 600هـ/ 1204م، الا انه غدر بأخيه مسعود وقتله بتهمة التحالف مع البيزنطيين الذين لم يستطيعوا تقديم العون له، بسبب سيطرة الصليبيين على القسطنطينية[3].

حاول سليمان توسيع الدولة شرقاً وتقدم داخل بلاد الكرج سنة 598هـ/ 1202م، محققاً بعض الانتصارات وجمع جيشه غنائم كثيرة إلا ان الكرج هاجموه وهزموا جيشه فانسحب الى ارضروم[4]. ويستنتج من رواية مؤلف كتاب تاريخ الرهاوي ان سليمان كان قد ارسل قسماً من جيشه نحو الجنوب لغزو دولة ارمينيا الصغرى والتوسع على حساب الايوبيين وادت الحرب في جبهتين الى خسارته،

---

(1) نفسه، ص12؛ المستوفي القزويني، تاريخ كزيدة، ص276.

(2) ابن الساعي الخازن، الجامع المختصر في عنوان التواريخ والسير، (بغداد:1934)، حـ9، ص53؛ الملك الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم، (بيروت:1975)، ص 264-265؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص226.

(3) ابن بيبي، الاوامر العلائية، ص105؛ Cahen, Op. Cit, p. 115.

(4) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص288-289؛ ابن بيبي، تواريخ آل سلجوق، ص 22-23.

ففقد في الحرب مع الكرج نحو (20) ألفا من رجاله، معظمهم وقعوا في الاسر[1] .

وياخذ المؤرخون على سليمان ميله الى مذهب الفلاسفة وعلوم الاوائل وبأنه احسن الى معتنقي تلك الطائفة وكان لهم منزلة عنده وقام بحمايتهم لذلك أتهم بفساد العقيدة[2]. واورد ابن الاثير بانه كان يخفي فكره ومذهبه، خوفا من تعرض الامراء المسلمين له وفي الوقت نفسه يدافع عن معتنقي مذهب الفلاسفة حتى اصبح ملجأً لهم، ولجأ اليه شخص اتهم بالزندقة واعتناق مذهب الفلاسفة، فتناظر معه احد الفقهاء بحضور سليمان ولطم الفقيه وجه مناظره عندما طرح افكاره وسليمان ساكت وبعد ان انصرف الفقيه عاتبه ضيفه المتهم بالزندقة لانه لم يدافع عنه فاخبره سليمان بأنه لا يمكن اظهار المذهب امام الناس[3] .

وبينما كان سليمان يستعد لمهاجمة الكرج [4] أصيب بمرض القولنج[5] الذي لم يمهله سوى سبعة ايام حيث توفي في (6) ذي القعدة سنة 600هـ/ (20) تموز 1204م[6]. ومن الجدير بالذكر ان المؤرخين نسبوا الى سليمان القسوة، ويروي ابن بيبي عدة روايات بهذا الشأن[7]. واستند المؤرخون في ذلك الى موقفه من اخوته والامراء المحليين اذ تم القضاء عليهم بقتلهم او طردهم. وكان الموقف يتطلب من

(1) مؤلف مجهول، تاريخ الرهاوي المجهول، ص242.

(2) ابن الساعي الخازن، الجامع المختصر، حـ9، ص136؛ ابو الفدا المختصر في اخبار البشر، حـ3، ص105.

(3) الكامل، حـ10، ص 292.

(4) ابن بيبي، تواريخ آل سلجوق، ص23.

(5) مرض يؤدي الى انسداد المعي المسمى قولون. ينظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، (القاهرة: 1342هـ)، ص98.

(6) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، حـ2، ص860؛ ابن واصل، مفرج الكروب، حـ3، ص160؛ الذهبي، تاريخ الاسلام (590-600هـ)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، (بيروت: 1997)، ص435.

(7) الاوامر العلائية، ص93-95.

السلطان ان يكون حازماً بما فيه استخدام القسوة احياناً، لاعادة توحيد الدولة التي تفككت إثر تقسيم والده الدولة بين ابنائه، الا انه كان قاسياً اكثر من كونه حازماً.

تولى الحكم في قونية بعد وفاة سليمان ابنه قلج ارسلان الثالث، فاستغل قادة الجيش صغر سنه للاستئثار بالسلطة. واشتدت المنافسة بينهم، فوقف الامير نوح الب وأمير منده والامير توزبك الى جانب قلج ارسلان، اما الامراء شمس الدين الكردي وظهيرالدين ايلي وبدر الدين يوسف فكانوا يميلون الى كيخسرو وارادوا اعطاء عرش قونية له، فتحرك انصاره وارسل الامير مظفر الدين محمود بن ياغي باسان الدانشمندي[1] الحاجب زكريا الى كيخسرو يدعوه الى قونية لتولي السلطنة[2].

ويظهر انه كان للامراء الكرد دور غير قليل في جيش سلاجقة الروم ولعبوا دوراً اساسياً في أمر عرش قونية وساهموا في مؤامرات البلاط وتنصيب السلاطين او عزلهم.

ثانياً: عودة غياث الدين كيخسرو (601-607هـ/ 1204-1211م)

يروي ابن بيبي[3] تفاصيل رحلة الحاجب زكريا ووصوله الى قلعة الامير البيزنطي موروزوميس Maurozomes (مفروزم)[4] قرب القسطنطينية، الذي كان قد استقل عن البيزنطيين بعد سيطرة الصليبيين على القسطنطينية سنة 600هـ/ 1204م وانتقال مركز الدولة البيزنطية الى مدينة نيقية، وكان كيخسرو يعيش في بلاط الامير المذكور واصبح زوجاً لابنته[5].

كان الحاجب زكريا يحمل عدة رسائل من امراء قونية لكيخسرو وبعد ان اطلع عليها، صمم على العودة، الا ان رحلة العودة كانت محفوفة بالمخاطر، لان

(1) Gordlevsky, Op, cit, Tom. 1, p. 55.

(2) ابن بيبي، الاوامر العلائية، ص109-111؛ تواريخ آل سلجوق، ص24.

(3) الاوامر العلائية، ص 113-117.

(4) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 288-289.

(5) Cahen, Op. Cit, p. 116.

علاقات الامير موروزوميس، حمو كيخسرو لم تكن ودية مع امبراطور نيقية البيزنطي ثيودور لاسكاريس (600-619هـ/ 1204-1222م)، لذلك حاول منع مرور كيخسرو عبر بلاده عندما وصل الى نيقية. فضلاً عن انه كان ضعيفاً، فخاف ان يتعرض لهجوم سلطان قونية قلج ارسلان الثالث، ومع ذلك وافق على عبوره شريطة ان يعطيه جميع المناطق الواقعة بين نيقية وقونية، في حالة استيلائه على السلطة، على ان يبقى اولاد كيخسرو وزكريا الحاجب رهائن عنده. وافق كيخسرو على شروط الامبراطور لانه لم يكن يملك سبيلاً اخر للوصول الى قونية. وبعد رحيل كيخسرو نحو قونية، دبر زكريا الحاجب الفرار من الحجز بصحبة اولاد كيخسرو، عن طريق رشوة الحراس. وهكذا هربوا والتحقوا بكيخسرو قبل دخوله قونية[1].

وعلاوة على رواية ابن بيبي، أورد ابن الاثير رواية متكاملة حول لجوء كيخسرو الى البيزنطيين وعودته، فاشار بانه عاد الى قونية في جمادي الاول سنة 601هـ كانون الثاني/ 1204م مع عدد كبير من اتباعه. وخرج جيش قلج ارسلان الثالث لمواجهته وهزموه وبقي في حيرة من امره، فصادف اثناء ذلك قيام سكان مدينة اقصرا بطرد واليهم وارادوا تنصيب غياث الدين كيخسرو سلطاناً عليهم، بعد ان علموا بقدومه الى الاناضول. وعندما علم اهل قونية بأحداث مدينة اقصرا، اتصلوا مع كيخسرو واستدعوه، لانه كان قد احسن اليهم اثناء فترة حكمه الاولى (588-593هـ/ 1192-1196م)، بعد ان القوا القبض على قلج ارسلان الثالث وامرائه، فدخل المدينة وتوج سلطاناً سنة 601هـ/ 1204م[2].

ويفهم من رواية ابن الاثير ان انصار كيخسرو، داخل مدينة قونية، استغلوا خروج جيش قلج ارسلان الثالث لمحاربة كيخسرو، فتحركوا بسرعة وسيطروا على المدينة واعتقلوا قلج ارسلان الثالث وامراءه ولم يستطع انصاره الذين انشغلوا بالتصدي لكيخسرو خارج قونية ان يفعلوا شيئاً. الا ان هذا الافتراض قد يصبح

(1) ابن بيبي، الاوامر العلائية، ص117-121.

(2) الكامل، حـ10، ص295-296؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص243-244.

ضعيفاً بالاعتماد على رواية ابن بيبي الذي لا يشير الى هزيمة كيخسرو على ابواب قونية بل يذكر بان اهل قونية لم يوافقوا على دخول كيخسرو المدينة، لانهم كانوا قد حلفوا لقلج ارسلان الثالث ولذلك امر كيخسرو بهدم المناطق المحيطة بقونية وقطع اشجارها وحرقها[1].

ظهر ضعف قلج ارسلان الثالث، بسبب صغر سنه، وقلة تجربته. وبعد ان استشار امراءه، اراد تسليم المدينة على ان يمنح الامان، فتوصل مع اهل المدينة الى اتفاق مع كيخسرو[2]، على اثر ذلك الاتفاق خرج قلج ارسلان الثالث من المدينة سنة 601هـ/ 1204م فارسل كيخسرو ابناءه لاستقباله ومنحه ولاية توقات وامر بأن يقيم في احدى القلاع حتى يتم ترتيب امر سفره الى توقات[3].

وتمثل رواية ابن بيبي الرواية الرسمية لسلطنة قونية والتي روجت بعد استيلاء كيخسرو على السلطة لان ابن بيبي يعد مؤرخ بلاط سلاجقة الروم ولم يعاصر الاحداث، لذلك تعد رواية ابن الاثير الذي عاصر الاحداث اقرب الى الحقيقة. فضلاً عن ان قلج ارسلان الثالث احتجز ولم يتول امارة توقات، فقد عين كيخسرو ابنه كيقباد اميراً على توقات بدلاً منه[4].

وبعد دخول كيخسرو المدينة كافأ الامراء الذين ساندوه، فمنح مظفر الدين بن ياغي باسان اقطاعاً في نيكسار. وسمح للامراء الدانشمنديين بالاقامة في قيسارية دون قيود[5]. كما منح اهل قونية الاموال والهدايا. وفي الوقت نفسه عاقب من اساء إليه، فامر بقتل القاضي الترمذي لانه كان قد حرّض على تحريم كيخسرو من الميراث، لانه لجأ الى البيزنطيين وهو دار الكفر في نظر المسلمين[6].

---

(1) الاوامر العلائية، ص123-24.

(2) نفسه، ص125-126.

(3) نفسه، ص 127.

(4) ابن بيبي، تواريخ آل سلجوق، ص 32.

(5) Gordlevksy, Op. Cit, TomI, p. 55.

(6) ابن بيبي، تواريخ آل سلجوق، ص 32.

ومن الجدير بالذكر ان القاضي الترمذي كان أفتى فتوى مفادها انه لا يحق لكيخسرو ان يصبح سلطاناً لانه لجأ الى الكفار. واغلب الاحتمال انه اصدر تلك الفتوى اثناء حصار كيخسرو لقونية، مما دفع السلطان الى قتله وادى قتله الى اثارة سخط العامة(1).

بدأ كيخسرو اعادة تنظيم ادارة الولايات في الاناضول، فعين ابنه كيكاوس اميراً على ملاطية ليدير المناطق الجنوبية واستقر كيقباد في توقات لتنظيم ادارة الولايات الوسطى مثل سيواس وقيسارية وتم تعيين الولاة على كافة الاقاليم، وبذلك ربط جميع الاقاليم بالعاصمة قونية فاوجد ادارة مركزية ساعدت على استقرار الوضع الداخلي(2)، لذلك مدحه الشاعر مجيد الدين اسحق بقصيدة طويلة بعد استقراره في قونية وتثبيته ادارة الدولة(3).

واتبع كيخسرو سياسة اسلافه القائمة على ابعاد اخوته من ادارة الدولة وقيادة الجيوش وان لم يقم بأيذائهم، فعندما جاء إليه اخوه معز الدين قيصر شاه امير ملاطية السابق والذي طرده ركن الدين سليمان الثاني، اظهر كيخسرو احترامه له واعطاه مالاً كبيراً لكنه لم يرجع له ملاطية ونصحه بمغادرة قونية، فعاد الى الرها(4).

ارسل كيخسرو رسائل الى ملوك وامراء الاطراف اعلمهم بعودته الى قونية وتسلمه الحكم. وبدأ يتطلع الى توسيع رقعة مملكته. وفي الوقت نفسه اولى الجانب الاقتصادي اهمية كبيرة، لذلك بدأ يعمل من اجل تامين مرافيء بحرية لدولته، لكي يمارس السكان نشاطهم التجاري. ويظهر ان كيخسرو تأثر بالبيئة اليونانية التي شب فيها، لذلك اصبح امر السيطرة على السواحل البحرية من اولى اهدافه. قاد كيخسرو حملة ضد مملكة طرابزون لانها منعت التجار المسلمين الوصول الى

(1) ابن بيي، الاوامر العلائية، ص136.

(2) ابن بيي، الاوامر العلائية، ص 132-134؛ تواريخ ال سلجوق، ص32.

(3) ابن بيي، الاوامر العلائية، ص 132-134.

(4) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 244.

ساحل البحر الاسود وفتح الطريق امام هؤلاء التجار للوصول الى ساحل ذلك البحر[1].

ومن الجدير بالذكر ان السلاجقة استولوا على مدينة سامسون الساحلية منذ سنة 596هـ/ 1200م واصبحت من مراكزهم، إلا انه كان من الصعب الدفاع عنها بسبب بعدها عن مركز حكمهم وتعرضها لضغط البيزنطيين ومملكة طرابزون معاً، واستغل امير طرابزون، تولي قلج ارسلان الثالث السلطة سنة 600هـ/ 1204م وما رافق ذلك من نزاع بينه وبين كيخسرو على عرش قونية، فاغلق الطرق البحرية بوجه تجارة سلاجقة الروم بعد ان احتل سامسون[2].

توجه كيخسرو بعد ذلك نحو سواحل البحر المتوسط وقاد حملة عسكرية لفتح ميناء انطالية الذي كان يديره الصليبيون وقدربطوه تجارياً مع مدينة فينيسيا (البندقية) الايطالية، عن طريق جزيرة قبرص. وكان التجار المصريون قد أشتكوا لدى السلطان بأن اهل انطالية عاملوهم بقسوة، لهذا كان من اسباب تلك الحملة الدفاع عن التجار المصريين وارجاع ممتلكاتهم[3].

واورد ابن الاثير تفاصيل الاستيلاء على مدينة انطالية والذي بدأ في (3) شعبان سنة 603هـ/ (6) اذار سنة 1207م[4]. فبعد ان استولى كيخسرو على ضواحي المدينة، ظهر عجز الصليبيين في الدفاع عنها، مما ادى الى تفاقم الخلاف بينهم وبين سكانها الاغريق، فمالوا الى كيخسرو وساعده ذلك على اقتحام المدينة في رمضان 603هـ/ نيسان 1207م. واورد ابن بيبي بأن الجيش الذي اقتحم المدينة كان يتكون من الترك والكرد وانهم اباحوا المدينة مدة خمسة ايام لاخذ الاموال والسبايا. ويظهر أنه شمل الصليبيين دون اليونانيين لانهم تعاونوا مع السلطان ثم منح الامان لاهلها. وأمر السلطان بترميم اسوار المدينة وتعيين القضاة والخطباء

---

(1) ابن الاثير، الكامل، حـ1، ص 321.

(2) Cahen, Op. Cit, p 117.

(3) Ibid, p.120.

(4) الكامل، حـ10، ص 328.

والمؤذنين وبنى فيها المساجد وسكن فيها التجار المسلمون، فبدأت انطالية تتحول الى مدينة اسلامية. وعين السلطان مبارز الدين ارتقش واليا على المدينة بصورة مؤقتة الى ان رتب امر تعيين ابنه كيفريدون في انطالية[1].

ادى فتح انطالية الى تنشيط التجارة بين بلاد الاناضول ومصر عبر ذلك الميناء، وتسبب في زيادة النشاط الاقتصادي وتحقيق الرفاهية للسكان. ودفعت المصلحة الاقتصادية السلطان الى عقد معاهدة تجارية مع البندقية[2].

استمر كيخسرو في سياسته الرامية الى السيطرة على السواحل البحرية فتقدم غرباً واحتل المناطق العليا من حوض نهر مندريس بما فيها مدينة دينزلي Denzili، فاصبحت الحرب مع امبراطورية نيقية امراً لا مفر منه، ويعلل ابن بيبي قيام الحرب الى امتناع امبراطور نيقية عن ارسال الهدايا والجزية للسلطان. فضلاً عن ان السلطان كان متحاملاً عليه لموقفه منه عندما عاد الى قونية[3].

وقد حاول الامبراطور البيزنطي التصدي للسلطان، فانزل السلطان به الهزيمة غرب فيلادلفيا[4]. وبذلك استحق لقب ابو الفتح[5]. لكثرة الفتوحات التي قام بها والانتصارات المستمرة التي حققها ضد البيزنطيين.

ادى تقدم كيخسرو نحو سواحل بحر مرمرة الى تهديد نيقية ولا سيما بعد ان تقدم التركمان من الشرق الذين وصلوا الى ضواحي نيقية ونهبوها، فاصبحت نيقية مطوقة من الجنوب والشرق، مما جعل الامبراطور البيزنطي في مأزق[6].

قاد كيخسرو حملة اخرى ضد الامبراطور البيزنطي، بعد ان استدعى امراء الاطراف للجهاد، فاستجاب عدد منهم لدعوته، بضمنهم عدد من الامراء

---

(1) الاوامر العلائية، ص 174-183؛ تواريخ آل سلجوق، ص45.

(2) Turan, Op. Cit, p 246.

(3) الاوامر العلائية، ص 147-157.

(4) Turan, Op. Cit, p. 246.

(5) ابن الفوطي، معجم الاداب في معجم الالقاب، جـ2، ص 449.

(6) Vasiliev, Op. Cit, Vol. 2, p. 514.

الكرد[1]. اما المصادر البيزنطية فتذكر ان سبب الحرب هو لجوء الامبراطور البيزنطي السابق الكسيوس الثالث (591-601هـ/ 1195-1203م) الى بلاط قونية، فطلب السلطان من صهره امبراطورنيقية ثيودور لاسكاريس التخلي عن العرش لمصلحة قريبة الكسيوس الثالث[2].

اجمعت المصادر التاريخية على ان المساعي السياسية لم تفلح وانتهت بقيام معركة قاسية بين الطرفين ربيع سنة 607هـ/ 1211م عند منحدرات مدينة انطاكية داخل بلاد الاناضول، دحر فيها جيش ثيودور لاسكاريس الذي كان قوامه (800) من المرتزقة اللاتين[3]. وانشغل جيش السلطان بجمع الغنائم، فتعرض شخص السلطان لهجوم مباغت وقتل في ظروف غامضة[4]، فانقلب النصر الى هزيمة وتراجع جيش السلاجقة نحو قونية ووقع الكيسوس الثالث في الاسر[5] لم تغير تلك المعركة من خارطة دولة سلاجقة الروم، الا انها ادت الى احتدام الصراع بين السلاجقة وأمبراطورية نيقية البيزنطية[6].

ازدهر بلاط قونية في عهد كيخسرو واصبح قبلة للشعراء والكتاب وارتفعت سمعته في العالم الاسلامي. ولعب التجار دوراً كبيراً في ذلك. فقد زار الراوندي بلاطه واهدى له كتابه المشهور (راحه الصدور وآية السرور) بمناسبة فتح انطالية، بتشجيع ووساطة تاجر همذاني يدعى جمال الدين بن ابي العلاء الرومي الذي وصف للراوندي جود السلطان وفضائله[7]. علماً بان الراوندي خصص

(1) ابن بيبي، الاوامر العلائية، ص151.

(2) Vasiliev, Op. Cit, Vol. 2, p. 514.

(3) Ostrogrsky, Op. Cit, p. 430.

(4) Turan, Op. Cit, p. 246.

(5) Ostrogrsky, Op. Cit, p. 430.

(6) Vasiliev, Op. Cit, Vol. 2, p. 515.

(7) الراوندي، راحة الصدور، ص 20.

صفحات عديدة من كتابه في مدح السلطان كيخسرو[1].

ثالثاً: عز الدين كيكاوس الاول واعادة مجد الدولة

(607-616هـ/ 1211-1219م)

كان لكيخسرو ثلاثة ابناء هم: عز الدين كيكاوس وعلاء الدين كيقباد وجلال الدين كيفريدون. وانحصرت المنافسة على العرش بين كيكاوس وكيقباد، لان كيفريدون كان في انطالية وقد تمرد سكانها على سلاجقة الروم بعد مقتل كيخسرو. وعلى الرغم من حصول كيفريدون على دعم واسناد القبارصة اليونانيين فانه طرد من المدينة. وحاول اعادة السيطرة على انطالية الا انه هزم ومات بعد ذلك. وبذلك تخلص كيكاوس من احد منافسيه[2].

ما ان انتشر خبر مقتل السلطان كيخسرو حتى تحرك انصار كيكاوس بسرعة، لانهم علموا خبر مقتل السلطان قبل كيقباد وأنصاره. فتوجه نصرة الدين حسن بن ابراهيم حاكم مرعش الى قيسارية واجتمع مع بقية الامراء وارسلوا الى كيكاوس في ملاطية ليخبروه ما حل بابيه ودعوه للحضور الى قيسارية دون تاخير، فوصل اليهم مسرعاً وجلس على سرير السلطنة[3].

وعندما وصلت تلك الاخبار الى كيقباد، تحرك من توقات نحو قيسارية وتحالف مع عمه مغيث الدين طغرل شاه امير ارزن الروم، فضلاً عن انضمام عدد من الامراء الى جانبه، منهم ظهير الدين ايلي بروانه وليفون تكور، بعد ان وعدهم كيقباد بمنحهم الامتيازات في حالة فوزه بعرش السلطنة. فوعد ليفون تكور بحكم قيسارية[4]، وكان ذلك ضرورياً لخلق الحماس لديهم في نصرته.

حاصر كيقباد قيسارية وحدث قتال بينه وبين أخيه كيكاوس، مما ادى الى

(1) نفسه، ص 58.

(2) Cahen, Op. Cit, p. 121.

(3) ابن بيبي، الاوامر العلائية، ص 160-161.

(4) نفسه، ص 164؛ ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، حـ3، ص 114.

قتل عدد من الامراء اثناء الحصار. وقد ضاق السكان ذرعاً بالحصار وأصبح كيكاوس في موقف حرج. وإزاء ذلك الموقف تذكر ظهير الدين ايلي بروانه وعلاقاته الجيدة معه، فارسل اليه قصيدة شعرية شبه منزلته عنده بمنزلة ابي بكر من الرسول (ص)، محاولا استعطافه. وفي الوقت نفسه اقترح على امرائه وهم مبارز الدين جاولي جاشنكير وزين الدين بشارة ومبارز الدين بهرام شاه، الخروج من المدينة في احدى الليالي والذهاب الى قونية والاستقرار فيها، ثم كسب تأييد امراء الاطراف، إلا ان امراءه لم يصوبوا رأيه وطلبوا منه الاستمرار في المقاومة والبقاء في قيسارية وسيستمرون هم في شد ازره[1].

اتصل جلال الدين قيصر حاكم قيسارية بالامير ليفون تكور في جيش كيقباد وأقنعه بالانسحاب من جيشه والتخلي عنه ووعده بان كيكاوس سيمنحه الهدايا والاموال ويعينه حاكماً على احد الاقاليم، فانسحب ليفون تكور، مع رجاله من جيش كيقباد سنة 608هـ/ 1212م. وادى انسحابه الى خلق الريبة لدى طغرل شاه عم كيقباد وظن ان كيقباد قد ارسله للاستيلاء على ارزن الروم. وفي الوقت نفسه اعتقد كيقباد بانه توجد خطة مدبرة ضده، لتسليمه الى كيكاوس[2].

وهكذا انسحب طغرل شاه من حصار قيسارية ورجع الى ارزن الروم وتزامن ذلك مع هجوم سكان قيسارية ورجال كيكاوس على معسكر كيقباد، فقتلوا واسروا العديد من رجاله. لذلك أضطر كيقباد للانسحاب واتجه نحو انقرة واستولى على المدينة وتحصن فيها[3].

كافأ كيكاوس الامراء الذين شدوا ازره وساندوه، للمحافظة على عرش السلطنة، فعين زين الدين بشارة حاكماً على مدينة نيكده وحسام الدين يوسف حاكماً على ملاطية ومبارز الدين جاولي حاكماً على البستان، كما منح جلال الدين قيصر حاكم قيسارية لقب بروانه (لقب عسكري) لنجاح خطته في تشتيت

(1) ابن بيبي، تواريخ آل سلجوق، ص 40-44.

(2) ابن بيبي، الاوامر العلائية، ص 169.

(3) نفسه، ص 168.

قوات أخيه كيقباد[1].

توجه كيكاوس في اعقاب ذلك الانتصار نحو قونية ومر بمدينة اقصرا، فاستقبل بحفاوة بالغة من قبل اهلها، وبايعوه سلطاناً عليهم ثم دخل مدينة قونية سنة 608هـ/ 1212م واستقبله اهلها استقبالاً حافلاً واعطوه البيعه، فاطلق سراح السجناء ووزع الخلع على وجهاء المدينة وحدد مقدار الخراج كما كان يفعل سلاطين السلاجقة بعد توليهم العرش، ثم جاء امراء الاطراف ليقدموا فروض الطاعة، فابقاهم على مقاطعاتهم[2].

وبعد استقرار السلطان في قونية سنة 608هـ/ 1212م قام بنقل رفاة ابيه الى قونية ليدفن الى جوار جده قلج ارسلان، بعد ان سمح له امبراطور نيقية الذي كان تواقا لعقد الهدنة معه[3]. وبذلك فتح صفحة من العلاقات السلمية مع البيزنطيين[4].

اشتهر كيكاوس بالكرم، فاغدق الاموال على الشعراء الذين مدحوه بسخاء. فعندما ارسلت بنت حسام الدين سالار من الموصل قصيدة شعرية مدحت فيها كيكاوس، امر لها السلطان بـ(7200) دينار ذهبي بمعدل مائة دينار لكل بيت. ونظم احمد ارزنجاني وشمس الدين طي قصائد في مدحه[5]. وازدادت منزلته لدى الناس حتى ان الخليفة العباسي ارسل له سراويل الفتوة، فكان يتباهى بها كثيراً لانها اعتراف بسلطته[6].

وبعد ان ارسى كيكاوس سلطته في قونية، تحرك شرقا سنة 609هـ/ 1213م للقضاء على معارضيه وهم كل من عمه طغرل شاه امير ارزن الروم وأخيه كيقباد

(1) نفسه، ص 169.

(2) نفسه، ص 170-171؛ Cahen, Op. Cit, p. 121.

(3) ابن بيبي، الاوامر العلائية، ص 189-190.

(4) Cahen, E. I. New ed, Vol. 4, p. 813.

(5) ابن بيبي، الاوامر العلائية، ص 174- 183؛ تواريخ آل سلجوق، ص 45.

(6) للتفصيل: ينظر الفصل الثالث، من هذه الرسالة.

الذي كان متحصناً في انقرة. طلب كيكاوس من القادة والامراء المؤيدين له من الترك والكرد والروم والعرب ان يمدوه بالمقاتلين وبعد ان اكتمل جمعه، تقدم نحو انقرة. وكان اهلها قد جددوا ولاءهم لاخيه كيقباد واستعدوا للحصار. وتولى تنظيم الدفاع عن المدينة الامير مبارز الدين عيسى[1].

وفي الجانب الاخر تولى مبارز الدين بهرام شاه قيادة جيش كيكاوس وفرض حصاراً خانقاً على المدينة طال امده، وقام رجال كيكاوس بأقامة بيوت سكنية حول انقرة، كما امر السلطان ببناء مدرسة عند ابوابها. وكانت تلك الاعمال حرباً نفسية، اتبعها كيكاوس ضد المحاصرين والتي ادخلت الرعب في نفوس سكان انقرة واعتقدوا بان السلطان سيفرض عليهم الحصار الى اجل غير مسمى، فتشاوروا مع كيقباد بشأن مصيرهم. واقترحوا عليه ان يجد حلاً لحالتهم. وافق كيقباد على تسليم المدينة للسلطان شريطة ان يمنح الامان، فاتصلوا مع السلطان كيكاوس الذي وافق على شروط اهل انقرة ومنح أخاه الامان، إلا انه سجنه في قلعة مسارا (منشار) قرب ملاطية ولكنه كان يعامل كأمير[2].

ولاحق كيكاوس عمه طغرل شاه، فهرب من سيواس واستقر في ارزن الروم سنة 608هـ/ 1213م بعد ان قتل عدداً من الامراء الموالين له، إلا انه لم يستطع السيطرة على ارزن الروم ولم يظفر بعمه حتى يقتله كما اشارت بعض المصادر الاسلامية خطأً الى ذلك[3]، علماً بان المصادر المعاصرة للاحداث لم تشر الى مقتله[4]، كما لم يشر اليها المؤرخون الذين عاشوا في بلاد الروم[5].

وبعد ان نجح كيكاوس في اعادة سيطرة سلاجقة الروم على الاقاليم التي

---

(1) ابن بيبي، الاوامر العلائية، ص 191-192.

(2) نفسه، ص191-199؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 247.

(3) ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، حـ3، ص155، الدواداري، كنز الدرر، حـ7، ص 174-175؛ ابن الوردي، تتمة المختصر، حـ2، ص 289.

(4) لم يشر ابن الاثير الى هذا الحادث.

(5) لم يذكر ابن بيبي وابن العبري هذا الحادث في مؤلفاتهم.

كانت تابعة لهم وثبت اركان الدولة مرة اخرى والتي اصابها التصدع في اعقاب مقتل والده كيخسرو في حربه ضد البيزنطيين واخضع التركمان لحكمه، بدأ الحرب ضد امير طرابزون والصليبيين، بهدف تأمين طرق التجارة التي تربط بلاد الاناضول بالعالم الخارجي، ثم توجه جنوباً لتوسيع رقعة الدولة على حساب الايوبيين والممالك الصليبية والارمن[1].

أظهر كيكاوس بعد نظر سياسي واضح، عندما قبض التركمان على الكسيوس كومنينوس (Alexius Comnenus) امير طرابزون الذي تطلق عليه المصادر الاسلامية تسمية الاشكري سنة 610هـ/ 1213م، فبدلاً من قتله ثأراً لابيه كما كان متوقعاً، اطلق سراحه مقابل تنازله عن عدد من القلاع والمدن للسلطان، كما اعلن خضوعه له ودفع فدية قدرها مائتي ألف دينار ذهبي[2]، فاصبحت مهمته سهلة لمواجهة الامبراطورية البيزنطية في نيقية والتوسع على حسابها ونشر الاسلام في غرب الاناضول واحكام السيطرة على السواحل البحرية، لربط بلاد الاناضول بالعالم الخارجي عن طريق البحار. وبدأ ذلك التوجه منذ ان تولى كيخسرو عرش السلطنة، فاكمل كيكاوس ومن بعده كيقباد سياسة ابيهم.

تحرك كيكاوس لاعادة السيطرة على مدينة أنطالية التي خرج سكانها عن طاعته منذ توليه السلطة سنة 607هـ/ 1211م، مستغلين الاضطرابات التي حدثت في الاناضول بعد مقتل كيخسرو، كما ان صليبيي القسطنطينية حرضوا سكانها على التمرد[3]. وكان استعادة المدينة ضرورياً بسبب اهمية موقعها التجاري وخوفاً من حدوث تمردات اخرى ضده في المناطق التي يسكن فيها اليونانيون.

نظم السلطان حملة عسكرية ضمت العديد من الامراء واتجه نحو انطاليه سنة

---

(1) Cahen, Op. Cit, P.121 ff.

(2) مؤلف مجهول، تاريخ الرهاوي المجهول، ص 251؛ ابن واصل، مفرج الكروب، (بيروت:1960)، حـ3، ص 225؛ ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، حـ3، ص116؛ ابن الوردي، تتمة المختصر، حـ2، ص 190؛ المقريزي، السلوك؛ حـ1، ص179.

(3) Cahen, Op. Cit, P.121.

609هـ/ 1212م وبسبب خوف سكانها من انتقام السلطان، اظهروا ندمهم لـه، إلا انهم لم يفتحوا ابواب مـدينتهم لـه وفي الوقـت نفسه طلبـوا مـساعدة الـصليبيين، فارسلوا اليهم سفناً مملوءة بالمقاتلين. حاصر السلطان انطالية ثم اقتحمهـا ووضـع السيف في اهلها وأخذ أهلها سبايا واموالهم غنائم، ثم وزع السلطان الهـدايا علـى الامراء وعين الامير مبارز الدين أرتقش امـيرا علـى المدينـة، رجـع بعـد ذلـك الى قونية[1].

بعد ان عـاد الـسلطان فـتح انطاليـة تقـدم نحـو الـشمال وعنـدما وصـل الى سيواس، وصلت اليه الاخبار عن طريق رجال الثغور بـأن اليونـانيين مـن سـكان مملكة طرابزون، امتنعوا عن دفع الجزيـة وبـدأوا بالاغـارة علـى المـسلمين ومنعـوا وصول التجار الى البحر الاسود. ادرك كيكاوس بأن لامـير طرابـزون الكـسيوس كومنينوس ضـلعاً في الاحـداث وبغيـة ضـمان الوصـول الى البحـر الاسـود، بـدأ السلطان وامراؤه يبحثون عن وسيلة للاسـتيلاء علـى مينـاء سينوب الـذي كـان يخضع لسلطة امير طرابزون. وضـع الـسلطان خطـة تقـضي بأسـر أمـير طرابـزون عندما يخرج للصيد، بينما اقترح امراؤه شن حرب استنـزاف ضد ميناء سينوب[2]. كان راي السلطان صائباً لانـه لا يمكـن استنــزاف مدينـة سـاحلية تـتصل بالعـالم الخارجي عن طريق البحر.

رصدت استخبارات الـسلطان تـنقلات امـير طرابـزون وفي احـدى المـرات علموا انه خرج في رحلة للصيد، فكمن له التركمان واسروه سنة 610هـ/ 1213م واتوابه الى كيكاوس الذي احسن استقباله وعامله كامير، ثم اخـذه معـه في حملتـه على ميناء سينوب[3].

بدأ جيش السلطان بمحاصرة المدينة وفي الوقت نفـسه امـر الـسلطان الامـير

(1) ابن بيبي، الاوامر العلانية، ص 201-207؛ تواريخ آل سلجوق، ص51-52؛ ابـن العـبري، تـاريخ الزمان، ص252؛ ابو شامه، الذيل على الروضتين، (بيروت: 1974)، ص 90.

(2) Cahen, Op. Cit, P.123.

(3) ابن بيبي، الاوامر العلائية، ص209-212؛ Turan, Op. Cit, p. 246.

المأسور ان يطلب من سكان سينوب تسليم المدينة، الا ان اهلها قرروا المقاومة ومع ذلك راى السلطان أنه من الحكمة الاستيلاء عليها دون اراقة دماء، كما ان الاستيلاء عليها لم يكن بالامر السهل، فضلاً عن ان السلطان اراد المحافظة على اهمية المدينة التجارية، لهذا امر بتعذيب الامير الماسور امام اعين المدافعين عن المدينة وكان لذلك أثره في دفع انصار الامير الى طلب الصلح واشترطوا على السلطان إعطاءهم الحرية في مغادرة المدينة، فقبل السلطان شرطهم كما وافق على تعيين الكسيوس كومنينوس حاكماً عل المناطق المحيطة بسينوب شريطة ان يعلن خضوعه للسلطان ويدفع الجزية ويرسل له الجيش ساعةالطلب[1].

وفي يوم السبت (26) جمادي الاخرة سنة 611هـ/ (2) تشرين الثاني 1214م رفعت الاعلام السلطانية على اسوار سينوب ودخل السلطان المدينة وامر بانتقال التجار الترك الى المدينة والاقامة فيها وشجعهم على شراء الاراضي من سكانها كما ارسل الى المدينة القضاة ورجال الدين[2].

وامر السلطان بترميم اسوار المدينة. وشارك في العمل (15) أميراً، ونظرا لادراك السلطان اهمية سينوب التجارية منح حكم المدينة لشخص ارمني يدعى هيثوم، لانه كان مؤهلاً في التعامل مع التجار النصارى الوافدين الى الميناء، اكثر من أي شخص تركي اخر[3].

ادى ذلك الفتح الى اطلاق لقب سلطان البر والبحر على كيكاوس. فضلاً عن تلقيبه بأبي الفتح. وقد عثر على نص كتابي في سينوب يرجع الى سنة 612هـ/ 1215م وردت فيه تلك الالقاب[4]. ومما يدل على اهمية فتح سينوب ان كيكاوس ارسل بمناسبة فتحها الشيخ مجد الدين اسحق الى بغداد لنقل البشرى الى الخليفة، حاملاً هدايا كثيرة من الجواهر والغلمان والخيول والصلبان المرصعة

(1) نفسه، ص 212-216.

(2) نفسه، ص 214- 215؛ Turan, Op,cit, p. 246.

(3)

(4) الباشا، الالقاب الاسلامية، ص 335.

بالذهب، فنالت تلك الهدايا استحسان الخليفة[1]. وبفتح سينوب ضمن كيكاوس السيطرة على سواحل البحر الاسود. وقام ببناء الاسطول الذي تمركز في ميناء المدينة، فاصبح نقل البضائع من الصين والهند عن طريق ايران ومنها الى اوربا عبر ميناء سينوب تحت سيطرة السلطان السلجوقي. فضلاً عن ميناء انطالية الذي اصبح مركزاً تجارياً هاماً لنقل البضائع بين بلاد الاناضول من جهة ومصر وايطاليا عن طريق جزيرة قبرص، من جهة اخرى. وقد ساعد ذلك على حدوث انتعاش اقتصادي عام في البلاد وكان لذلك النشاط تاثير واضح على حياة الترك حيث حولهم تدريجياً من رعاة الى حياة الاستقرار وبدأوا يمارسون التجارة وزاد ثراء السكان، فولد حركة عمرانية واسعة في البلاد، شملت معظم مدن آسيا الصغرى ولا سيما قونية وسيواس[2].

شجع السلطان كيكاوس كتابة الادب باللغة الفارسية كما شجع التعليم، حيث تأسس في عهده عدد من المدارس، فضلاً عن اقامة الجوامع وبناء الخانات والمستشفيات مثل المستشفى التي بنيت في سيواس[3]. وبدأ العلماء والفقهاء والنحاة يقصدون بلاد الروم على امل ان ينالوا الحظوة لدى السلطان وامرائه. وتشير المصادر الاسلامية بأن الطبيب علي بن احمد المعروف بابن هبل، دخل بلاد الروم وأصبح طبيباً للسلطان ونجح في جمع ثروة كبيرة[4]، كما قصد بلاد الروم النحوي الواسطي القاسم بن القاسم خلال حكم كيكاوس ليحصل على الحظوة

(1) ينظر الفصل الثالث من هذه الرسالة.

(2) Turan, Op. Cit, p. 246.

(3 Cahen, E. I. New ed, vol. 4, p. 813; Turan, Op. Cit, p. 246.)

(4) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء في طبقات الاطباء، تحقيق نزار رضا، (بيروت: 1965)، ص410، الصفدي، نكت الهميان في نكت العميان، (القاهرة: 1911)، ص 205؛ القفطي، انباه الرواة على انباء النجاة، (القاهرة: 1952)، حـ2، ص213؛ القفطي، اخبار العلماء باخبار الحكماء، (القاهرة: 1326هـ)، ص 159-160؛ القفطي، تاريخ الحكماء، (لايبزك: د/ت)، ص 238-39؛ ابن الصابوني، تكملة الاكمال في الانساب والالقاب، (بغداد: 1957)، ص 157-58.

في بلاط السلاجقة إلا انه لم ينل شيئاً بسبب سوء اخلاقه[1]. ونال ناصر الدين بن ابي نجيب الحظوة في بلاد كيكاوس وكان من كبار الحكماء وعرف عنه معرفة الطلاسم، لكنه اساء الادب اذ احب محظية من محظيات السلطان فامر السلطان بقتله[2].

وبغية زيادة تقوية مركزه داخل بلاد الاناضول، تزوج كيكاوس من ابنة فخر الدين بهرام شاه

امير ارزنجان[3]، واراد بذلك كسب تأييده لحكمه لئلا ينضم الى جانب مغيث الدين طغرل شاه امير ارزن الروم، عم السلطان الذي لم يستطع السلطان اخضاعه لحكمه.

وبعد ان نجح كيكاوس في تثبيت اركان دولة السلاجقة وقضى على معارضيه وسيطر على الطرق التجارية البحرية، توجه جنوباً سنة 613هـ/ 1216م لاخضاع الارمن والتوسع على حساب الايوبيين، مستغلاً الخلافات بينهم وانشغالهم بالدفاع عن دمياط ضد هجمات الصليبيين. واعترف بسلطته الملك الافضل بن صلاح الدين امير سميساط وأخوه الملك الظاهر امير حلب ومظفر الدين كوكبري اتابك اربل، فاصبح في مركز قوي لذلك ساند أراتقة آمد وحصن كيفا ضد الملك الاشرف الايوبي وبدر الدين لؤلؤ امير الموصل[4].

وبينما كان كيكاوس يستعد لمهاجمة ممتلكات الايوبيين، ليثأر من الهزيمة التي ألحقها به الاشرف سنة 615هـ/ 1218م[5]، ازداد عليه وطأة مرض السل فغادر ملاطية متوجهاً الى قونية وتوفي اثناء عودته في (6) شوال 616هـ/ (15) كانون

(1) القفطي، انباء الرواة على ابناه النحاة، (القاهرة: 1955)، حـ3، ص 32.

(2) الدواداري، كنز الدرر، حـ7، ص276.

(3) ابن بيبي، الاوامر العلائية، ص 239-250؛ تواريخ آل سلجوق، ص 67-72.

(4) Cahen, Op. Cit, p. 121- 123; للتفصيل ينظر: الفصل الثالث من هذه الرسالة.

(5) الحموري، التاريخ المنصوري، مخطوط نشرها بطرس غريا زينيويج، (موسكو: 1960)، ورقة 134.

الاول 1219م ونقل جثمانه ليدفن في سيواس[1].

ويستنتج من الالقاب التي حملها السلطان مدى قوة سلطته داخل بلاد الاناضول واتساع نفوذه الى خارج ذلك البلاد نحو بلاد الجزيرة وبلاد الشام. ففي بداية حكمه لقب بعز الدين ابي المظفر[2]. ثم اطلق عليه ابو الفتح كيكاوس سلطان البر والبحر -كما مر ذكره- ولقب ايضاً بسلطان الروم والشام والارمن ليشير الى توسع نفوذه نحو تلك المناطق[3].

ووصفه المؤرخون بانه كان شديد القسوة وينسبون اليه قيامه بحرق رجاله بعد جمعهم في احد الدور وسلق بعضهم في القدور لانهم كانوا قد استسلموا للملك الاشرف الايوبي في تل باشر سنة 615هـ/ 1218م[4].

ومن الجدير بالذكر ان القسوة اصبحت متأصلة لدى سلاطين سلاجقة الروم وكان سلاطينهم عادة يقومون بقتل ابناء عمومتهم وأخوتهم حتى لا ينافسونهم على الحكم، بعكس البيت الايوبي الحاكم الذي اتصف ملوكهم بالتسامح وعدم سفك دماء بعضهم بما يتفق وطبائع الكرد. بعكس ما وصف به المؤرخون كيكاوس بالظلم وحب سفك الدماء[5].

رابعاً: السلطان علاء الدين كيقباد الاول ووصول سلاجقة الروم الى اوج قوتهم (616-634هـ/ 1219-1237م)

تبين من قبل ان السلطان كيكاوس قد احتجز اخاه كيقباد في قلعة منشار

---

(1) ابن بيبي، الاوامر العلائية، ص271؛ ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 396؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص257.

(2) ابن الفوطي، معجم الاداب في معجم الالقاب، حـ1، ص 286.

(3) الباشا، الالقاب الاسلامية، ص 335.

(4) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 393؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 255.

(5) ابو شامه، الذيل على الروضتين، ص 113؛ الذهبي، دول الاسلام، حـ2، ص 88؛ تاريخ الاسلام، (611-620هـ)، تحقيق بشار عواد معروف واخرون، الطبقة الثانية والستون، (بيروت: 1988)، ص20.

قرب ملاطية وبقي محجوراً عليه حتى توفي السلطان ولم يخلف وليا للعهد او ولداً يصلح للحكم، فاجتمع كبار الامراء لاختيار خلف له وهم: سيف الدين إيبه وشرف الدين محمد بروانه ومبارز الدين جاولي ومبارز الدين بهرام شاه وزين الدين بشارة ومحي الدين آبه[1].

ووقع الاختيار على الامير علاء الدين كيقباد فاخرجوه من القلعة وتوجوه سلطانا عليهم وذلك لما عرف عنه من قوة باس واستقامة، فتولى الحكم سنة 616هـ/ 1219م بالتتويج، وزع خلالها كيقباد الخلع والهدايا على الامراء وتولى الحكم باسم علاء الدين كيقباد[2].

ويعد علاء الدين كيقباد من اشهر سلاطين سلاجقة الروم[3]، وعلمته تجربته في الحجز الكثير من الامور لتحمل اعباء الحكم، فاظهر مقدرة حربية وادارية كبيرة، متبعاً سياسة خارجية ناجحة ادت الى ان يصبح سلاجقة الروم من اقوى الدول المعاصرة لهم. وبدأ الازدهار الاقتصادي والثقافي والعمراني يتبلور في بلاد الاناضول اثناء حكمه وشهدت البلاد نشاطاً تجارياً ملحوظاً. ووصلت دولة سلاجقة الروم في عهده الى اوج توسعها، وأصبح عهده من ازهى عهود السلاجقة في بلاد الروم ولهذا يمكن ان يطلق على فترة حكمه عهد قوة سلاجقة الروم.

وحدث ذلك الانعطاف في تاريخ السلاجقة منذ عهد كيخسرو الاول الذي اولى الجانب الاقتصادي والعمراني اهمية كبيرة واكمل كيكاوس سياسة ابيه وفي الوقت نفسه ثبت اركان الدولة وفرض سيطرته على بلاد الاناضول، لذلك عندما تسلم كيقباد الحكم ورث دولة ثابتة الاركان ذات اقتصاد مزدهر، فساعده ذلك على النهوض بها وايصالها الى اوج قوتها ونهضتها وقد شهد عصره اعمالاً في جوانب مختلفة وهي:

---

(1) ابن بيبي، الاوامر العلائية، ص 273.

(2) ابن الفوطي، معجم الاداب في معجم الالقاب، حـ2، ص345.

(3) ابن بيبي،تواريخ ال سلجوقي، ص 111- 112؛Cahen, E. I. New ed, vol. 4, p. 818.

اعماله العسكرية:

عمل كيقباد بعد توليه السلطة مباشرة، على وضع حدٍ لنفوذ الامراء الترك وتدخلهم في شؤون السلطنة. وعندما رأى الأمراء جدية السلطان الجديد وقوة شخصيته، خافوا على نفوذهم ومراكزهم وندموا على تنصيبه، لذلك حاولوا خلعه وتنصيب ابن اخيه كيفريدون مكانه. علم السلطان بالمؤامرة واتخذ اجراءات صارمة ضد المتآمرين وقبض على الامير سيف الدين ايبه جاشنكير وزين الدين بشارة ومبارز الدين بهرام شاه وبهاء الدين قتلغجة في قيسارية(1).

بعد ان استتب الامر لكيقباد في الداخل سنة 620هـ/ 1223م، حاول توحيد جميع اسيا الصغرى وتوسيع نفوذه جنوبا نحو شمال بلاد الجزيرة وشمال سوريا، كما حاول توسيع نفوذه غربا على حساب الدولة البيزنطية وشمالا على حساب امارة طرابزون، وعمل على اخضاع الارمن والكرج(2).

واهتم السلطان بتقوية اسوار المدن وبناء التحصينات العسكرية والقلاع. فاهتم بترميم اسوار قونية وقيسارية وسيواس وتقوية تحصيناتها، كما امر بتقوية التحصينات على سواحل البحرالمتوسط والبحر الاسود وقام بالاستيلاء على ميناء كالونوروس(3)، وسماها بالعلائية وتحولت الى مشتى للسلطان، وامر بتقوية الاسطول عن طريق بناء قطع بحرية جديدة، لتتمركز في العلائية، وفي الوقت نفسه نشطت البحرية السلجوقية في البحر الاسود. ولتأمين السيطرة على السواحل الشمالية للبحر المتوسط، هاجم جيشه ارمينيا الصغرى من الشرق والشمال وعند الساحل، لابعادهم عن سواحل البحر المتوسط(4).

بدأ كيقباد بتوسيع نفوذه الى شمال الجزيرة، ففي سنة 623هـ/ 1226م هاجم العديد من قلاع الاراتقة والتي كانت تابعة للامير مسعود الارتقي امير آمد

---

(1) ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص112.

(2) نفسه، ص111-112؛ .Cahen, Op. Cit, p. 126

(3) تقع شرق أنطالية. ينظر الخارطة رقم (3).

(4) Turan, Op. Cit, p. 247.

فأستولى على حصن منصور وقلعة جمشكزك قرب ديار بكر (بين ديار بكر وارزنجان)، وعلى الرغم من تدخل الملك الاشرف فإن جيش السلطان استولى على قلعة كختا وانهزم الاراتقة[1]، فأضطر الامير مسعود الى مهادنة السلطان وارسل هداياه إليه للاحتفاظ ببقية المناطق الخاضعة له[2].

وكان من اسباب مهاجمة السلطان كيقباد لديار الاراتقة يرجع الى تحالف الامير مسعود مع السلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي والملك المعظم الايوبي بن العادل امير دمشق ومظفر الدين كوكبري اتابك اربل، فخاف كيقباد ان يمتد نفوذ السلطان جلال الدين الى الجزيرة[3]، مما يؤدي ال تهديد حكمه.

اراد كيقباد انهاء نفوذ من تبقى من امراء اسيا الصغرى واخضاع المناطق التابعة لهم لحكمه المباشر وبدأ يتدخل في شؤون ارزنجان. وبعد ان لجأ اليه بعض امراء داود شاه بن بهرام شاه (622-625هـ/ 1225-1228م)، راى السلطان في ذلك فرصة لاخضاع حكام ارزنجان لنفوذه، لذلك طلب من داود شاه السماح للامراء بالعودة الى مناطقهم واطلاق سراح الامراء المسجونين وارجاع ممتلكاتهم اليهم. وازاء ضغط السلطان، سافر داود شاه بنفسه الى قونية سنة 623هـ/ 1226م وقدم ولاءه للسلطان[4].

رجع داود شاه الى ارزنجان وكتب الى ركن الدين جيهان شاه بن طغرل شاه امير ارزن الروم سنة 624هـ/ 1227م اخبره بانه يخاف على مملكته من السلطان

---

(1) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 466؛ ابن العديم، زبدة الحلب، حـ3، ص198. ابن واصل، مفرج الكروب، تحقيق حسنين محمد ربيع، (القاهرة: 1972)، حـ4، ص203؛

(2) ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص 118-120.

(3) كان جلال الدين منكبرتي قد فر من امام المغول واستقر في اذربيجان واتخذ مدينة تبريز مقراً لحكمه وبدأ يمد نفوذه نحو بلاد الكرد والجزيرة. ينظر: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق حافظ احمد حمدي، (القاهرة:1953)، ص299 وما بعدها؛ نافع توفيق العبود، الدولة الخوارزمية، (بغداد: 1978)، ص153و ما بعدها.

(4) ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص 143-146.

الجديد واخبره ايضا بانه سيتحرك ضد جميع الامراء وطلب منه ان يأخذ حذره. وفي الوقت نفسه ارسل داود شاه هدايا الى الملك الاشرف الايوبي وعرض عليه ان يعطيه قلعة كماخ[1]، على ان يمنحه الاشرف حصناً في مملكته مقابل ذلك، كما ارسل رسائل وهدايا الى السلطان جلال الدين منكبرتي، فضلاً عن اتصاله باحد الامراء الترك في جيش كيقباد، حيث عرض عليه ان يقوم بقتل السلطان حتى يتخلص الامراء من سطوته، مقابل اعطائه قلعة كماخ[2].

علم السلطان بتآمر داود شاه ضده، فتوجه نحو ارزنجان. وارسل الملك الاشرف الحاجب علي حاكم اخلاط مع قوة عسكرية للدفاع عن ارزنجان الى جانب داود شاه. وحاصر كيقباد المدينة[3]، الا انه انسحب عندما علم بمهاجمة الروم لاحدى قلاع السلاجقة على البحر الاسود قرب سينوب سنة 624هـ/ 1227م. وهاجم الروم براً وبحراً واستعاد ذلك الحصن وارسل حملة الى جزيرة القرم داخل البحر الاسود[4].

توجه كقباد بعد ذلك نحو الجنوب وامضى الشتاء في العلائية، ثم زحف على ارزنجان مرة اخرى سنة 625هـ/ 1228م، فهاجم المدينة مع قلعة كماخ، وإضطر داود شاه ان يسلم نفسه للسلطان الذي منحه حكم منطقة اق شهر[5]، وعين ابنه كيخسرو الثاني حاكماً على ارزنجان وجعل مبارز الدين ارتقش اتابكا له[6].

اما جيهان شاه امير ارزن الروم فتحالف مع السلطان جلال الدين منكبرتي سنة 625هـ/ 1228م، وذلك لخوفه من استيلاء علاء الدين كيقباد على مملكته،

---

(1) تقع قرب ارزنجان. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، حـ4، ص 479.

(2) ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص 147-148.

(3) نفسه، ص 149.

(4) Gordlevsky, Op. Cit, TomI, p. 57.

(5) Gordlevsky, Op. Cit, p. 58.

(6) ابن بيبي، تواريخ آل سلجوق، ص 150.

فضلاً عن مجاورة بلاده لمملكة السلطان منكبرتي، اذ يروي ابن العبري ان امير ارزن الروم جيهان شاه بن طغرل شاه بن قلج ارسلان كان صهراً لكيقباد ولكنه انضم الى الخوارزميين وقاتل الى جانبهم[1]. وكان كمال الدين كاميار رسول كيقباد الى منكبرتي قد حذره سنة 626هـ/ 1229م من مغبة التعاون مع منكبرتي وطلب منه الابتعاد عنه وعدم الثقة به[2].

وفي الوقت الذي كان السلاجقة يستعدون لمواجهة جلال الدين منكبرتي، اخترقت قوة من المغول اذربيجان سنة 625هـ/ 1228م ودخلت اسيا الصغرى وتعرضت لنواحي سيواس وملاطية، فارسل علاء الدين كيقباد جيشا بقيادة كمال الدين كاميار لمهاجمتهم، الا ان المغول سرعان ما انسحبوا، بعد قيامهم بسلب ونهب المناطق التي اغاروا عليها[3].

وبدلاً من ان يدفع الخطر المغولي جلال الدين منكبرتي الى التعاون مع سلاجقة الروم والايوبيين، فانه مضى قدماً في مهاجمة المسلمين وبدأ بالتعرض لمدينة اخلاط[4]. وادى هجوم جلال الدين منكبرتي على اخلاط ومحاصرتها ثم اقتحامها ونهبها سنة 626هـ/ 1229م، الى قيام تحالف بين علاء الدين كيقباد والايوبيين ووصل جيش الشام الى سيواس بقيادة الملك الاشرف لينضم الى جيش كيقباد، فالحقوا الهزيمة بجلال الدين منكبرتي في رمضان سنة 627هـ/ 1229م وسيطر الاشرف على اخلاط[5].

تسبب انضمام جيهان شاه الى جلال الدين منكبرتي في ضياع ملكه. لانه وقع في اسر كيقباد خلال معركة اخلاط، فأخذ السلطان اسيره وسار الى ارزن

(1) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 276.

(2) ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص 164- 165.

(3) Cahen, Op. Cit, p. 130.

(4) سميت هذه المدينة بمدينة اخلاط لان سكانها كانوا يتكلمون عدة لغات منها الفارسية والعربية والارمنية. ينظر: ناصر خسرو، سفرنامه، ترجمة يحيى الخشاب، (بيروت: 1970)، ص 39.

(5) ابن الاثير، الكامل، جـ10، ص 486- 487.

الروم واستولى على المدينة سنة 627هـ/ 1230م، كما استولى على قلعة كوغتية (قرب ارزن الروم) وتزوج السلطان اخت جيهان شاه. ومع ذلك اراد ان ينهي حكم اسرة عمه طغرل شاه، اذ يشير ابن العبري بانه قتل جيهان شاه(1).

لم يدم التحالف السلجوقي الايوبي طويلاً لانه كان قائماً على اساس المصلحة، فبعد زوال خطر منكبرتي، فتر الحلف السلجوقي الايوبي وبدأ كيقباد بمهاجمة مدينة اخلاط سنة 628هـ/ 1223م، مستغلاً انشغال الملك الاشرف في شؤون بلاد الشام، إذ امر السلطان قائده كمال الدين كاميار بالسيطرة على اخلاط وبدليس، بدأ الهجوم السلجوقي على المدن الكردية وتم تدمير اسوارها، فهرب الاهالي نحو بلاد الكرج وتقدم الجيش السلجوقي حتى وصل نواحي مدينة تفليس عاصمة الكرج، وطلب السلطان من اهالي تلك المدن الرجوع الى مدنهم وامر باعادة تعميرها(2).

بعد ان احكم السلطان قبضته على مناطق شرق الاناضول امر قائده كمال الدين كاميار بمهاجمة بلاد الكرج، لانهم تحالفوا مع جلال الدين منكبرتي وجيهان شاه. استولى الجيش السلجوقي سنة 628هـ/ 1230م على قلاعهم التي انهارت بسرعة ويذكر ابن بيبي بأنه استولى على ثلاثين قلعة خلال اسبوع(3).

وعندما رأت ملكة الكرج انهيار المقاومة امام الجيش السلجوقي اعلنت خضوعها للسلطان سنة 629هـ/ 1231م وطلبت عقد الهدنة معه ودعت الى مصاهرة البيت السلطاني، فأقترحت زواج ابنتها من ولي العهد كيخسرو الثاني على ان تبقى على دينها، فوافق السلطان على وقف القتال وانسحاب جيشه من بلاد الكرج(4).

توجه السلطان بعد ذلك نحو الجنوب واخضع الارمن لحكمه سنة

(1) تاريخ الزمان، ص 276- 277.

(2) ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص 183.

(3) نفسه، ص 183.

(4) Cahen, Op. Cit, p. 130- 31.

630هـ/ 1232م، ثم دخل في صراع عسكري مع الايوبيين بين 630-634هـ/ 1233-1237م، للاستيلاء على مناطق شمال الجزيرة. وبعد سلسلة من المعارك تمكن من السيطرة على جميع املاك الاراتقة غرب الفرات واستولى على حصن خرتبرت وتل باشر وحران[1].

وبسيطرة السلاجقة على مناطق شمال وشرق الاناضول وخضوع الكرج لنفوذهم وفرض نفوذهم على الامراء الارمن في كيليكيا واخضاع الاراتقة غرب الفرات، باتوا يلتفون على كوردستان في الشمال والجنوب[2]

اعد كيقباد سنة 634هـ/ 1237م جيشا ضخما للهجوم على آمد بعد ان فشلت حملات سابقة ارسلها السلطان للاستيلاء على المدينة. ومات السلطان دون ان يكمل ذلك المشروع الحربي وترك مهمة الاستيلاء على آمد لولي عهده كيخسرو الثاني[3].

وباخضاع الارمن والكرج ومملكة طرابزون، وصلت دولة سلاجقة الروم الى اوج توسعها واصبحت حدودها تمتد من دورليوم وسواحل بحر ايجه غرباً وحتى منابع نهر دجلة وجبال ارارات شرقاً ومن البحر الاسود شمالاً حتى مشارف مدينة حلب جنوباً، فاصبح كيقباد سيد آسيا الصغرى دون منازع. وتدل المسكوكات المكتشفة على ذلك التوسع اذ نقش اسم كيقباد على المسكوكات الارمنية جنباً الى جنب مع اسم الملك هيثوم الارمني[4].

اصبح كيقباد من اقوى السلاطين في العالم الاسلامي واصبحت دولة سلاجقة الروم من اقوى الدول في الشرق الادنى. ويرجع سبب ذلك الى الانقسام في صفوف الايوبيين وضعف الخلافة العباسية وزوال الدولة الخوارزمية اضافة الى

(1) ابن واصل، مفرج الكروب، (القاهرة: 1977)، حـ5، ص 78 وما بعدها. سيرد تفصيل الحرب بين سلاجقة الروم والايوبيين في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

(2) Gordlevsky, Op. Cit, Tom I, p. 58.

(3) ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص226؛ لين بول، الدول الاسلامية، حـ1، ص 156.

(4) Cahen, Op. Cit, p. 132- 33.

ضعف الاراتقة وسقوطهم، كما ان الدولة البيزنطية في نيقية كانت ضعيفة هي الاخرى وفي صراع مع الامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية التي اقامها الصليبيون.

ومع ذلك لم يثبت كيقباد (او دولة سلاجقة الروم) بانه يستطيع قيادة المسلمين، لمواجهة الخطر المغولي او يكمل دور جلال الدين على الاقل في التصدي للمغول، فعندما ارسل اليه الخان المغولي اوكتاي خان[1]، الامير شمس الدين عمر القزويني سنة 633هـ/ 1236م، وطلب منه الخضوع للمغول وإلا فان ملكه سيتعرض للزوال، وبدلا من رفض التهديد المغولي والاستعداد للتصدي لهم، والاتصال بالايوبيين والتحالف معهم لمواجهة الخطر المغولي كما سبق وان تحالفوا معاً للتصدي لجلال منكبرتي، امر بتخلية المجلس واعاد قراءة رسالة الخان المغولي بنفسه وذكر لرسول المغول بأنه سيعلن ولاءه لهم. وامر بجمع التحف والهدايا لارسالها اليهم، لكنه توفي، فقام ولي عهده بارسال تلك الهدايا للمغول[2].

أعماله العمرانية:

ان النهضة الاقتصادية التي بدأت منذ عهد كيخسرو الاول، تطورت في عهد كيكاوس وازدهرت في عهد كيقباد. وادى سيطرة السلطان على سواحل البحر المتوسط الشمالية وسواحل البحر الاسود الجنوبية الى فتح افاق جديدة للنشاط الاقتصادي ولا سيما التجارة.

واصبحت اسيا الصغرى محط انظار التجار من بلاد فارس والشام ومصر. وفي الوقت نفسه نشطت التجارة بين اسيا الصغرى والمدن الايطالية ولا سيما مدينة البندقية، عن طريق ميناء انطالية، بوساطة القبارصة. وادى ذلك النشاط الى زيادة الثروة في بلاد الاناضول، فاستغلها السلطان كيقباد لانفاقها على الاعمال العمرانية. فضلاً عن انفاقها على الحملات العسكرية الناجحة التي شنها السلطان على مناطق شرق الاناضول واخضاعه مملكة طرابزون والكرج والارمن

(1) رشيد الدين فضل الله الهمداني، جامع التواريخ، (تهران: 1362ش)، حـ1، ص 443 وما بعدها.

(2) ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص 202-204.

واجبارهم على دفع الجزية مما ادى الى ملء خزائن السلطان.

فاصبح في متناول السلطان ثروة كافية لانفاقها على اعمال البناء التي تركزت بالدرجة الاساسية في مدن قونية وسيواس وقيسارية وشملت مناطق اخرى ايضا. فبعد استيلائه على قلعة كالونوروس امر ببناء مدينة في الموقع المذكور وسميت بمدينة العلائية تيمنا باسم السلطان علاء الدين واصبحت ميناءً تجارياً وعاصمة شتوية للسلطان(1).

ومنذ بداية توليه السلطة امر بتعمير اسوار قونية وسيواس وترميم قلاعها كما سبق وان اشير الى ذلك في الجانب العسكري. وتم بناء جامع علاء الدين في قونية والتي ما تزال بقاياها شامخة في المدينة وامر ببناء جامع آخر في المدينة سمي جامع الخاتونية. فضلاً عن بناء برج مرتفع ضمن اسوار المدينة يعرف بكشك علاء الدين(2). ونظراً لاهمية موقع مدينة قيسارية وتوسطها بلاد الاناضول، اصبحت مقراً لاقامة السلطان فامر ببناء مدينة صغيرة قرب قيسارية سميت كيقبادية او قباد آباد(3).

اضافة الى بناء الجوامع والمدارس والمستشفيات والخانات والجسور، ازدهرت في ذلك العصر العلوم والفنون ولذلك يعد عصره عصراً ذهبياً في بلاد الاناضول. واهلته اعماله وصفاته الشخصية ونصرته للمظلومين، ان يصبح سلطاناً مشهوراً بين الترك يطلقون عليه كيقباد العظيم(4).

وقصد الشعراء والحكماء بلاطه، فابدى احتراماً كبيراً لهم. وهو الذي دعا الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين والد جلال الدين الرومي من ملاطية للاقامة

---

(1) نفسه، ص 99-102.

(2) GLUCK, Die kunst Des Islam, und Ernest Diez, (Berlin: 1925), pp. 228- 232;

رايس، السلاجقة، ص 226.

(3) Turan, Op. Cit, p. 248.

(4) Ibid, p. 248.

في قونية، فمهد بذلك لانتشار الطريقة الصوفية المولوية على يد ابنه في بلاد الاناضول[1].

وهكذا فإن قوة شخصية السلطان كيقباد وسعة انتشار نفوذه وتألق النشاط الحضاري في عصره، ادى الى اطلاق لقب (سلطان البرين والبحرين) عليه في نص كتابي عثر عليه في مدينة العلائية يرجع تاريخه الى سنة 634هـ/ 1236م[2]، بسبب سيطرته على سواحل البحرالمتوسط والبحر الاسود وامتداد نفوذه الى اوروبا وعقده اتفاقيات تجارية مع المدن الايطالية. اطلق عليه في تلك الاتفاقيات سلطان قونية العظيم سلطان جميع الاراضي الموجودة في الشرق وكبدوكيا الكبرى[3].

واورد كردليفسكي بان السلطان كيقباد حاول ان يتشبه بالسلطان سنجر بن ملكشاه (511-552هـ/ 1117-1158م) واتخذه حاكماً نموذجياً للاقتداء به ولذلك قلده في اعماله واراد بذلك احياء دولة السلاجقة العظام والسيطرة على العالم الاسلامي[4].

مات كيقباد بشكل فجائي، اثر قيامه بأعداد جيش ضخم، ضم في صفوفه اضافة الى الترك والكرد، الخوارزميين واليونانيين والفرنج والارمن والكرج. واقام وليمة لامراء جيشه واثناء اقامة الوليمة وتناول الطعام شعر بالم مفاجئ في احشائه استمر يومين ادى الى وفاته. لذلك يشك بعض المؤرخين في موته ويعتقدون بأنه مات مسموماً وان ابنه كيخسرو كان وراء تلك المؤامرة[5].

توفي السلطان علاء الدين كيقباد في (4) شوال سنة 634هـ الموافق 31 مايس 1237م وبوفاته تبدأ مرحلة جديدة من تاريخ سلاجقة الروم، لأن ابنه كيخسرو الثاني لم يستطع المحافظة على استقلال الدولة الواسعة التي ارسى كيانها والده،

---

(1) رضا زاده شفق، تاريخ الادب الفارسي، ترجمة محمد موسى هنداوي، (القاهرة: 1947)، ص 154.

(2) الباشا، الالقاب الاسلامية، ص 335.

(3) Gordlevsky, Op. Cit, Toml, p. 60.

(4) Ibid, p. 60.

(5) Tachner, Op. Cit, p. 748; رايس، السلاجقة، ص 83.

فسرعان ما خضع للمغول منذ تولية السلطة واصبحت تبعيته للمغول شيئاً عملياً منذ سنة 641هـ/ 1243م(1).

ويمكن التعرف على قوة شخصية السلطان كيقباد من خلال وصف المؤرخين له، فقد وصفوه: ((بانه كان عاقلاً، ممتازاً بين ملوك زمانه، مهيب الجانب، ذا ذكاء مفرط، منزه من الاهواء، صارما في احكامه، شديداً على امرائه وافراد حاشيته)) (2).

وفي ختام هذا الفصل لابد من التنويه بانه سيتم معرفة جوانب اخرى من نشاطات سلاطين سلاجقة الروم خلال دراسة علاقاتهم مع الدول والممالك الاسلامية من جهة ومع الدول والممالك غير الاسلامية من جهة اخرى، فضلاً عن دورهم في مواجهة الحملات الصليبية.

(1) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 287- 288.

(2) نفسه، ص 283؛ تاريخ مختصر الدول، ص 438؛ الذهبي، العبر جـ3، ص220؛ الدواداري، كنز الدرر، جـ7، ص 319؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ6، ص289.

الفصل الثالث

علاقة سلاجقة الروم مع الدول والمماليك

(550-634هـ/ 1155-1237م)

اولاً: العلاقة مع الخلافة العباسية

ثانياً: العلاقة مع اتابكية حلب والموصل

ثالثاً: العلاقة مع الايوبيين

رابعاً: العلاقة مع الخوارزميين

تمهيد:

ان نجاح سلاجقة الروم في السيطرة على معظم اسيا الصغرى وانتشار الاسلام هناك في النصف الثاني من القرن 6هـ/ 12م ادى الى قيام العلاقات، بينهم وبين القوى الاسلامية المجاورة، حيث فتحت خطوط المواصلات بين الطرفين وبات التجار والعلماء والشعراء يتنقلون في كل تلك المناطق بحرية تامة وضمن البلد الاسلامي الواحد، مما احدث تطوراً كبيراً وجديداً في العلاقات على كافة المستويات مما سنذكره تباعاً.

اولاً: العلاقة مع الخلافة العباسية

سعى جميع سلاطين وامراء المسلمين، الى الحصول على اعتراف الخلفاء العباسيين بحكمهم والذي كان يتم عادة اما بارسال الخلع اليهم او تبادل الهدايا معهم، لان اعتراف الخليفة بهم معناه اسباغ الشرعية على سلطتهم، وقبول شعوبهم لحكمهم.

وعلى الرغم من فتح بلاد الروم في النصف الثاني من القرن 5هـ/ 11م، فإن المصادر الاسلامية لم تدرجها ضمن ولايات العالم الاسلامي[1]، وعدت منطقة من مناطق الثغور يتمركز فيها المسلمون للجهاد ضد الروم البيزنطيين. وبسبب ضعف الخلافة العباسية وخضوع الخليفة العباسي لسلاطين سلاجقة المشرق، اصبح امر تعيين امراء الثغور بيد السلطان السلجوقي.

ولم تكن العلاقة ودية بين سلاجقة الروم وسلاجقة ايران والعراق، لان مؤسس دولتهم سليمان بن قتلمش نحا منحىً مستقلاً عن سلاجقة المشرق منذ بداية تأسيس سلطنته، بينما اراد السلطان ملكشاه اخضاعهم لنفوذه المباشر. لذا بات أمر اقامة العلاقة بين سلاجقة الروم والخلافة العباسية أمراً مستبعداً في عهد ملكشاه وابنائه بسبب قوتهم وهيمنتهم على الخلافة[2].

ولم يكن باستطاعة الخليفة العباسي تكوين علاقات حسنة مع سليمان شاه في اسيا الصغرى خلال فترة حكمه (470-479هـ/ 1077-1086م) دون الحصول على موافقة ملكشاه. علماً بان سليمان نفسه كان قد اعلن تبعيته للسلطان السلجوقي ملكشاه بعد استيلائه على مدينة انطاكية سنة 477هـ/ 1084م، حيث لا

(1) ينظر على سبيل المثال: القلقشندي، مآثر الانافة في معالم الخلافة، (بيروت: 1980)، جـ2، ص 8.

(2) للتفصيل عن اوضاع الخلافة في ظل الحكم السلجوقي ينظر: امين، تاريخ العراق في العهد السلجوقي، ص 125 وما بعدها.

يوجد ما يدل على ان سليمان نقش اسمه على المسكوكات او ذكر اسمه في خطبة الجمعة[1].

وأورد الباحث التركي عثمان توران بان الخليفة العباسي اعترف بسلطة سليمان على اسيا الصغرى وثغور الروم وارسل اليه شارات السلطنة التي تمثلت بالراية السوداء (شعار العباسيين) والخلع مع كتاب بتفويض الحكم اليه، لكي يحافظ على الثغور ويتصدى لهجمات الروم وليمنع انتشار الدعوة الفاطمية فيها[2].

وجدير بالملاحظة ان الباحث توران لا يشير الى المصدر الذي استقى معلوماته منه، اذ لم يرد في المصادر الاسلامية اية اشارة الى ارسال الخليفة العباسي القائم (422-467هـ/ 1031-1075م) او المقتدي (467-487هـ/ 1075-1094م) اية خلع او كتاب بتفويض الحكم الى سليمان وتؤيد بعض المراجع التركية عدم وجود صلة رسمية مباشرة بين الخلافة العباسية وسليمان شاه او ارسال الخليفة كتاب تفويض الحكم اليه[3].

حاول السلطان قلج ارسلان الاول (485-500هـ/ 1092-1107م) ان يمد نفوذه الى العراق بعد سيطرته على مناطق شمال الجزيرة، مستغلاً النزاع بين القادة السلاجقة في المشرق، في اعقاب وفاة السلطان بركياروق سنة 498هـ/ 1104م وتولية اخيه محمد بن ملكشاه الحكم، الذي اقطع الامير جاولي سقاو الموصل والمناطق الاخرى التابعة لامير الموصل جكرمش من الجزيرة، فسار نحو الموصل بعد ان استولى على مدينة اربل من ابي الهيجاء بن موسك الكردي الهذباني وانتصر على جكرمش واسره ثم تقدم لحصار الموصل[4].

---

(1) للتفصيل ينظر: الفصل الاول من هذه الرسالة.

(2) Turan, Op. Cit., p. 236.

(3) Sevim, Op. Cit., p. 21 ff.

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 156؛ ابن الاثير، الكامل، حـ9، ص 103؛ وللتفصيل ينظر: عماد الدين خليل، المقاومة الاسلامية للغزو الصليبي، (الرياض: 1981)، ص40 وما بعدها.

عين اهل الموصل زنكي بن جكرمش اميرا عليهم وارسلوا الى السلطان قلج ارسلان الذي كان في نصيبين ليتقدم الى الموصل ويخلصهم من جاولي ووعدوه بتسليم المدينة اليه[1]. اعتقد قلج ارسلان بان سلاجقة المشرق اصبحوا ضعفاء في اعقاب انقسامهم بعد وفاة ملكشاه ولذلك تحرك من نصيبين نحو الموصل وانضمت اليه بعض قوات جكرمش. وعندما علم جاولي بقدومه رحل الى سنجار وبقي هناك يراقب عن كثب تحركات قلج ارسلان الذي وصل الى الموصل، حيث نظم ادارتها واهتم بأقامة العدل بين الناس[2].

اراد قلج ارسلان الاحتفاظ بمدينة الموصل، لذلك عين ابنه ملكشاه اميراً عليها وامر باستمرار الخطبة للخليفة العباسي مع ذكر اسمه بدلاً من السلطان محمد بن ملكشاه[3]. ويعني ذلك انه اراد التقرب من الخليفة العباسي والحصول على اعترافه بحكم المناطق التي استولى عليها.

وانفرد اقسرائي برواية اشار فيها الى ان السلطة السلجوقية ضعفت في العراق، بسبب الصراع بين افراد البيت السلطاني، كما كان الخليفة العباسي ناقماً عليهم، لذلك ارسل الى قلج ارسلان، يدعوه الى بغداد، ليتولى منصب السلطان، فلبى قلج ارسلان نداء الخليفة وجمع الجيش ثم توجه نحو بغداد. وتزامن ذلك مع بروز الامير جاولي وتوجهه نحو الموصل والجزيرة، لاعادة سلطة سلاجقة المشرق الى تلك المناطق، فانشغل قلج ارسلان بحربه مع جاولي واستولى على الموصل ولم يستطع الوصول الى بغداد[4].

وتتفق رواية اقسرائي مع رواية ابن الاثير وابن خلدون اللتين أشارا الى نجاح جاولي في مواجهة قلج ارسلان، بعد قيامة باجراء اتصالات مع عدد من الامراء

(1) ابن الاثير، الكامل، حـ9، ص 104-105.

(2) نفسه، ص 106-107؛ ابن الوردي، تتمة المختصر، حـ2، ص 25-26.

(3) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، حـ5، ص 188.

(4) مسامرة الاخيار، ص 29.

التركمان في جيش قلج ارسلان وحثهم على الانضمام اليه، مستخدماً معهم التهديد والوعيد، كما ارسل الاموال الى بعضهم، مما ادى الى تردد عدد منهم وانسحابهم من جيش قلج ارسلان، فضلاً عن تحالفه مع امير حلب رضوان بن تتش السلجوقي. وقد ادى ذلك الى هزيمة جيش قلج ارسلان عند مواجهته لجيش جاولي في (20) ذي القعدة سنة 500هـ/ (13) تموز 1107م وغرق سلطان الروم في الخابور[1].

وتعد محاولة الخليفة للتخلص من نفوذ سلاجقة المشرق امراً محتملا بالاعتماد على افراد البيت السلجوقي نفسه، وتدل رواية اقسرائي على نجاح الخليفة في الايقاع بين سلاجقة الروم وسلاجقة المشرق وبذلك اصبح الوضع اكثر ملاءمة امام الخلافة للعمل على التخلص من نفوذ سلاجقة المشرق.

انتهت حياة قلج ارسلان الاول مثل حياة أبيه سليمان، بسبب دخوله في صراع سياسي وعسكري مع سلاجقة المشرق الذين كانوا ما يزالون اقوياء، فلم يسمحوا لسلاجقة الروم بالتوسع على حسابهم او ان يحصلوا على اعتراف الخليفة العباسي بسلطتهم.

ان ضعف دولة سلاجقة الروم، المنوه عنها سابقاً دفع الخلافة العباسية الى البحث عن قوة جديدة في المنطقة يمكنها الاستناد اليها لتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية بوساطتها. واصبح الدانشمنديون القوة الرئيسة المهيمنة على اسيا الصغرى بعد وفاة قلج ارسلان الاول وباتت سلطة سلاجقة الروم في الظل، لذلك بعث الخليفة العباسي المسترشد بالله (512-529هـ/ 1118-1136م) والسلطان السلجوقي سنجر (511-552هـ/ 1118-1157م) الراية السوداء والطبل والصولجان الذهبي (رموز السلطة) الى الملك غازي الدانشمندي (477-529هـ/ 1084-1134م) وبذلك تفوق على سلاجقة الروم شانا وسلطاناً

(1) نفسه، ص29؛ الكامل، حـ9، ص 106-107؛ تاريخ ابن خلدون، حـ5، ص 188-190.

ومقاماً[1].

ومن دراسة النصوص التاريخية يبدو ان سلاجقة المشرق ارادوا اضعاف سلطة سلاجقة الروم لانهم ينتمون الى الاسرة السلجوقية الحاكمة ويعدون منافسين لهم، اذ سبق لهم وان دخلوا في صراع معهم من اجل السلطة، فضلاً عن عدم خضوعهم للسلطان السلجوقي في المشرق، لذلك ارادوا دعم الدانشمنديين ودفعوا الخليفة الى الاعتراف بسلطتهم على امل انهاء الدور السياسي لسلاجقة الروم وضم الاناضول الى سلطتهم.

ولا يوجد ما يشير الى وجود علاقات بين سلاجقة الروم والخلافة في بداية حكم قلج ارسلان الثاني. ولعل قوة شخصية نور الدين محمود زنكي وقيادته للجهاد ضد الصليبيين[2]، وحصوله بذلك على رضا الخلافة العباسية التي منحته فرصة التدخل في شؤون بلاد الاناضول سنة 568هـ/ 1172م، لاعادة ذي النون الدانشمندي الى حكم سيواس، بعد مهاجمة قلج ارسلان الثاني لبلاده، فتقدم جيش نور الدين شمالاً حتى وصل سيواس. وفي الوقت نفسه ارسل القاضي كمال الدين الشهرزوري[3] الى بغداد، يلتمس من الخليفة الامارة على الموصل والجزيرة واربل واخلاط والشام ومصر وبلاد قلج ارسلان (بلاد الروم). فأستجاب الخليفة لالتماسه[4]. ويدل ذلك على انه لم تكن ثمة علاقة بين قلج

---

(1) Gordlevsky, Op. Cit., Tomi, p. 54-55.

(2) للتفصيل عن جهاد نور الدين ضد الصليبيين ينظر: ابن الاثير، الكامل، حـ9، ص 348 وما بعدها؛ حسين مؤنس، نور الدين محمود، (القاهرة: 1959)، ص 204 وما بعدها.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، حـ10، ص 268؛ ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد، ، تحقيق بشار عواد معروف، (بغداد: 1979)، حـ2، ص 11-12؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، تحقيق كمال يوسف الحوت، (بيروت: 1987)،حـ2، ص18. وللتفصيل عن كمال الدين الشهرزوري ينظر: درويش يوسف حسن، الاسرة الشهرزورية ودورها السياسي والحضاري، رسالة ماجستير، غير منشورة، قدمت الى كلية الاداب- جامعة صلاح الدين، (اربيل: 1998)، ص 49-53.

(4) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 48-49.

ارسلان والخلافة العباسية، بدليل منح الخليفة العباسي لنور الدين الامارة على بلاد الروم.

وبعد ما تحررت الخلافة من السيطرة السلجوقية، بدأ الخليفة العباسي يمارس دوره السياسي في العالم الاسلامي، فضلاً عن دوره الديني. واقام علاقاته مع الامراء المسلمين وفق مصلحة الخلافة بهدف توسيع نفوذها.

وقام بذلك الدور الخليفة الناصر لدين الله (575-622هـ/ 1180-1225م) اذ سعى الى ايجاد علاقات مع الامراء المسلمين، محاولا فرض سلطته الروحية عليهم ومنع حدوث الاخلال بالتوازن في القوة بينهم[1]. فعلى الرغم من الاحترام الكبير الذي اظهره السلطان صلاح الدين للخليفة، لم يرق له توسع سلطته. ويمكن اكتشاف ذلك خلال الاطلاع على الرسائل المتبادلة بينهما[2]، وقيام الخليفة بالتوسط بين صلاح الدين واتابكة الموصل[3]. وخلال سعي الخليفة نحو ايجاد العلاقات مع الامراء المسلمين، لاضعاف سيطرة صلاح الدين على العالم الاسلامي، من المحتمل جداً ان يكون احد هؤلاء الامراء السلطان قلج ارسلان الثاني.

ومن الجدير بالذكر ان هدف صلاح الدين لم يكن حب السيطرة او اخضاع الامراء المسلمين لحكمه بل كان هدفه توحيد العالم الاسلامي في جبهة متحدة لمواجهة الغزاة الصليبيين وتحرير القدس، وهذا ما دفعه الى التدخل لحل النزاع بين نور الدين محمد بن قرا ارسلان الارتقي امير حصن كيفا وقلج ارسلان، عندما استجار الامير الارتقي بصلاح الدين، اثر تعرضه لتهديد سلطان الروم، بسبب

(1) جزيل عبد الجبار الجومرد ونزار محمد قادر، دور الخلافة العباسية في العلاقات السياسية بين القوى الاسلامية، مجلة دراسات العلوم (العلوم الانسانية)، المجلد الحادي والعشرون (أ)، العدد الخامس، (عمان:1994)، ص405.

(2) ابن شداد، النوادر السلطانية، تحقيق جمال الدين الشيال، (القاهرة: 1964)، ص 189-199.

(3) الجومرد وقادر، دور الخلافة العباسية، ص 409-418.

اساءته معاملة ابنته سلجوقي خاتون (كوهره خاتون) والزواج عليها. وادى تدخل صلاح الدين الى ابرام الصلح بين قلج ارسلان وصهره سنة 576هـ/ 1180م(1).

وبعد وفاة نور الدين الارتقي سنة 581هـ/ 1185م، خطب الخليفة الناصر سلجوقي خاتون من ابيها قلج ارسلان وتزوجها، بعد ان ذاعت شهرتها، اثر موكبها المهيب الى الحج سنة 579هـ/ 1183م(2). ومن المحتمل ان الخليفة اراد الاستفادة من تلك المصاهرة بغية اقامة تحالف سياسي مع سلطان الروم من اجل اعادة هيبة الخلافة وفرض نفوذه على جميع الامراء المسلمين.

ان زواج الخليفة السابق من الخاتون ايا ما كانت اهدافه، ادى دون شك الى تعميق الصلات السياسية بين الخلافة العباسية وسلاجقة الروم وحظي قلج ارسلان بشرف مصاهرة الخليفة. وقد اظهر الخليفة احتراماً كبيراً لزوجته السلجوقية وبنى لها قصراً كبيراً(3). وعندما توفيت سنة 584هـ/ 1188م، اظهر حزناً شديداً عليها، حتى انه امتنع عن الاكل والشرب اياماً واقام لها مأتماً كبيراً، كما اقام لها تربة في الكرخ لتدفن فيها، اوقف عليها رباطا للصوفية وخزانة للكتب النفيسة مع بستان يطل على دجلة(4). مما يدل على وفائه لها واحترام ابيها.

وتبدو رواية ابن العبري غير معقولة حول قيام الخليفة باجبار سلجوقي خاتون على الزواج منه، فاورد بان الخليفة ارسل ثلة من الجنود، قادوها الى بغداد اثناء رجوعها من الحج سنة 580هـ/ 1184م، ويتهم الخليفة ايضا بالتخلص من زوجها عندما يذكر بأنها عندما وصلت الى بغداد جاء خبر موت زوجها فيقول:

---

(1) ابن شاهنشاه الايوبي، مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشي، (القاهرة 1968)، ص 41.

(2) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص 161-162.

(3) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 269.

(4) ابن الساعي الخازن، نساء الخلفاء، ص 117-118؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، تحقيق مصطفى جواد، (بغداد:1970)، ص247.

((والله يعلم كيف مات))[1].

وعند مناقشة الرواية السابقة نجدها لا تصمد امام النقد التاريخي لان سلجوقي خاتون وصلت الى بغداد حسب رواية ابن العبري سنة 580هـ/ 1184م وتزامن ذلك مع موت زوجها. علما بان المصادر التاريخية تشير الى وفاة نور الدين محمد بن قرا ارسلان سنة 581هـ/ 1185م[2]. واشار ابن جبير الى عودة الخاتون من الحج وذكر بانه صاحبها في رحلة عودتها ورافق موكبها من بغداد الى الموصل حيث وصلت في (15) صفر سنة 580هـ/ (29) مايس 1184م[3]، وان الخليفة خطبها من ابيها بعد عودتها من الحج بثمانية عشر شهراً كما اشار الى ذلك المؤرخ ابن الساعي[4]. ولا يعقل ان يقوم خليفة المسلمين باحتجاز زوجة احد امرائه، سيما الخليفة الناصر الذي حاول تقوية مركز الخلافة عن طريق تطوير علاقاته مع الامراء المسلمين.

تعمقت العلاقات اكثر بين الخلافة العباسية والسلاطين السلاجقة في بلاد الاناضول. فقد أشار المستوفي القزويني بان سليمان الثاني نجح في اقامة علاقات جيدة مع الخليفة العباسي الناصر لدين الله والتي تعد استمراراً لعلاقة ابيه الحسنة قلج ارسلان الثاني مع الخلافة ولقبه الخليفة حينئذ بلقب السلطان القاهر[5]، مما يدل على ان السلطان سليمان كان قد ارسل الهدايا والاموال الى الخليفة وذكر اسمه في خطبة الجمعة كما نقش اسمه على السكة، ولذلك اعترف الخليفة بحكمه وانعم عليه باللقب السابق.

---

(1) تاريخ الزمان، ص 269.

(2) الصفدي، الوافي بالوفيات، حـ4، (فيسبادن: 1974)، ص353، ابو شامة، الروضتين، حـ2، ص 63.

(3) رحلة ابن جبير، ص 206.

(4) نساء الخلفاء، ص 116.

(5) تاريخ كزبدة، ص 476.

اما كيخسرو الاول (601-607هـ/ 1204-1210م) فانشغل بشؤون بلاد الاناضول ودخل في صراع مع امير طرابزون وامبراطور نيقية من اجل السيطرة على الموانئ البحرية، كما انه حكم فترة قصيرة، لذلك لم يتجه في سياسته نحو المشرق. ويفسر ذلك عدم وجود اية اشارة في المصادر المتوفرة خلال عهده، الى وجود علاقات بينه وبين الخلافة العباسية.

وأشارت المصادر الوثائقية الى اقامة السلطان كيكاوس الاول علاقات جيدة مع الخليفة الناصر، إذ ثمة ما يشير الى ارساله هدايا الى دار الخلافة، عندما اعاد فتح ميناء انطالية سنة 612هـ/ 1215م، فضلاً عن ارساله الهدايا والغنائم الى جميع الملوك والامراء المسلمين بتلك المناسبة(1).

وخص الخلافة المكانة الاولى بهداياه اذ ارسل الشيخ مجد الدين اسحق الى بغداد ومعه هدايا كثيرة من جواهر واسرة ذهبية وثياب كثيرة، مع عدد من الجواري والغلمان والخيول، فضلاً عن صلبان مرصعة بالذهب وأواني ذهبية. ونالت تلك الهدايا استحسان الخليفة وفرح بها كثيراً(2).

وارسل الخليفة بدوره للسلطان كيكاوس الخلع وكانت عبارة عن عمامة سوداء واثواب، كما اهدى اليه خمسة بغال وخمسة خيول عربية وعشرة جمال حجازية مع طير النعامة وزرافة وحمار وحشي. ولم يسبق للخليفة وان ارسل مثل تلك الهدايا الى احد من الامراء او السلاطين وقد اصبحت موضع فخر لدى السلطان(3).

كذلك ارسل الخليفة الناصر رسالة الى السلطان كيكاوس دعاه فيها الى

(1) Turan, Turkiye Selcuklulari, Hakkinda, Resmi Vesikalar, (Ankra: 1988), p. 106;
ابن واصل، مفرج الكروب، حـ4، ص 233.

(2) ابن بيبي، الاوامر العلائية، ص 218-222.

(3) ابن بيبي، الاوامر العلائية، ص223.

ضرورة تطبيق نظام الفتوة[1]، وأرسل إليه ايضاً سراويل الفتوة[2]، لكي يلبسها الشباب المسلم في بلاد الروم، وهي ترمز الى انضواء سلاطين الروم تحت راية الخلافة واستعدادهم لتنفيذ سياستها.

وبعد ان تولى كيقباد الاول السلطة في بلاد الروم سنة 616هـ/ 1219م ارسل الخليفة شيخ الشيوخ ابو عبد الله عمر بن محمد السهروردي لتهنئة السلطان بمناسبة تسلمه الحكم وحمل معه منشور السلطنة ونيابة حكم ممالك الروم[3]. ومن المحتمل ان شيخ الشيوخ هو الذي حمل معه سراويل الفتوة –المشار اليها من قبل- والتي ارسلها الخليفة للسلطان[4].

ومن جانبه اظهر السلطان كيقباد احتراماً كبيراً للخليفة خلال الاهتمام برسوله. فلما علم بدخوله بلاد الروم، ارسل الامراء لاستقباله في مدينة اقصرا، ثم خرج السلطان مع جيشه لاستقباله وبالغ في اكرامه. واستلم منه خلع الخلافة ولبسها امام اعين الناس، معلنا خضوعه للخليفة، فكان ذلك مبعثاً لارتياح السكان. كذلك زار السلطان رسول الخليفة اثناء مكوثه في قونية عدة مرات[5].

ارسل السلطان ايضاً هداياه الى دار الخلافة مع رسول الخليفة وكانت عبارة عن اموال الجزية التي تم جمعها من اهل الذمة من يونانيين وارمن والتي بلغت مائة الف ديناراً فضلاً عن ارساله (50) الف دينار ذهبي هدية شخصية للخليفة. وحمل تلك الاموال الاميران قرطاي ونجم الدين الطوسي، وخرج السلطان لتوديع

(1) حول نص هذه الرسالة ينظر: ملحق رقم (1).

(2) ابن المعمار، كتاب الفتوة، تحقيق مصطفى جواد ومحمد تقي الدين الهلالي، (بغداد: 1958)، ص 70؛ ابن بيبي، الاوامر العلائية، ص 184.

(3) ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص 94.

(4) ابن الفوطي، مجمع الاداب في مجمع الالقاب، جـ2، ص 345.

(5) ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص 95-96.

رسول الخليفة الى بعد فرسخ[1]، فضلاً عن مرافقة امرائه له حتى ملاطية[2].

ومع كل تلك العلاقات الايجابية بين الطرفين، فان الخلافة العباسية لم تطمئن الى توسع السلاجقة في منطقة الجزيرة وشمال الشام لذلك شجعت بدر الدين لؤلؤ اتابك في الموصل للوقوف بوجه سلاجقة الروم[3].

ومع ذلك يبدو من توالي الاحداث السياسية والعسكرية ان علاقة الخلافة العباسية بسلاطين سلاجقة الروم استمرت حسنة، فقد استنجد الخليفة المستنصر بالله (623-640هـ/ 1226-1242م) بالسلطان علاء الدين كيقباد عند هجوم المغول على دويلات المشرق، وارسل اليه محي الدين ابن الجوزي[4]، طالبا منه ارسال نجدة عسكرية لمواجهة المغول. ما ان علم السلطان بوصول رسول الخليفة الى ملاطية حتى ارسل امراءه الى سيواس لاستقباله، ثم استقبله السلطان بنفسه. نقل ابن الجوزي تحيات الخليفة الى السلطان ثم قدم له خلع الخلافة وهداياها. وأمر السلطان الاميرين جلال بروانه وظهير الدين منصور، بخدمة رسول الخليفة[5].

وبعد انتهاء مراسيم الاستقبال اختلى رسول الخليفة بالسلطان وذكر له امر المغول وكيفية قضائهم على السلطان الخوارزمي محمد خوارزشاه (596-617هـ/ 1100-1220م)، كما اخبره بأن المغول سيتقدمون غرباً لغزو

(1) الفرسخ وحدة قياس المسافة لدى المسلمين. ينظر: ابن منظور، لسان العرب (بيروت:د/ت)، حـ2، ص 1073، ويقدر بـ12 الف ذراع ينظر: ابن حوقل، صورة الارض، ص 429؛ ياقوت، معجم البلدان، حـ1، ص 36، ويساوي الفرسخ 6 كيلومترات تقريباً. ينظر: فالترهنتس، المكاييل والموازين الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، (عمان: 1970)، ص 94.

(2) ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص 97.

(3) سوادي عبد محمد الرويشدي، امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ، (بغداد: 1971)، ص 236.

(4) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص 195.

(5) ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص 106-107.

الاقاليم الاسلامية وطلب منه ارسال نجدة عسكرية للعراق، كان منها ارسال الفي فارس[1]، علماً بان الفارس له مدلولاته وهو يعادل الكثير من الرجال المتطوعة العاديين وقد يمثل في يومنا هذا بالضابط الذي يصلح لتدريب مئات المتطوعة استعداداً للتصدي للهجوم المغولي.

اجتمع السلطان مع اكابر دولته وناقش معهم طلب الخليفة. واعرب عن اسفه لقصر نظر خليفة المسلمين وذكر بان المسلمين لا يستطيعون مواجهة المغول بعدد قليل من الفرسان. وكان السلطان يظن بان الخليفة ادرى منه بامر المغول. واخبر السلطان امراءه بانه من الحكمة ارسال الرسل الى خان المغول للتفاهم معه[2].

لقد كان السلطان مسروراً باعتماد الخلافة العباسية عليه وطلب العون منه. ولذلك سارع على الفور بالاجتماع مع قادة جنده وامرائه وابلغهم عزمه على مساندة الخلافة العباسية واقترح عليهم ارسال خمسة الاف فارس[3]، وخراج سنة كاملة تكفي لتمويل حملة عسكرية ضد المغول وقد اظهر بذلك السلطان انصياعه للخلافة العباسية واستعداده للتضحية من اجلها. كما اظهر للخليفة بشكل غير مباشر قوته العسكرية وامكانياته المادية.

ومن الجدير بالذكر ان السلطان لم يكتف بالدعم العسكري السابق للخلافة العباسية فحسب، بل لقد ارسل للخليفة ايضاً (50) الف دينار مع مائة ثوب وخمسة بغال وعشر افراس وخمسة مماليك. اضافة الى هدية شخصية لمرافقي رسول

---

(1) نفسه، ص 107.

(2) إبن بيبي، تواريخ آل سلجوق، ص 108. هنا يظهر قصر نظر السلطان كيقباد ايضا الذي لم يدرك تماماً بان هدف المغول هو اخضاع جميع المناطق التي يصلون اليها لحكمهم وبأنهم اعداء المسلمين. ومن المحتمل ان السلطان كان يعتقد بانه من الممكن التفاهم مع المغول لان الترك والمغول من ارومة واحدة.

(3) نفسه، ص 108.

الخليفة قدرت بعشرين الف دينار[1].

اعد السلطان كيقباد الجيش الذي طلبه الخليفة في اقل من شهر وجعل الامير علاء الدين قتلغجه قائداً له، ثم تحرك ذلك الجيش نحو بغداد سنة 624هـ/ 1227م ومر بحصن خرتبرت وآمد وماردين، ووصل الى الموصل وبقي ثلاثة ايام في ضيافة بدر الدين لؤلؤ وطلب الاخير من مظفر الدين كوكبري اكرام جيش السلاجقة اثناء مروره في بلاده متوجها الى بغداد، فأستجاب كوكبري لتلك الدعوة كذلك ارسل كتابا الى بغداد يعلمهم فيه وصول جيش السلاجقة[2].

وصل رد الخليفة الى كوكبري وجاء فيه بانه لا حاجة لمجيء ذلك الجيش الى بغداد، لان هجمات المغول قد توقفت. وفي الوقت نفسه ارسل لجيش السلاجقة معونة تضمنت (50) الف دينار ومائة من الابل ومائة فرس وحمل مائتي بغل من المؤن. فقام الامير بهاء الدين قتلغجه بتوزيع هدايا الخلافة على افراد الجيش ورجع الى بلاده[3].

استفاد كيقباد من ارسال جيشه الى العراق لنجدة الخليفة واظهر بذلك علاقته الحميمة مع الخلافة العباسية، وادى الى دخول الرهبة في نفوس الامراء المسلمين وارتفاع مكانته بينهم.

ومما يدل على قوة العلاقة بين كيقباد والخليفة العباسي المستنصر بالله، العثور على عدة قطع من المسكوكات ضربت في سيواس وقونية بين (624-640هـ/ 1226-1242م) نقش عليها اسم الخليفة المستنصر، ضربت في عهد كيقباد الاول وابنه كيخسرو الثاني (634-644هـ/ 1237-1246م)[4].

---

(1) نفسه، ص 108-109.

(2) نفسه، ص 109-110.

(3) ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص 111.

(4) محمد باقر الحسيني، نقود الخليفة العباسي المستنصر بالله، مجلة المسكوكات، العددان 8-9، بغداد 1977، ص94-95.

واشارت المصادر التاريخية بأن الخليفة العباسي ارسل محي الدين بن الجوزي سنة (634هـ/ 1236م)، لحل الخلافات بين سلاجقة الروم والايوبيين وقد زار الوفد القاهرة واجتمع مع الملك الكامل ثم توجه الى بلاد الروم للاجتماع مع كيقباد[1]مما يدل بأن العلاقات كانت طيبة بين سلاجقة الروم والخلافة.

كما أشارت المصادر التاريخية الى ان السلطان كيخسرو الثاني احتفظ بالعلاقات الحسنة مع الخلافة العباسية. وعندما حاصر مدينة آمد في بداية حكمه سنة 634هـ/ 1237م وضيق على اهلها، ارسل اميرها الى الخليفة المستنصر، طالبا تدخله لمنع سلطان الروم من احتلال آمد، فبعث الخليفة رسوله محي الدين ابن الجوزي واعطاه كتابا بخطه. فلما وصل الى معسكر كيخسرو، استقبله السلطان استقبالاً حسنا ووضع كتاب الخليفة على عينه تكريما له وامر على الفور جيشه بالانسحاب[2].

تبين مما سبق بان علاقة سلاجقة الروم بالخلافة العباسية بدأت، بعد ان اصبح سلاجقة الروم قوة مؤثرة في المنطقة، مما جعل الخلافه تسعى لاكتساب ودهم والاستفادة منهم، بعد اخضاعهم لنفوذ الخلافة الديني على الاقل. ورحب سلاطين الروم بتوجه الخلافة تلك واستفادوا منه لاسباغ الشرعية على حكمهم مما ساعدهم على اخضاع مناطق جديدة لحكمهم ودفع الامراء المسلمين ولا سيما الاراتقة الى الخضوع لهم، بسبب زيادة قوتهم وحصولهم على اعتراف الخليفة العباسي.

---

(1) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، (حيدر آباد: 1954)، حـ1، ص 333، الدواداري، كنز الدرر، حـ7، ص317؛ المقريزي، السلوك، حـ1، ص 253.

(2) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، تحقيق بشار عواد معروف وعماد عبد السلام رؤوف، (بيروت: 1997)، ص120.

ثانياً: العلاقة مع اتابكية حلب والموصل

العلاقة مع اتابكية حلب

اسس نور الدين محمود زنكي (541-569هـ/ 1146-1174م) اتابكية حلب بعد مقتل والده عماد الدين اثناء محاصرته لقلعة جعبر[1] سنة 541هـ/ 1146م[2]. ووسع نور الدين حدود اتابكيته باستيلائه على دمشق سنة 549هـ/ 1154م، ثم تولى مهمة التصدي للصليبيين في بلاد الشام[3]. وبحكم الجيرة، قامت العلاقات بين سلاجقة الروم ونور الدين في عهد مسعود بن قلج ارسلان الاول وابنه قلج ارسلان الثاني، فارتبطت الاسرتان الحاكمتان بمصاهرة سياسية عندما زوج مسعود ابنته من نور الدين[4].

ومع ذلك تحالف السلطان مسعود مع الامراء الدانشمنديين في ملاطية وسيواس، لقطع الطريق امام تدخل نور الدين في شؤون بلاد الاناضول أو مد نفوذه الى الامارات الدانشمندية القريبة من الثغور الجزرية. ولم يستطع السلطان مسعود من جانبه، مد نفوذه الى شمال سوريا، خوفاً من تعرض بلاده لهجمات الامبراطور البيزنطي حناكومنين[5].

ونجح السلطان مسعود في تحسين علاقاته مع امبراطور الروم سنة 542هـ/ 1147م، لذا اصبحت الفرصة مواتية له لمهاجمة الصليبيين، فارسل حملة عسكرية بقيادة ابنه قلج ارسلان للاستيلاء على مرعش. واراد نور الدين التعاون مع سلاجقة الروم للسيطرة على شمال سورية، لذلك تحرك شمالا وتحالف معهم

(1) تقع على نهر الفرات. ينظر ياقوت، جـ2، ص 142.

(2) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 284.

(3) نفسه، ص 288 وما بعدها؛ ابن الاثير، الباهر، ص 90 وما بعدها. ولتفصيل اكثر ينظر: حسين مؤنس، نور الدين محمود، ص 184 وما بعدها.

(4) ابن الاثير، الباهر، ص 102؛ الكتبي، عيون التواريخ، جـ12، ص 442.

(5) Cahen, La Syrie, Op. Cit., p. 380.

واشتركوا معاً في مهاجمة الصليبيين[1]، انسجاماً مع سياسته القائمة على توحيد صفوف المسلمين.

وهاجم السلطان مسعود مرعش مرة اخرى سنة 544هـ/ 1149م واحتل حصن دلوك، ثم حاصر تل باشر. ونظراً لمناعة ذلك الحصن ونجاح جوسلين في الدفاع عنه، طلب السلطان مسعود المساعدة من نور الدين، فلبى طلبه وارسل حملة عسكرية لمساعدته تحت قيادة اسد الدين شيركوه الايوبي[2]تمكنت من السيطرة على مناطق شمال سوريا[3].

اراد نور الدين الانفراد بالسيطرة على شمال سوريا، لذلك ارسل سنة 446هـ/ 1151م حملة عسكرية للاستيلاء على تل باشر، فتصدى جوسلين للحملة وهزمها وأسر حامل سلاح نور الدين (سلاحدار) وارسله الى السلطان مسعود في قونية مع كتاب ذكر فيه بانه سيرى اموراً اعظم من اسر سلاحدار زوج ابنته[4]. وكان ذلك الاجراء حرباً نفسية للتأثير على السلطان مسعود بغية دفعه الى انهاء تحالفه مع نور الدين. لكن جوسلين لم يتمتع بذلك النصر طويلاً اذ سرعان ما تمكن التركمان من اسره بتدبير من نور الدين[5].

بعد اسر جوسلين هاجم السلطان مسعود ونور الدين المناطق التابعة له وإستوليا عليها، فأخذ مسعود مرعش وبهسنا ورعبان ومرزبان وعينتاب ودلوك، اما نور الدين فسيطر على عزاز وتل باشر وتل خالد ومناطق اخرى[6].

ادى التعاون بين السلطان مسعود ونور الدين الى تحقيق اهداف الطرفين اذ

---

(1) Ibid, p. 380.

(2) ابن خلكان، وفيات الاعيان، حـ2، ص 479-481؛ الحنبلي شذرات الذهب، حـ4، ص 211.

(3) Stevenson, The Crusaders in the East, (Cambridge: 1948), p. 167; Cahen, Op. Cit., p. 385; Ellisseeff, Op. Cit., p. 419.

(4) ابن الاثير، الباهر، ص 101؛ ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، حـ3، ص 23.

(5) ابن الاثير، الكامل، حـ9، ص 369؛ ابن واصل، مفرج الكروب، حـ1، ص 233.

(6) ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، حـ3، ص 23؛ Cahen, Op. Cit., p.387; Ellsseeiff, Op. Cit., p. 462.

سيطر سلاجقة الروم على مناطق من شمال الشام وقسموا مع نور الدين ما تبقى من املاك امارة الرها الصليبية بينهما[1].

استغل نور الدين اضطراب الاوضاع في بلاد الاناضول، بعد وفاة السلطان مسعود وتولي ابنه قلج ارسلان الثاني السلطة في قونية. وبدأ يوسع من نفوذه باتجاه الشمال وتدخل سنة 550هـ/ 1155 في شؤون الاسرة السلجوقية الحاكمة في بلاد الاناضول، بحكم القرابة، من اجل انهاء النزاع بين امرائها واقرار الصلح بينهم[2].

وهاجم نور الدين في نفس السنة القلاع التابعة لسلاجقة الروم في شمال سوريا مثل دلوك ومرعش ورعبان وكيسوم وبهسنا[3]. وردا على ذلك اجرى قلج ارسلان اتصالات مع الارمن والصليبيين لتخويف نور الدين[4]، وارسل في الوقت نفسه كتابا بالتهديد والوعيد الى نور الدين، فاعتذر له نور الدين[5]، ويظهر انه انسحب من تلك المناطق تحت ضغط قلج ارسلان وحلفائه.

وفي سنة 552هـ/ 1157م وصلت الاخبار الى نور الدين بان قلج ارسلان في طريقه الى انطاكية على راس جيش كبير، فاضطر الى مفاتحة الصليبيين لعقد الهدنة معهم حتى يستطيع مواجهة الخطر الجديد[6].

الا ان الموقف تغير بعد ان لجأ نصر الدين اخو نور الدين الى بلاط قلج ارسلان سنة 554هـ/ 1159م، بسبب خلافه مع اخيه اذ استخدمه قلج أرسلان ورقة ضغط ضد نور الدين ومع ذلك فانه لم يحصل على اسناد عسكري من سلطان الروم الذي اتبع سياسة مرنة مع نور الدين وانهى خلافاته معه، حيث

(1) William of Tyre, Ahistory of Deeds Done Beyond the Sea, (Newyork: 1943), vol.2, p.207.

(2) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 332.

(3) Ellisseeff, Op. Cit., p. 162.

(4) Stevenson, Op. Cit., p. 176.

(5) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 333.

(6) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 343.

عقدت الهدنة بين الجانبين(1).

ومع ذلك لم تنته المشاكل بين الطرفين حيث تشير المصادر الى تأزم العلاقات بين الجانبين سنة 560هـ/ 1165م، مما ادى الى قيام الحرب مرة اخرى(2). ثم انشغل الطرفان بشؤونهما الداخلية، إذ تفرغ قلج ارسلان الى توسيع نفوذه داخل بلاد الاناضول للقضاء عل نفوذ اخيه شاهنشاه واخضاع الامارات الدانشمندية لحكمه. في الوقت الذي انشغل نور الدين باخضاع مصر لسلطانه(3). فساد الهدوء بين الجانبين لعدة سنوات.

وفي سنة 568هـ/ 1172م هاجم قلج ارسلان سيواس، فهرب الامير ذو النون الدانشمندي ولجأ الى نور الدين. ورأى زنكي في ذي النون حليفا يساعده على توسيع نفوذه في شمال اقليم الجزيرة وبلاد الروم، لذلك بدأ هجومه ضد سلاجقة الروم، عندما رفض قلج ارسلان الانسحاب من ملاطية وسيواس(4).

استولى نور الدين على كيسوم وبهسنا ومرعش، ثم ارسل جيشا تحت قيادة فخر الدين عبد المسيح الى سيواس، فاستولى على المدينة دون حرب، لان قلج ارسلان فضل الانسحاب منها وطلب من نور الدين عقد الصلح معه، فوافق نور الدين بعد ان علم بان الصليبيين هاجموا حمص، وقد تم الاتفاق بين سلاجقة الروم ونور الدين وفق الشروط التالية:

1. ان يقوم قلج ارسلان بتجديد اسلامه على يد رسل نور الدين لانه في نظر نور الدين لم يكن مسلماً لميله الى مذهب الفلاسفة.
2. ان يستمر قلج ارسلان في جهاده ضد الروم وانهاء الهدنة معهم وفي

---

(1) Cahen, Op. Cit., p. 404.

وللتفصيل ينظر: احمد ابو بدر، الحروب الصليبية والاسرة الزنكية، (بيروت: 1972)، ص 233.

(2) ابن الاثير، الكامل، حـ9، ص 477-480؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، حـ5، ص 162.

(3) ابن الاثير، الباهر، ص 139-140؛ ابو شامة، الروضتين، حـ1، ص 154-155.

(4) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 48-49.

حالة عدم قيامه بمجاهدتهم، عليه ان يرسل جيشا ليقاتل الصليبيين تحت قيادة نور الدين.

3. تزويج ابنته من سيف الدين غازي بن قطب الدين ابن اخ نور الدين[1].

ان موافقة قلج ارسلان على شروط نور الدين لا يعني بإنه قبل الخضوع له. ويظهر انه تجنب دخول الحرب وكان دائماً يريد اتباع الاساليب السياسية لتحقيق اهدافه، فضلاً عن انه كان مهدداً من قبل البيزنطيين، ففضل التقرب من نور الدين مبديا بعض التنازلات، لانه كان يعلم جيداً بان نور الدين لا يشكل خطراً على حكمه.

وبعد وفاة نور الدين سنة 569هـ/ 1174م، سيطر سلاجقة الروم مباشرةعلى سيواس وملاطية، كما يفهم من الروايات التاريخية ان قلج ارسلان سيطر مرة اخرى على الثغور الشامية ووعده الملك الصالح بن نور الدين (569-577هـ/ 1173-1181م) باعطائه حصن رعبان[2].

العلاقة مع اتابكية الموصل:

لم يرد في المصادر الاسلامية ما يشير الى وجود صلات تاريخية بين سلاجقة الروم واتابكة الموصل سواء في عهد مؤسسها عماد الدين زنكي (521-541هـ/ 1126-1146م)[3] او احد من ابنائه، ويرجع سبب ذلك الى انشغال السلاجقة في تثبيت اركان دولتهم داخل بلاد الاناضول وبعدهم عن الموصل وتوجههم نحو الشام، فضلاً عن ظهور دول قوية في بلاد الشام، لم تفسح المجال

(1) ابن الاثير، الباهر، ص 160-161.

(2) ابو شامة، الروضتين، جـ2، ص 9.

(3) نفسه، حـ2، ص 20 وما بعدها ولتفصيل اكثر ينظر: عماد الدين خليل، عماد الدين زنطي، (الموصل: 1985)، ص31 وما بعدها.

امام السلاجقة للتوجه نحو الموصل، مثل دولة نور الدين زنكي والدولة الايوبية في عهد صلاح الدين.

كانت العلاقات بين نور الدين زنكي واخوته اتابكة الموصل ودية فلم تتح الفرصة امام سلاجقة الروم للتحالف معهم ضد نور الدين. اما صلاح الدين الذي بذل جهوداً كبيرة من اجل ضم الموصل لوحدته[1]. فان قوة شخصيته، وامكانياته العسكرية جعلت سلاجقة الروم يتجنبون مواجهته او التفكير في اقامة تحالف عسكري ضده مع اتابكة الموصل.

وأشار هاملتون جب H. Gibb. بأنه عندما توجه صلاح الدين في شهر صفر سنة 581هـ/ ايار1185م لحصار الموصل، تلقى تحذيراً من السلطان قلج ارسلان الثاني بانه سوف يجابه بائتلاف من الامراء الشرقيين ضده[2]. وجاء ذلك التحذير من قلج ارسلان بعد ان ارسل عز الدين مسعود اتابك الموصل (576-589هـ/ 1180-1193م) سفارة اليه عندما قصد صلاح الدين مدينة الموصل بقصد ضمها لوحدته[3].

لا تشير المصادر التاريخية المتوافرة الى وجود علاقات بين سلاجقة الروم واتابكة الموصل بين (576-607هـ/ 1180-1210م)، ثم تشير الى قيام تحالف عسكري ضد الملك العادل سنة 607هـ/ 1210م عند توجهه لحصار مدينة سنجار[4]، مكون من السلطان كيخسرو واتابكة الموصل واربل والملك الظاهر

(1) للتفصيل ينظر: ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 114-115، ص 131-133، ص134-135؛ دريد عبد القادر نوري، سياسة صلاح الدين في بلاد مصر والشام والجزيرة، (بغداد: 1976)، ص214 وما بعدها.

(2) هاملتون جب، صلاح الدين الايوبي، ترجمة يوسف ايبش، (بيروت: 1973)، ص 140.

(3) Runciman, Ahistory of the Crusades, (London: 1952), vol.2, p. 445.

(4) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 348-350؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، القسم الاول، حـ3، ص 190-191؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، (الطبقة الحادية والستون 601-610هـ)، ص63. وللتفصيل حول حصار سنجار ينظر: موسى مصطفى ابراهيم، سنجار، دراسة في تاريخها السياسي=

غازي بن صلاح الدين (592-615هـ/ 1197-1218م) امير حلب، وانضم اليهم مغيث الدين طغرل شاه امير ارزن الروم اخو السلطان كيخسرو[1].

ويظهر من دراسة النصوص التاريخية ان المتحالفين طالبوا الملك العادل الانسحاب من مدينة سنجار، كما طلبوا من الخليفة الناصر التدخل لحل النزاع بالطرق السليمة والا فان المتحالفين سليجأون الى استخدام القوة العسكرية ومهاجمة جيش الملك العادل وارغامه على فك الحصار عن سنجار[2]. كذلك اتفق المتحالفون على ان تكون الخطبة للسلطان كيخسرو وفي الوقت نفسه راسلوا الكرج لمهاجمة مدينة اخلاط[3]، مما يدل بان الحلف المعادي للملك العادل كان ضعيفاً بدليل استعانتهم بالكرج اعداء المسلمين التقليديين.

وأشار ابن الاثير بان السلطان كيكاوس تحالف سنة 616هـ/ 1219م مع ناصر الدين ارتق بن ارسلان الارتقي (597-637هـ/ 1200-1239م) امير ماردين ومظفر الدين كوكبري اتابك اربل[4]، ضد بدر الدين لؤلؤ (615-657هـ/ 1218-1259م) اتابك الموصل وحليفه الملك الاشرف الايوبي[5]. وافق حلفاء كيكاوس على ذكر أسمه في خطبة الجمعة وضرب اسمه على السكة في بلادهم، وبهذا أكتمل حلفهم، فقرر كيكاوس مهاجمة بلاد الملك الاشرف ليمنعه من نجدة بدر الدين لؤلؤ، لاتاحة الفرصة امام كوكبري لمهاجمة الموصل والسيطرة عليها، إلا ان

=والحضاري، رسالة ماجستير، غير منشورة، قدمت الى كلية الاداب- جامعة صلاح الدين، (اربيل: 1989)، ص 77-80.

(1) ابن واصل، مفرج الكروب، حـ3، ص 195.

(2) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 349.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، حـ13، ص57.

(4) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 396.

(5) نفسه، حـ10، ص 384. وللتفصيل عن تحالفات بدر الدين لؤلؤ ينظر: الرويشدي، امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ، ص 84 وما بعدها.

المرض اشتد على كيكاوس وتوفي في تلك السنة. تولى الحكم بعده اخوه كيقباد الذي تصالح مع الملك الاشرف ليتفرغ لشؤون بلاده الداخلية[1].

وعلى الرغم من فتور العلاقات بين سلاجقة الروم وبدر الدين لؤلؤ، لموالاته للملك الاشرف الايوبي فانه حذر الملك الكامل سنة 633هـ/ 1236م من الوقوف بوجه سلاجقة الروم، لان ذلك يعرض الجبهة الاسلامية للتصدع امام هجمات المغول الذين وصلت غاراتهم الى سنجار[2].

ثالثاً: العلاقة مع الايوبيين

العلاقة بين سلاجقة الروم والسلطان صلاح الدين:

كان قلج ارسلان الثاني منذ توليه السلطة يتطلع الى توسيع نفوذه نحو بلاد الشام، والجزيرة، الا ان نور الدين زنكي ومن بعده صلاح الدين حالا دون تحقيق طموحه بمسعاهما في توحيد المسلمين وتكثيف الجهود لتحرير الديار المقدسة من الاحتلال الصليبي.

وأشار العماد الاصفهاني بانه وصل الى دمشق امراء الجزيرة سنة 574هـ/ 1178م، لتوثيق صلاتهم مع صلاح الدين ليشد من ازرهم، بسبب خوفهم من تطلع قلج ارسلان للسيطرة على المناطق التابعة لهم[3].

ومن جانبه اراد قلج ارسلان تكوين علاقة ودية، مع صلاح الدين، فوصل رسوله الى دمشق سنة 574هـ/ 1178م وابلغ صلاح الدين بان سلاجقة الروم هادنوا الروم البيزنطيين[4]. ويفهم مما اورده الاصفهاني حول وصول ذلك السفير بانه جاء ليعرف موقف صلاح الدين فيما إذا اقدم قلج ارسلان على مهاجمة

---

(1) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 396.

(2) الذهبي، تاريخ الاسلام (الطبقة الرابعة والستون 631-640هـ)، ص 12-13.

(3) البرق الشامي، تحقيق مصطفى الحياري، (عمان 1987)، حـ3، ص 156.

(4) نفسه، حـ3، ص 175.

الامارات الاسلامية. ورجع رسول قلج ارسلان بانطباع مفاده ان السلطان الجديدة لن يسمح لاحد بمهاجمة المسلمين[1].

لم يستمر السلم بين سلاجقة الروم والايوبيين طويلاً فسرعان ما وقع الصدام بين الطرفين سنة 575هـ/ 1179م حول السيطرة على حصن رعبان، حيث طالب قلج ارسلان بضم الحصن المذكور الى ممتلكاته، لان الملك الصالح اسماعيل بن نورالدين وهبه الحصن. رفض الايوبيون طلبه، فقام بمهادنة الروم والصليبيين، ثم بدء بمهاجمة حصن رعبان[2].

ندب صلاح الدين ابن اخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه لمحاربته. وعلى الرغم من ان جيش قلج ارسلان كان يفوق الجيش الايوبي عدداً، الا ان تقي الدين عمر فاجأ الجيش السلجوقي ليلا بهجوم مباغت، مما ادى الى هزيمته واستعادة الايوبيين لحصن رعبان[3].

لم تنته طموحات قلج ارسلان بخسارته السابقة على ابواب حصن رعبان، ولذلك بدأ يتطلع الى اقليم الجزيرة بعد ظهور خلاف بينه وبين صهره نور الدين محمد بن قرا ارسلان الارتقي (570-581هـ/ 1174-1185م) امير حصن كيفا بسبب اساءته الى ابنته والزواج عليها. وعندما تعرض نور الدين الارتقي الى تهديد قلج ارسلان، اضطر ان يلجأ الى صلاح الدين ويطلب حمايته. فاستجاب له صلاح الدين وابدى رغبته في حمايته وارسل الى قلج ارسلان رسالة حذره فيها من مهاجمة بلاد نور الدين[4]. وقد اجاب قلج ارسلان على رسالة صلاح الدين موضحاً له

(1) نفسه، حـ3، ص 175.

(2) البرق الشامي، حـ3، ص 173؛ ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 48.

(3) الاصفهاني، البرق الشامي، حـ3، ص 175؛ ابن شاهنشاه الايوبي، مضمار الحقائق، ص 18-19.

(4) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 101؛ البنداري، سنا البرق الشامي، تحقيق رمضان ششن، (بيروت: 1971)، حـ1، ص 345؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، (حيدر اباد 1951)، حـ8،=

بانه عندما زوج ابنته لنور الدين تنازل عن بعض القلاع والحصون من مملكته وان على نور الدين ان يلتزم بوعده له واتم رده بالتهديد[1].

كان صلاح الدين في تلك الفترة مشغولا في توحيد صفوف المسلمين وتثبيت اركان الجبهة الداخلية، بعد ان عقد هدنة مع اعدائه الصليبيين وتقدم بقواته نحو شمال سوريا سنة 576هـ/ 1181م، فاستولى على تل باشر واستقر في حصن رعبان، حيث التحق به نور الدين الارتقي. اضطر قلج ارسلان اثر ذلك ان يبعث الى صلاح الدين في طلب الصلح، اذ ارسل وزيره اختيار الدين حسن بن عفراس للاتفاق معه. توصل وزير قلج ارسلان الى تسوية مع نور الدين الارتقي يتضمن ارجاع بنت قلج ارسلان بعد مرور سنة، على ان يكف سلطان الروم عنه. ولعب صلاح الدين دور الوسيط، اذ تم التوصل الى الصلح بأشرافه وبضغط منه على الطرفين، ثم منح رسول قلج ارسلان الخلع والهدايا قبل عودته الى بلاده[2]. ويستنتج من الروايات التاريخية ان صلاح الدين قام بدور ايجابي في اقرار الصلح بين الامراء المسلمين وبذل جهوداً عسكرية كما صرف الاموال لتحقيق ذلك.

وهكذا منع صلاح الدين سلاجقة الروم من التوسع في منطقة الجزيرة، فضلاً عن وضعه حداً لتوسعهم في مناطق شمال سوريا[3]، كما كسب حليفاً جديداً في اقليم الجزيرة تمهيداً لضمها الى جبهته، ثم الانطلاق لضم حلب والموصل بعد ذلك لتلك الجبهة، سيما وأن الاراتقة كانوا موالين للاتابكية الزنكية

=ق2، ص 360؛ ابن واصل، مفرج الكروب، حـ2، ص 97-98؛ ابو شامة، الروضتين، حـ2، ص 16؛ الذهبي، دول الاسلام، حـ2، ص 65؛ المقريزي، السلوك، حـ1، ص 70.

(1) البنداري، سنا البرق الشامي، ص 345.

(2) ابن شاهنشاه، مضمار الحقائق، ص 41؛ البنداري، سنا البرق الشامي، ص 347.

(3) سازان حسين ابراهيم، الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه الايوبي، رسالة ماجستير، غير منشورة، قدمت الى كلية الاداب- جامعة صلاح الدين، (اربيل: 1994)، ص 63.

في الموصل[1].

وأشار ابو شامة الى عقد اجتماع بين قلج ارسلان وصلاح الدين في شمال سوريا سنة 576هـ/ 1181م، الذي اسفر عن ابرام تحالف بينهما[2]. كان هدف صلاح الدين من ذلك التحالف كسب ود قلج ارسلان وتحييده على الاقل، لئلا يعرقل مشروعه الرامي الى ضم الموصل، لتكوين جهة اسلامية متحدة، من اجل مجابهة الغزاة الصليبيين.

وفي سنة 579هـ/ 1184م اشترك ممثل قلج ارسلان في اجتماع عقد في دمشق بدعوة من صلاح الدين، ضم ممثلي الخليفة وممثلي الامراء والملوك المسلمين، كرس لاقرار الصلح بين صلاح الدين وعز الدين مسعود اتابك الموصل[3]. وعلى الرغم من ان ذلك الاجتماع لم يحقق هدفه، فانه يدل على قوة صلاح الدين وهيمنته على زعامة الشام والجزيرة، فضلاً عن مصر، واقرار الامراء المسلمين بذلك بمن فيهم سلطان الروم.

ويستدل من دراسة النصوص التاريخية بان العلاقات بين قلج ارسلان والسلطان صلاح الدين ظلت حسنة حتى مجيء الحملة الصليبية الثالثة سنة 586هـ/ 1190م. ففي سنة 584هـ/ 1188م ارسل قلج ارسلان وزيره حسن بن عفراس الى صلاح الدين ليهنئه بتحرير مدينة القدس. وادرك سلطان الروم تنامي قوة صلاح الدين ومدى تأثيره في سير الاحداث، لذلك تقدم لخطبة ابنة صلاح الدين لولده قطب الدين ملكشاه، على امل تقوية مركز ابنه، والذي جعله ولياً

(1) جب، صلاح الدين الايوبي، ص 133.

(2) الروضتين، جـ2، ص 16؛ جب، صلاح الدين الايوبي، ص 134، السيد الباز العريني، الشرق الاوسط في العصور الوسطى، (بيروت: 1967)، ص 62.

(3) ابو شامة، الروضتين، جـ2، ص 53. وللتفصيل ينظر: نظير احسان سعداوي، التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين، (القاهرة: 1957)، ص 152.

لعهده[1].

ادت الحملة الصليبية الثالثة الى فتور العلاقات بين سلاجقة الروم والايوبيين، لان ملك المانيا فردريك بربروسا طلب من اسحق انجيلوس امبراطور الروم ومن السلطان قلج ارسلان سنة 585هـ/ 1189م، ان يسمحا له ولجيشه عبور اسيا الصغرى الى بلاد الشام، من اجل استعادة بيت المقدس من صلاح الدين. ونظراً لخوف الامبراطور البيزنطي من سيطرة بربروسا على الاراضي البيزنطية، فتح باب المفاوضات مع صلاح الدين[2].

واشار باحثون محدثون بان تحسين العلاقات بين الجانبين ادى الى خوف سلاجقة الروم من التعرض لهجوم البيزنطيين من الغرب وصلاح الدين من الجنوب، فاستجابوا لدعوة بربروسا بالسماح لجيشه المرور عبر بلادهم[3].

وعندما وصل بربروسا الى اراضي الدولة البيزنطية، وصلت اليه سفارة قلج ارسلان في اواخر سنة 585هـ/ 1190م، كما وصلت اليه سفارة من ابنه قطب الدين ملكشاه، ووعداه بالتعاون معه خلال مسيرته عبر اسيا الصغرى[4]. وكان غرض ملكشاه هو حث الملك الالماني على سرعة عبور البلاد وعدم التدخل في شؤون الاناضول الداخلية.

ويظهر ان ما ذكره القاضي ابن شداد حول تحالف قلج ارسلان مع بربروسا

---

(1) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 220؛ Cahen, Pre- Ottoman Turkey, p. 113.

(2) الاصفهاني، الفتح القدسي؛ ص 414، ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 132-33؛ ابو شامة، الروضتين، حـ2، ص 159-160؛ المقريزي، السلوك، حـ1، ص 104؛ قدري قلعجي، صلاح الدين الايوبي، (القاهرة: 1979)، ص383.

Brand, The Byzantin and Saladin Specoulum; (J.A.O.S), Vol.75 (1955), pp.100-109.

(3) Ostrogorsky, Op. Cit., p. 406; Vasiliev, Op. Cit., Vol.2, p. 446.;

عبيد، روما وبيزنطة، ص 285-299؛ رستم، الروم، حـ2، ص 172؛ عاقل، الامبراطورية البيزنطية، ص 306.

(4) Cahen, Op. Cit., p. 112.

خاضع للتحليل. فقد اورد بانه تظاهر بمعاداته، في الوقت الذي اتفق معه سراً على مساعدته ضد صلاح الدين. لأن تبادل السفراء بين قلج ارسلان وبربروسا كان رداً على تحسين العلاقات بين صلاح الدين وبيزنطة. وكان ذلك مناورة سياسية من جانبه للاحتفاظ ببلاده ودوره السياسي، اذ اثبتت الوقائع التاريخية ان سلاجقة الروم قاوموا حملة فردريك بربروسا وان قطب الدين ملكشاه دخل معهم في معركة على مشارف قونية، لمنعهم من دخول عاصمة السلاجقة سيما وأنه كان صهر صلاح الدين[1]، كما ان قلج ارسلان لم يكن له حول او قوة خلال السنوات الاخيرة من حكمه، لان ابنه قطب الدين كان قد حجر عليه[2] ولم يبق له من السلطان سوى الاسم، فضلاً عن انه ارسل الى صلاح الدين بوصول بارباروسا الى بلاده وأخبره بانه سيحاول منعه من عبور بلاده ثم ارسل اليه يخبره عن عجزه في منع عبور الالمان، بسبب تفرق اولاده عنه وخروجهم عن طاعته[3].

وهكذا فقد كان قلج ارسلان مجبراً على تقديم المؤن الى الملك الالماني وتزويده بالادلاء اذ لم يكن في طاقته منع مرور حملة بارباروسيا نحو بلاد الشام ولم يكن هدفه غزو البلاد الاسلامية والتعاون مع الصليبيين ضد المسلمين.

وبقيت العلاقات ودية بين سلاجقة الروم والايوبيين بعد فشل الحملة الالمانية وازداد التقارب بين الجانبين، فقد لجأ معز الدين قيصر شاه بن قلج ارسلان امير ملاطية الى الايوبيين سنة 587هـ/ 1191م، بسبب تعرضه لهجوم اخيه ملكشاه. فرحب به صلاح الدين وزوجه ابنة اخيه الملك العادل واعاده الى ملاطية، فامتنع ملكشاه عن مهاجمته، اكراماً لصلاح الدين[4]. واراد صلاح الدين

(1) Mayer, The Crusades, (Oxford: 1972), p. 138; Gabriel, Arab Historian of the Crusades, (London: 1969), p. 211.

(2) العماد الاصفهاني، الفتح القدسي، ص 389، ص 624.

(3) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 195؛ Gabriel, Op. Cit., p. 211.، عبد الله سعيد محمد الغامدي، صلاح الدين والصليبيون، (مكة: 1985)، ص 242.

(4) الاصفهاني، الفتح القدسي، ص 560؛ ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 212.

بذلك الزواج ان يكسب موالاة امير سلجوقي له، سيما وان مدينة ملاطية قريبة من بلاد الشام.

وبعد وقوع قلج ارسلان تحت تأثير إبنه الاكبر قطب الدين ملكشاه، خرج ابناؤه عن طاعته ووقعت الحرب بين الاخوة سنة 587هـ/ 1191م. تدخل صلاح الدين لانهاء ذلك النزاع وارسل القاضي شمس الدين محمد بن محمد بن موسى المعروف بابن الفراش، قاضي العسكر سفيراً الى قلج ارسلان واولاده للاصلاح بينهم، ((فتردد بينهم مراراً اكثر من سنة))[1].

وبصورة عامة اتخذت علاقات سلاجقة الروم مع صلاح الدين طابعا سياسيا في حل المشاكل بين الجانبين. وعلى الرغم من انها مرت بفترات فتور، إلا ان تماسك الايوبيين وقوتهم منعت سلاجقة الروم من التدخل في شؤون الايوبيين والتوسع على حسابهم.

أ. العلاقة بين سلاجقة الروم والايوبيين في عهد الملك العادل:

بعد وفاة السلطان صلاح الدين سنة 589هـ/ 1193م حدث انقسام في البيت الايوبي نتج عنه تزعم اخيه سيف الدين ابي بكر القيادة ليصبح سلطاناً على الايوبيين باسم الملك العادل[2].وادى انقسام البيت الايوبي الى اتاحة الفرصة امام سلاجقة الروم للتدخل في شمال بلاد الشام، مما ادى الى اندلاع الحروب بين الجانبين، فضلاً عن لجوء الامراء المعارضين في البيت السلجوقي الحاكم الى الايوبيين.

فبعد ان سيطر سليمان الثاني على قونية سنة 593هـ/ 1196م، لجأ اخوه كيخسرو الى الايوبيين ووصل الى حلب، حيث حل ضيفاً على الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين، آملاً الحصول على مساعدة الملك العادل، الا انه لم يحصل على

(1) الاصفهاني، الفتح القدسي، ص 625؛ ابو شامة، الروضتين، جـ2، ص 209.

(2) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص 111-113؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، جـ5، ص 74-79.

دعم سياسي من الايوبيين لاستعادة عرشه[1].

كذلك فقد هرب معز الدين قيصر شاه الى الملك العادل بعد ان هاجمه اخوه سليمان وسيطر على ملاطية سنة 597هـ/ 1200م، فأمره العادل بالاقامة في الرها. وعندما عاد كيخسرو الى عرش قونية سنة 601هـ/ 1204م، ذهب اليه قيصر شاه لتهنئته بمناسبة عودته واستعادته العرش، فاكرمه كيخسرو ونصحه بمغادرة قونية، فعاد الى الرها منضماً الى الملك العادل لانه كان صهره[2].

وانضم الملك الافضل علي بن صلاح الدين (592-622هـ/ 1195-1225م) امير سميساط الى السلطان سليمان وتحالف معه وجعل الخطبة والسكة باسمه في سميساط سنة 600هـ/ 1203م. وكان سبب انضمامه الى سلاجقة الروم استيلاء عمه الملك العادل على راس العين وسروج وكانت تابعه له، كما استولى اخوه الملك الظاهر على قلعة نجم[3]. وظل الملك الافضل متحالفاً مع سلاجقة الروم حتى وفاته[4].

واشار مؤلف تاريخ الرهاوي بان السلطان سليمان انهزم امام الايوبيين سنة 599هـ/ 1202م[5]، عندما حاول الاستيلاء على المناطق التابعة للايوبيين في اقليم الجزيرة بحجة تقديم المساعدة للملك الافضل بن صلاح الدين اثر تعرض الاخير لهجوم الملك الاشرف بن الملك العادل واستيلائه على راس العين وسروج التابعة للملك الافضل. تصدى الملك الاوحد نجم الدين ايوب بن العادل (596-

(1) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 221؛ ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص 10.

(2) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 275؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، حـ2، ص 194.

(3) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 83؛ ابن واصل، مفرج الكروب، حـ5، ص 150؛ ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، حـ3، ص 104؛ ابن الوردي، تتمة المختصر، حـ2، ص 169؛ المقريزي، السلوك، حـ1، ص161-62.

(4) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص 154؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، حـ5، ص 330.

(5) مؤلف مجهول، تاريخ الرهاوي، ص 242.

607هـ/ 1200-1210م) امير ميافارقين لجيش سلاجقة الروم واجبره على التراجع(1).

بعد وفاة السلطان سليمان وانتقال السلطة الى اخيه كيخسرو في قونية سنة 601هـ/ 1204م، انشغل بتوسيع حدوده الغربية على حساب البيزنطيين والسيطرة على السواحل البحرية ولم يول اهتماماً كبيراً بتوسيع دولته جنوبا او التوجه نحو الممالك الاسلامية الا ان الاحداث دفعته احياناً للاهتمام بالشرق، وبصورة عامة غلب طابع السلم على علاقاته مع الايوبيين.

وقد حدث اول خلاف بين سلاجقة الروم والايوبيين في بداية حكم كيخسرو، بسبب النزاع بين الامراء الاراتقة فكان نظام الدين ابو بكر الثاني (600-620هـ/ 1203-1223م) امير خرتبرت متحالفا مع سلاجقة الروم منذ عهد سليمان الثاني، في الوقت الذي كان ابن عمه ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا ارسلان (597-619هـ/ 1200-1222م) امير آمد، تابعا للايوبيين. وحصل امير آمد على اسناد عسكري من الملك الاشرف، فقام بمحاصرة خرتبرت، فاستنجد اميرها نظام الدين بالسلطان كيخسرو الذي ارسل الجيش لمساندته تحت قيادة حليفه الايوبي الملك الافضل. ولما وصل الافضل الى ملاطية، انسحب ناصر الدين من خرتبرت ولم تحدث المواجهة بين الجيش السلجوقي والجيش الايوبي بعد ان اجروا مفاوضات وإنسحبا دون اتفاق(2).

ووقف مغيث الدين طغرل شاه ملك ارزن الروم السلجوقي سنة 604هـ/ 1207م ضد الملك الاوحد امير ميارفارقين، عندما حاول الاستيلاء على مدينة اخلاط. وساعد طغرل شاه بلبان مملوك شاه ارمن، مما ادى الى هزيمة الملك الاوحد. وتقدم طغرل شاه للاستيلاء على الممالك الايوبية وحاصر مدينة موش،

---

(1) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص 81-82؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، حـ5، ص 330.

(2) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 296؛ الملك الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، ص 291-292 وللتفصيل ينظر: خليل، الامارات الارتقية، ص 167- 168.

ثم قام بقتل حليفه بلبان، وسار بعد ذلك للاستيلاء على مدينة اخلاط، فوقف اهلها ضده، كما فشل في الاستيلاء على ملازطرد وعاد الى ارزن الروم، وارسل سكان اخلاط الى الملك الاوحد وفتحوا له ابواب مدينتهم[1]، وبذلك انتهى الصراع بين سلاجقة الروم والايوبيين، على مدينة اخلاط، بخضوعها للايوبيين.

كانت العلاقات جيدة بين السلطان كيخسرو والملك الظاهر غازي امير حلب وترجع تلك العلاقات الى سنة 593هـ/ 1197م عندما لجأ كيخسرو الى الملك الظاهر[2]. وبعد ان استعاد كيخسرو عرشه سنة 601هـ/ 1204م، تجددت العلاقات الودية بين الطرفين، وتم التحالف بينهما سنة 605هـ/ 1208م على مهاجمة الارمن. وبعدما وصل كيخسرو الى مرعش امده الملك الظاهر بالجيش، مما ادى الى نجاحه في الاستيلاء على عدد من قلاع الارمن في كيليكيا، فأضطر اثر ذلك الامير الارمني ليو الثاني ان يلجأ الى الملك العادل الذي طلب من كيخسرو ارجاع حصونه اليه، فأستجاب الاخير لدعوته وانسحب من بلاده[3].

وسبقت الاشارة الى انضمام السلطان كيخسرو الى الحلف المعادي للملك العادل سنة 607هـ/ 1210م عندما حاصر الاخير سنجار والذي ضم اتابك اربل واتابك الموصل والملك الظاهر امير حلب ومغيث الدين طغرل شاه ملك ارزن الروم. ويظهر ان استجابة كيخسرو لنداء كوكبري وانضمامه الى ذلك الحلف كان اسمياً، اذ لم يقم سلطان الروم بأي عمل عسكري ضد الملك العادل وكان موقفه مرتبطا بموقف حليفه الملك الظاهر الذي تصالح مع الملك العادل[4].

وبعد وفاة كيخسرو سنة 607هـ/ 1211م، تولى كيكاوس السلطة في بلاد

---

(1) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 341؛ ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، حـ3، ص 108؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، (الطبقة الحادية والستون 601- 610هـ)، ص 54.

(2) ابن العديم، زبدة الحلب، حـ3، ص 159؛ ابن واصل، مفرج الكروب، حـ3، ص 187.

(3) ابن العديم، زبدة الحلب، حـ3، ص 160. وللتفصيل ينظر: الفصل الرابع من هذه الرسالة.

(4) نفسه، حـ3، ص 161.

الروم، الذي حافظ على التحالف مع الملك الافضل امير سميساط والملك الظاهر امير حلب واستعان بهما ولا سيما الاول لتوسيع نفوذه في اقليم الجزيرة وشمال بلاد الشام. وكانت علاقات ابناء صلاح الدين مع عمهم العادل غير ودية، مما دفعهم الى التقرب والتحالف مع سلطان الروم.

وأشار المؤرخون بأن كيكاوس استنجد بالملك الاشرف عندما حاصره اخوه كيقباد وعمه طغرل شاه في سيواس ولكن لا يوجد ما يدل على انه ارسل قوة عسكرية لنجدته ومن المحتمل ان وصول جيش ايوبي الى سيواس كان من جملة العوامل التي ادت الى فشل الحصار[1].

تغير الوضع السياسي في بلاد الروم اذ سيطر كيكاوس على البلاد وقام بمحاصرة اخيه كيقباد في انقرة سنة 609هـ/ 1212م، فطلب الاخير من الملك الظاهر ان يبذل مساعيه لاقرار الصلح بينه وبين اخيه، السلطان كيكاوس. استجاب الملك الظاهر لنداء كيقباد وارسل الشيخ تقي علي بن ابي بكر الهروي، ممثلاً عنه الى السلطان كيكاوس. الا ان كيكاوس حسم الامر عسكرياً وسيطر على انقرة[2] ولم تسفر وساطة الظاهر عن شيء.

وعلى الرغم من فشل وساطة الظاهر، فانه حافظ على تحالفه مع سلطان الروم واتفق معه سنة 613هـ/ 1216م على مهاجمة الارمن واخذ انطاكية منهم، فتقدم كيكاوس جنوباً الى مرعش وهاجم الارمن واستولى على مدينة سيس عاصمة مملكة ارمينيا الصغرى[3].

اما الظاهر فخرج بجيشه الى خارج حلب استعداداً للانضمام الى السلطان

(1) ابن واصل، مفرج الكروب، حـ3، ص 217؛ ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، حـ3، ص 115؛ الدواداري، كنز الدرر، حـ7، ص 174؛ ابن الوردي، تتمة المختصر، حـ2، ص 189.

(2) ابن واصل، مفرج الكروب، حـ3، ص218.

(3) ابن العديم، زبدة الحلب، حـ3، ص 168؛ ابن واصل، مفرج الكروب، حـ3، ص 234؛ الدواداري، كنز الدرر، حـ7، ص184.

كيكاوس، ومهاجمة الارمن. وارسل الى عمه الملك العادل لاستشارته بشأن التحالف مع كيكاوس ومهاجمة ليو الثاني، فلم يشجعه ونصحه بعدم الانضمام الى كيكاوس، كما ارسل ليو الارمني رسالة الى الملك الظاهر مع هدية كبيرة، معلناً خضوعه له. وتزامن ذلك مع قيام جيش كيكاوس بمهاجمة بلدة بلاط التابعة لحلب، وقتلوا من بها من الارمن تحت ذريعة قيام اهل بلاط بنهب اموال المسلمين، كما قام نصر الدين امير مرعش بنهب اموال بلاط. ادى ما فعله سلاجقة الروم باهل بلاط وقتل سكانها الارمن الى تراجع الظاهر عن تحالفه مع كيكاوس ورجع الى بلاده[1].

وعندما مات الملك الظاهر سنة 613هـ/ 1216م، حدث خلاف بين امرائه على السلطة في حلب، فلجأ عدد منهم الى كيكاوس، منهم الامير عز الدين ايبك الجمدار الظاهري والامير طنبغا[2]. وأدى ذلك الى زيادة اطماع كيكاوس في حلب واستعد للاستيلاء عليها اعتماداً على حليفه الملك الافضل.

استعد السلطان كيكاوس سنة 615هـ/ 1218م لغزو بلاد الشام فاستشار أمراءه مجد الدين آبه وسيف الدين ايبك وزين الدين بشارة ومبارز الدين جاولي، في كيفية الاستيلاء على حلب، سيما وان حكمها اصبح ضعيفاً بعد وفاة الملك الظاهر وتولي ابنه الصغير الملك العزيز (613-634هـ/ 1216-1237م) حكمها[3].

وذكر السلطان لامرائه بأن الاستيلاء على حلب، يؤدي الى رفع اسم سلاجقة الروم في العالم الاسلامي. غير ان الامراء نصحوه باحترام العلاقات التاريخية التي تربط سلاجقة الروم بالايوبيين وان لا يقدم على غزو حلب، كما طلبوا منه ان يدافع عن الملك العزيز لانه يتيم وابن حليفه السابق، بدلاً من عزو

---

(1) ابن العديم، زبدة الحلب، حـ3، ص 160-161؛ ابن واصل، مفرج الكروب، حـ3، ص 234-236.

(2) ابن العديم، زبدة الحلب، جـ3، ص 179.

(3) ابن بيبي، الاوامر العلائية، ص 251؛ ابن واصل، مفرج الكروب، حـ3، ص 253.

مملكته. وفي الوقت نفسه حذروا السلطان بأنه في حالة مهاجمته فإن الملك العادل وابناءه سيدافعون عن حلب لان ام العزيز هي بنت الملك العادل، كما نبهوا السلطان بان النصر على الايوبيين لن يزيد من قوة السلطان شيئاً، اما الهزيمة فانها ستلحق به العار الى الابد[1].

اورد ابن بيبي بان السلطان كيكاوس دافع عن وجهة نظره وذكر بانه لا توجد صلة رحمٍ بين الملوك وان جيشه جاهز وقادر على تحقيق هدفه. وعندما راى الامراء اصرار السلطان على شن الحرب، رضخوا لمشيئته[2].

وبعد ان اكمل كيكاوس استعداداته العسكرية وانضم اليه تركمان الاوج (الثغور)، تحرك نحو مدينة ألبستان وأعلم الامراء بانه في حالة انتصاره على عدوه، فانه سوف يوزع عليهم مدن الشام، ليرفع من معنوياتهم في القتال[3].

ومن جهة اخرى اتفق كيكاوس مع الملك الافضل على المشاركة في الحملة ضد الايوبيين وعلى تقسيم المناطق التي سيتم الاستيلاء عليها، فتكون ممتلكات الملك العزيز للملك الافضل وممتلكات الملك الاشرف في الجزيرة مثل حران والرها للسلطان كيكاوس، شريطة ان تكون الخطبة والسكة لسلطان الروم في جميع المناطق التي سيتم الاستيلاء عليها[4].

كان كيكاوس واثقاً من النصر ويرجع السبب في ذلك الى اتفاقه سراً مع الصليبيين على القيام بالعمليات العسكرية بشكل متزامن، حيث يقوم هو بمهاجمة الايوبيين في الشمال بعد قيام الصليبيين بمهاجمة دمياط[5]، فضلاً عن دعم

(1) ابن بيبي، الاوامر العلائية، ص 252.

(2) الاوامر العلائية، ص 252.

(3) نفسه، ص 255.

(4) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص391-192؛ ابن العديم، زبدة الحلب، حـ3، ص 181؛ ابن واصل، مفرج الكروب، حـ3، ص 263-264.

(5) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، حـ8، ق2، ص 598؛ Mayer, Op. Cit., p. 210-211.

الصليبيين له بالمال والسلاح[1].

بدأ كيكاوس هجومه ضد الايوبيين في جمادي الاخرة سنة 615هـ/ تموز 1218م، فاستولى على حصن رعبان وسلمه الى الملك الافضل حسب اتفاقهما، ثم سيطر على تل باشر ولم يسلمه للافضل، مما ادى الى ضعف تحالفهما، فضلاً عن ان الاهالي فقدوا الثقة بكيكاوس[2].

استنجد شهاب الدين طغرل اتابك حلب بالملك العادل، فأمر ابنه الملك الاشرف بالاسراع الى نجدة ابن اخته الملك العزيز[3]. واعطى اتابك حلب وعداً للملك الاشرف بان تكون الخطبة والسكة بأسمه في حلب وان يعطيه اي بلد يريدها من البلاد التابعة لحلب[4].

جمع الملك الاشرف جيشاً ضم العرب والكرد[5]، وهرع نحو حلب للدفاع عنها. وفي اول صدام عند مدينة منبج، الحقت الهزيمة بطليعة جيش كيكاوس واسر العديد منهم، مما ادى الى هزيمة كيكاوس وانسحابه، فتقدم الملك الاشرف شمالاً واستولى على تل باشر ورعبان[6].

وهكذا فشلت حملة السلطان كيكاوس للاستيلاء على حلب؛ لانه لم يتقدم مباشرة نحوها، فضلاً عن عدم ايفائه بالتزاماته ازاء حليفه الملك الافضل -كما اشير الى ذلك من قبل- مما جعله غير جاد في نصرته، حيث اشار عليه بعد سيطرته على تل باشر بان يستولي على المناطق المحيطة بحلب أولاً ثم يتقدم نحو المدينة، ليتسنى امام الملك الاشرف الوقت الكافي لجمع الجيوش والمجيء الى حلب للدفاع

---

(1) Cahen, La Syrie, p. 627.

(2) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 391؛ ابن العديم، زبدة الحلب، حـ3، ص 181-183.

(3) ابن العديم، زبدة الحلب، حـ3، ص 181.

(4) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 292.

(5) ابن بيبي، الاوامر العلائية، ص 259.

(6) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 393.

عنها، مما ادى الى فشل حملته[1].

ومع ذلك فإن الملك الافضل ظل حليفاً وتابعا لكيكاوس فقد رآه في صالحه ولذلك اظهر اعجابه به ونظم له قصيدة، مدحه فيها بقوله:

وشمس غياث الدين عند ضيائها واشراقها في كل مشرق ومغرب

أنار لديها كوكب الرمح فاختفت ولم ار شمس قط تخفى بكوكب[2]

وفي سنة 616هـ/ 1219م خرج عماد الدين احمد بن المشطوب الهكاري[3]، عن طاعة الايوبيين ولجأ الى السلطان كيكاوس، متفقاً معه ومع الملك الافضل، على مهاجمة الملك الاشرف الا ان الاشرف نجح في القاء القبض عليه[4].

اراد كيكاوس ان يثار من الهزيمة التي الحقت به فقام بالتحالف مع ناصر الدين الارتقي امير آمد وكوكبري اتابك اربل سنة 616هـ/ 1219م، ضد الملك الاشرف وحليفه بدر الدين لؤلؤ امير الموصل. ووافق حليفا كيكاوس على جعل الخطبة والسكة باسم كيكاوس في بلاديهما، وأدى ذلك التحالف الى تقوية مركزه، فأعد حملة عسكرية كبيرة، سار الى ملاطية لمهاجمة الملك الاشرف، لكي يمنعه من مساندة بدر الدين لؤلؤ، حتى يتسنى لكوكبري مهاجمة الموصل[5]، الا ان وفاة كيكاوس ادت الى تفتيت الحلف.

---

(1) ابن واصل، مفرج الكروب، حـ3، ص 267.

(2) كان الافضل شاعراً ينظم الشعر. ابن واصل، مفرج الكروب، حـ4، ص 157.

(3) ابن خلكان، وفيات الاعيان، حـ1، ص 180-184؛ وللتفصيل ينظر: نقبةز مجيد امين، المشطوب الهكاري، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب- جامعة صلاح الدين، (اربيل: 1991)، ص 90-92.

(4) ابن العديم، زبدة الحلب، حـ3، ص 187-189؛ ابن واصل، مفرج الكروب، حـ4، ص 29.

(5) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 396.

وعندما تولى كيقباد الحكم سنة 616هـ/ 1219م، تبادل الرسل مع الملك الاشرف واتفقا على انهاء المشاكل بينهما والتحالف معاً وتوج ذلك التحالف بزواج كيقباد من احدى بنات الملك العادل[1].

وروى ابن بيبي تفاصيل المصاهرة التي قامت بين البيت السلجوقي والبيت الايوبي، فاورد بأن كيقباد ارسل شمس الدين التونبه جاشنكير مع هدايا كثيرة الى دمشق لخطبه ابنة الملك العادل للسلطان. وبعد وصوله الى دمشق اجتمع مع الملك المعظم عيسى بن العادل (615-624هـ/ 1218-1227م) امير دمشق[2] وبقية اخوته وقدم هداياه، ثم طلب شمس الدين التونبه من كيقباد الحضور الى ملاطية لاستقبال عروسه اكراماً لها ولاخوتها[3].

لم يستمر تحالف كيقباد والاشرف طويلاً، لمهاجمة كيقباد القلاع التابعة للملك المسعود امير آمد الارتقي سنة 623هـ/ 1226م وذلك لتحالفه مع جلال الدين منكبرتي الخوارزمي والملك المعظم امير دمشق وكوكبري اتابك اربل، مما شكل تهديداً لسلاجقة الروم والايوبيين معاً، ولذلك طلب الملك الاشرف من السلطان كيقباد الاستيلاء على بلاد الملك المسعود، فهاجم كيقباد القلاع التابعة له واستولى على حصن منصور وقلعة جمشكزك قرب آمد، فاضطر الملك المسعود الى التراجع واعلن تبعيته وخضوعه للملك الاشرف. وعندما طلب الملك الاشرف من كيقباد ان يعيد القلاع التي استولى عليها للملك المسعود، رفض كيقباد ذلك واخبر رسوله بانه ليس تابعا للاشرف يأمره بالحرب والانسحاب متى شاء[4].

---

(1) نفسه، حـ10، ص 396؛ ابن واصل، مفرج الكروب، حـ4، ص 30؛
Cahen, Pre- Ottoman Turkey, p. 126-127.

(2) الصفدي، امراء دمشق في الاسلام، تحقيق صلاح الدين المنجد، (دمشق: 1955)، ص 150.

(3) ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص 123-126.

(4) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 465؛ ابن العديم، زبدة الحلب، حـ3، ص 189؛ ابن واصل، مفرج الكروب، حـ4، ص 178- 79.

اضطر الملك الاشرف ان يصالح اخاه الملك المعظم وقاد جيشه لمساعدة امير امد واشتبك مع جيش السلاجقة الذي كان يحاصر قلعة كختا، فهزم جيش الاشرف وحليفه الارتقي وسيطر كيقباد على القلعة(1).

ج. التحالف السلجوقي الايوبي 627هـ/1230م:

أتسمت العلاقات بين سلاجقة الروم والايوبيين في عهد السلطان كيقباد بعدم الاستقرار، وذلك لزيادة المنافسة بينهما للاستحواذ على ممتلكات الامارات الارتقية في اقليم الجزيرة، وتحولت تلك المنافسة تدريجياً الى صراع عسكري. وقد اجاد الاراتقة دبلوماسية ذلك العصر، واتبعوا سياسة واقعية، فكانوا يتأرجحون في ولائهم بين سلطان الروم والملك الاشرف الايوبي، على امل الاحتفاظ بممتلكاتهم(2).

لم تكن العلاقات جيدة بين كيقباد والايوبيين خلال الفترة الممتدة بين (623-627هـ/ 1226-1230م)، بسبب توسع نفوذه في منطقة الجزيرة واقلق ذلك السلطان الايوبي الملك الكامل. وأشار الحموي الى ان كيقباد ارسل عدداً من الرسائل الى الملك الكامل الذي لم يهتم برسله ورفض قبول هداياه(3). الا ان قيام جلال الدين منكبرتي بمهاجمة اخلاط، ادى الى تغيير موقف الملك الكامل ووافق على التحالف مع سلاجقة الروم ضده.

وكان جلال الدين منكبرتي الخوارزمي قد فر سنة 622هـ/ 1225م من امام المغول ولجأ الى اذربيجان ومن ثم سيطر على الاقليم المذكور، واخضع بعد ذلك الكرج لحكمه وبدأ يمد نفوذه الى اقليم الجزيرة، بعد تحالفه مع الملك المعظم عيسى الايوبي امير دمشق(4)، مما ادى الى تغيير موازين القوى في المنطقة.

(1) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 466؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، حـ5، ص 195.

(2) للتفصيل ينظر: عماد الدين خليل، الامارات الارتقة، ص 172 وما بعدها.

(3) التاريخ المنصوري، ص 315.

(4) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، حـ8، ق2، ص 669.

وازداد الامر خطورة عندما انضم اليه ابن عم كيقباد جيهان شاه (622-627هـ/ 1225-1229م) ملك ارزن الروم واشترك معه في مهاجمة مدينة اخلاط[1]. واستولى جلال الدين على المدينة بعد ان هاجمها عدة مرات[2].

بات جلال الدين يشكل خطراً حقيقياً على سلاجقة الروم والايوبيين معاً. وادى انضمام جيهان شاه اليه، الى زيادة مخاوف كيقباد، لذلك بادر الى مفاتحة الايوبيين حول عقد حلف عسكري ضد جلال الدين الخوارزمي. وأرسل الى الملك الكامل يطلب منه مساندة عسكرية. الح كيقباد في اقامة التحالف مع الايوبيين اذ أشار ابن الاثير بانه ارسل اكثر من رسول الى الملك الكامل الذي كان يقيم في حران[3].

وطلب كيقباد من الملك الكامل ارسال الملك الاشرف اليه ولو بدون جيش[4]. وينم ذلك عن ذكاء، لان كيقباد كان يعرف شجاعة الملك الاشرف وخبرته في الحرب، فضلاً عن انضمام أهل الشام والجزيرة اليه.

واورد مؤلف تاريخ الرهاوي، بان صاحب المبادرة في الدعوة لحرب جلال الدين من الايوبيين، هو شهاب الدين غازي امير ميافارقين، الذي حث اخويه الكامل والاشرف على التصدي له وحذرهما من التقاعس عن حربه قائلاً: ((وقريباً... يمسك برقبتكما)) [5].

تعد رواية مؤلف كتاب تاريخ الرهاوي جذابة، لان جلال الدين كان يشكل خطراً مباشراً على الايوبيين، بعد سيطرته على مدينة اخلاط واصبح امر السيطرة

(1) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص 87.

(2) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 486-487؛ ابن العديم، زبدة الحلب، حـ3، ص 209؛ ابن واصل، مفرج الكروب، حـ4، ص 297.

(3) الكامل، حـ10، ص 486.

(4) نفسه، حـ10، ص 486.

(5) مؤلف مجهول، تاريخ الرهاوي، ص264.

على الممالك الايوبية في اقليم الجزيرة مسألة وقت. تحرك الملك الكامل والاشرف بعد ذلك التحذير وتم اعداد الجيش تحت قيادة الاشرف واتفقا مع كيقباد على حرب جلال الدين الخوارزمي.

وتتفق رواية ابن بيبي مع رواية ابن الاثير حول قيام التحالف السلجوقي الايوبي ضد جلال الدين منكبرتي، اذ اورد بان كيقباد الح على ابناء الملك العادل عقد تحالف ضد السلطان الخوارزمي، لذلك ارسل قائده كمال الدين كاميار(1) الى الملك الكامل وطلب منه ان يرسل ما لا يقل عن عشرة الاف فارس. وأضاف ابن بيبي بان الملك الكامل لم يستجب لدعوة كيقباد في بداية الامر، فاخبره رسول كيقباد بان حرم كيقباد بمن فيهن اختهم في خطر وليس مستبعداً ان يقعن في ايدي الخوارزميين(2).

انضم الملك الاشرف الى السلطان كيقباد في سيواس والتحموا مع الخوارزميين قرب ارزنجان في (28) رمضان سنة 628هـ/ (30) تموز 1230م. وبعد معركة قصيرة، هزم جلال الدين منكبرتي، بعد ان انهارت معنويات جيشه ولم يستطع مواجهة سلاجقة الروم وجيش الشام معاً، فتقدم الملك الاشرف واستولى على مدينة اخلاط(3)، ثم تقدم الجيش الحليف نحو ارزن الروم وسيطر عليها واصبحت تابعة لسلطان الروم(4).

---

(1) يعد من اشهر القادة العسكريين في بلاد الروم خلال عهد السلطان كيقباد وكان موضع ثقة السلطان اذ اعتمد عليه في المجال السياسي والعسكري. واغلب الظن انه من اصل كوردي اذ يسميه ابن واصل بالقيمري. ينظر: ابن واصل، مفرج الكروب، حـ5، ص 79. والكرد القيمرية معروفين ينظر: ياقوت، معجم البلدان، حـ4، ص 424. وما تزال احد قلاع منطقة برواري بالا شمال مدينة اميدي تحمل اسم الكرد القيمرية وتسمى قلعة قمري.

(2) ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص 165-166.

(3) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 487.

(4) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، حـ8، ق2، ص 660.

حقق التحالف السلجوقي الايوبي اهداف الجانبين وازيل الخطر الذي كان يتهددهما ومن المؤكد فإن سلاجقة الروم استفادوا اكثر من ذلك التحالف اذ توسعت سلطة كيقباد لتشمل جميع المناطق التي كانت خاضعة لابن عمه جيهان شاه الذي وقع في قبضته.

ومن الجدير بالذكر ان التحالف السلجوقي الايوبي كان قصيراً اذ سرعان ما بدأ كيقباد بمهاجمة الممالك الايوبية والتوسع على حسابها، بعد ان انضم اليه ناصر الدين الارتقي امير ماردين، فحاصر الرها وحران والرقة سنة 630هـ/ 1233م، ثم استولى على مدينة الجزيرة، مرتكبا اعمال نهب وسلب تضاهي افعال المغول[1].

وفي السنة ذاتها استغل كيقباد انشغال الملك الاشرف بشؤون دمشق، فامر قائده كمال الدين كاميار بالسيطرة على اخلاط فهاجمها وهدم أسوارها، كما استولى على مدينة بدليس، مما ادى الى القضاء على الحلف السلجوقي الايوبي وبدأ الملك الكامل يستعد للحرب ضد سلاجقة الروم[2].

د. الحملة العسكرية الايوبية ضد سلاجقة الروم 631هـ/1234م:

بعد استيلاء السلطان كيقباد على اخلاط ووصول الأخبار الى مصر، تقدم الملك الكامل بجيشه الى بلاد الشام لغزو بلاد الروم. وانضم اليه الامراء الايوبيون، وقد بلغ عددهم ستة عشر اميراً. وتم وضع خطة للاستيلاء على مدينة قونية عاصمة سلاجقة الروم، ووضع حد لاطماع السلاجقة التوسعية[3].

ونظراً للوفاق الحاصل بين الملك العزيز وسلاجقة الروم فانه من دون الزعماء الايوبيين لم يشترك بنفسه في الحملة الى جانب الملك الكامل واكتفى بارسال الاموال والرجال. وبذلك حقق رغبة كلا الطرفين الايوبي والسلجوقي

(1) نفسه، ص 677.

(2) ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص 185.

(3) Gottschalk, Al- Malik- Al- Kamil Von Egypten and Seine Zeit, (Wiesbaden: 1958), p.212.

وبقي بعيداً عن الانظار[1].

تقدم الجيش الايوبي نحو بلاد الروم مباشرة، فاتخذ السلطان كيقباد موقفاً دفاعياً وقام بتحصين الممرات والمضايق الجبلية ونجح قائد سلطان الروم كمال الدين كاميار في تنظيم الدفاع بشكل جيد وتصدى بنجاح لطلائع الجيش الايوبي وارغمه على التوقف ثم التراجع، مما ادى الى فشل الحملة الايوبية في الوصول الى هدفها وهو السيطرة على مدينة قونية[2].

شاع بين الملوك الايوبيين ان هدف الملك الكامل من السيطرة على بلاد الروم هو ابعاد الملوك الايوبيين عن بلاد الشام وتعيينهم في المدن التي سيتم الاستيلاء عليها في بلاد السلطان كبقباد، لان الملك الكامل يريد بلاد الشام له، فضلاً عن مصر، مما ادى الى تقاعس الملوك الايوبيين في الحرب ضد سلاجقة الروم، كما اشارت العديد من المصادر الى ذلك[3].

وروى المقريزي بان الملك الكامل لما راى كثرة الجيوش التي يقودها، تيقن من الانتصار، لذلك اخبر خواصه بانه في حالة سيطرته على بلاد الروم فانه سيعوض ملوك الشام وملوك الشرق بمملكة الروم بدلاً من الممالك التابعة لهم وسيلحق بلاد الشام واقليم الجزيرة بمصر، فنقل احد خواصه كلامه الى الملك المجاهد شيركوه (581-637هـ/ 1185-1239م) امير حمص، محذراً اياه من ضياع ملكه في بلاد الشام واخبر شيركوه الملك الاشرف بذلك فقام الاشرف بجمع بني اعمامه من الملوك الايوبيين واخبرهم عن خطط الملك الكامل المستقبلية، فاتفقوا معه على خذلان الكامل في الحرب وكتبوا الى السلطان كيقباد بخصوص ذلك، الا

---

(1) ابن العديم، زبدة الحلب، حـ3، ص 216؛ ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص 192-195؛ ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، حـ3، ص 154-155.

(2) ابن واصل، مفرج الكروب، حـ5، ص 77؛ Gottschalk, Op. Cit., p. 214.

(3) سبط ابن الجوزي، حـ8، ق2، ص684؛ ابن واصل، مفرج الكروب، حـ5، ص77؛ اليونيني، ذيل مراة الزمان، حـ1، ص131.

ان كتبهم لم تصل الى كيقباد ووقعت في يد الملك الكامل فكتم الامر وقرر الانسحاب[1].

ومن المحتمل ان العلاقات الودية بين السلطان كيقباد والملك المجاهد شيركوه، ادت الى نشر تلك الشائعة التي رواها المقريزي بشكلها الحالي، اذ أشار الحموي الى وصول رسول السلطان كيقباد الى حمص في ربيع الاول سنة 631هـ/ كانون الاول 1233م[2]، ولا يستبعد ان يكون هدف تلك السفارة هو التنسيق بين الجانبين ضد الملك الكامل[3]، او ان يقف الملك المجاهد على الحياد على الاقل في حالة قيام الحرب بين السلطان كيقباد والملك الكامل. وليس من المستبعد ايضاً بان يكون كيقباد هو الذي نجح في ترويج تلك الشائعة لتفتيت جبهة الايوبيين وافشال هجومهم الذي كان يهدد دولته. ويظهر ان المقريزي استند في روايته على السياسة التي كان يتبعها الملك الكامل مع بقية الامراء والملوك الايوبيين والقائمة على ضم ممتلكاتهم لدولته. فقد سبق له وان ضم الى حكمه عدداً من المناطق التي كانت تابعة للملك الاشرف بحجة تعيين الاشرف ملكاً على دمشق[4].

ان رواية المقريزي ما هي الا محاولة لتبرير هزيمة الايوبيين ووضع وزرها على عاتق الملك المجاهد شيركوه، علما بانه توجد عوامل اقوى لفشل الهجوم الايوبي، منها قوة سلاجقة الروم ومناعة دفاعاتهم الطبيعية، فضلاً عن الصعوبات التي واجهت الجيش الايوبي الضخم في الحصول على المؤن[5].

أحس الملك الكامل بعدم جدية الملوك الايوبيين في محاربه سلاجقة الروم،

(1) المقريزي، السلوك، حـ1، ص 248-249.

(2) التاريخ المنصوري، ص 459.

(3) موسى مصطفى ابراهيم، الحياة السياسية في بلاد الشام (634-658هـ/ 1236-1260م)، رسالة دكتوراه، غير منشورة، مقدمة الى كلية الاداب- جامعة صلاح الدين، (اربيل: 1997)، ص254.

(4) ابن العديم، زبدة الحلب، حـ3، ص 226-227.

(5) نفسه، حـ3، ص 217.

لذلك تراجع الى بهسنا وانضم اليه عزالدين الارتقي امير خرتبرت الذي نصحه بمهاجمة بلاد الروم من حصنه، الا ان الملك الكامل فطن الى خطورة الموقف، لذلك تراجع وعبر الفرات واستقر في السويداء قرب آمد وارسل المظفر تقي الدين محمود (626-642هـ/ 1228-1244م) امير حماة الى خرتبرت مع قسم من جيشه، فهاجمه سلاجقة الروم اذ وصل كمال الدين كاميار الى خرتبرت وحاصر الملك المظفر ثم وصل كيقباد مع بقية جيشه وشددوا الحصار على الجيش الايوبي، فاضطر الملك المظفر ان يستسلم لسلطان الروم بعد ان حصل على الامان للجيش الايوبي المحاصر حيث سمح لهم كيقباد بالعودة فالتحقوا بالملك الكامل في السويداء[1].

ان هزيمة خرتبرت لا تعني نصراً ساحقاً للسلطان كيقباد او هزيمة نكراء للملك الكامل كما اشارت الى ذلك دراسة حديثة[2]. الا ان الملك الكامل فضل الانسحاب بعد ان لاقت حملته صعوبات عدة، فضلاً عن ان كيقباد لم يكن يرغب الدخول في معركة فاصلة مع الايوبيين.

بعد نجاح كيقباد في التصدي للحملة الايوبية ورجوع الملوك الايوبيين الى الشام ومصر، بدأ بتوسيع نفوذه في اقليم الجزيرة حيث امر كمال الدين كاميار بالاستيلاء على المدن التابعة للايوبيين، فهاجم آمد سنة 632هـ/ 1235م التي صمدت امام هجماتهم بسبب مناعة اسوارها، واستولى على السويداء[3].

أدى تغير الموقف العسكري في اقليم الجزيرة الى تغير الموقف السياسي، حين تحالف ناصر الدين الارتقي امير ماردين مع كيقباد، وزاد ذلك من حماس سلاجقة

(1) ابن واصل، مفرج الكروب، حـ5، ص80-81، ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص 194-195.

(2) ذكرى عزيز محمد الصائغ، عصر الملك الكامل الايوبي، رسالة ماجستير، غير منشورة، قدمت الى كلية الاداب- جامعة الموصل، (الموصل: 1988)، ص 74. لم تفهم الباحثة رواية ابن واصل بشكل دقيق فنسبت استسلام الملك المظفر للملك الكامل.

(3) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، حـ 8، ق2،ص 694.

الروم، فهاجموا الرها واستولوا عليها بالقوة، ووضعوا السيف في اهلها حسب تعبير ابن العبري[1]، مما ادى الى استسلام مدن حران والرقة والبيرة دون حرب[2].

اضطر الملك الكامل ان يقود حملة اخرى الى نواحي الجزيرة سنة 633هـ/ 1236م وانضم اليه اخوه الملك الاشرف والملك المجاهد والملك المظفر، فاستعاد حران والرها، مما ادى الى تراجع سلاجقة الروم، فتقدم الايوبيون نحو ماردين وحاصروا بلدة دنيسر وانتقموا من اهلها[3]، واثناء ذلك وصل رسول بدر الدين لؤلؤ امير الموصل، أخبرهم بان المغول عبروا دجلة ووصلوا الى نواحي سنجار، فتراجعت الجيوش الايوبية عن تلك المناطق واعاد كيقباد السيطرة عليها، فهاجم ناصر الدين الارتقي مع الفرقة الخوارزمية من جيش كيقباد نصيبين واستولى على المدينة وأباحوها، ثم احرقوها، رداً على ما فعله الايوبيون باهل دنيسر[4]، ثم حاصر سلاجقة الروم مدينة امد حتى اواخر سنة 633هـ/ 1235م[5]، الا انهم فشلوا في اقتحامها.

أدى الصراع العسكري بين سلاجقة الروم والايوبيين الى الحاق اضرار كبيرة بمنطقة الجزيرة وقتل عدد كبير من سكانها، فضلاً عن تخريب المدن والحصون والقلاع وتسبب ذلك في انهاك اقتصاد المنطقة، فبدأ السكان يهاجرون منها الى مناطق اخرى اكثر اماناً مثل بلاد الشام. واتبع سلاجقة الروم سياسة قاسية مع سكان اقليم الجزيرة، لدفعهم الى ترك ديارهم حتى يتسنى لهم اسكان التركمان في تلك المناطق، بغية تغيير طابعها السكاني لكي يصبح الترك العنصر الغالب في

(1) تاريخ الزمان، ص281؛ تاريخ مختصر الدول، ص 249.

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، حـ8، ق2، ص 695؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 249.

(3) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، حـ8، ق2، ص 695-696.

(4) نفسه، حـ 8، ق2، ص 695-696.

(5) نفسه، حـ 8، ق2، ص 696.

المنطقة[1].

خف الصراع بين سلاجقة الروم والايوبيين في اواخر سنة 633هـ/ 1235م وعاد الملك الكامل الى مصر بعد ان عين ابنه الملك الصالح على كافة المناطق التابعة له في الشرق[2]، وجرد أخاه الاشرف من ممتلكاته في اقليم الجزيرة واقتصر حكمه على دمشق. لم يرق ذلك للملك الاشراف فأقام تحالفا ضم العزيز ملك حلب والمظفر ملك حماة وكتبوا الى السلطان كيقباد للتحالف معه ضد الملك الكامل، لانهاء نفوذه في بلاد الشام واقليم الجزيرة، ومات كيقباد، قبل وصول رسلهم اليه وتولى كيخسرو الثاني الحكم، فرحب برسلهم ووعدهم بالتحالف معهم ضد الملك الكامل[3].

أدرك الملك الكامل ما يدبره الملوك الايوبيون ضده في بلاد الشام، لذلك فتح باب المفاوضات مع السلطان كيقباد[4]، وارسل اليه الفقيه زكي الدين عبد العظيم المنذري[5] بصحبة محي الدين ابن الجوزي رسول الخليفة الذي كان يتوسط بامر الخليفة، بين الملك الكامل والسلطان كيقباد لانهاء خلافاتهما والعمل معاً على مواجهة المغول[6].

استغل كيقباد الخلافات القائمة بين الأيوبيين وقرر مهاجمة آمد، فأمر كمال الدين كاميار بتهيئة المسلتزمات العسكرية ولكن كامياراً أخبر السلطان بان السيطرة على مدينة امد ليس بالامر السهل وانه يحتاج الى ثلاث سنوات لاقتحام المدينة، بسبب موقعها ومناعة اسوارها. ففي السنة الاولى يتم حرق محاصيلها الزراعية

(1) جب، صلاح الدين الايوبي، ص 219.

(2) الدواداري، كنز الدرر، حـ7، ص 316.

(3) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، حـ 8، ق 2، ص 699-700؛ ابن العديم، زبدة الحلب، حـ3، ص227؛ ابن واصل، مفرج الكروب، حـ5، ص 121-124.

(4) Cahen, La Syrie. p. 646.

(5) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص 102.

(6) الداواداري، كنز الدرر، حـ7، ص 317؛ المقريزي، السلوك، حـ1، ص 253.

ونهب ماشيتها، وفي السنة الثانية يمنع دخول النجدات الايوبية اليها، ثم يتم حصار المدينة في السنة الثالثة، فيضطر سكانها الى الاستسلام[1].

أخذ السلطان برأي قائده الثاني تاج الدين بروانه الذي سهل الامر على السلطان، فامره السلطان بقيادة الجيش ومهاجمة المدينة مع الفرقة الخوارزمية، وفشل بروانه في أقتحام آمد كما انه لم يستطع السيطرة على الفرقة الخوارزمية التي اقترفت اعمال قتل ونهب في ضواحي ميافارقين وماردين والجزيرة، وانتقموا من السكان، لانهم لم يطيعوا سلطانهم السابق جلال الدين عندما سيطر على اخلاط[2].

ادى الصراع السياسي والعسكري بين سلاجقة الروم والأيوبيين[3]، الى وقوع معظم القلاع والمدن التي تقع على نهر الفرات بيد سلاجقة الروم، كما سيطروا على الرها وحران ومرعش وخضع الاراتقة لنفوذهم واحتفظ الايوبيون بحكم آمد وميارفارقين.

رابعاً: العلاقة مع الخوارزميين

عاصر كيقباد جلال الدين منكبرتي الذي فر من امام المغول بعد استيلائهم على بلاده، وقاد بقايا جيشه الى اذربيجان، حيث سيطر على تبريز واقام سلطنته فيها سنة 622هـ/ 1225م، ثم استولى على مدينة تفليس عاصمة الكرج سنة 623هـ/ 1226م ومد نفوذه غرباً نحو بلاد الاناضول واقليم الجزيرة كما سبقت

(1) ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص 200.

(2) ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص 201.

(3) للتفصيل عن هذا الصراع ينظر: Gottschalk, Op. Cit., pp. 208-217; ابراهيم، الحياة السياسية في بلاد الشام، ص 249-260.

الاشارة الى ذلك[1].

تبادل كيقباد الرسائل مع السلطان جلال الدين منكبرتي، وكانت تنم عن احترام متبادل بينهما. فأشاد كيقباد في احدى رسائله الجوابية بدور جلال الدين في التصدي للمغول، وذكر له بانه يجاهد مثله الكفار في الغرب[2]. وعند الاطلاع على رسائل كيقباد الى جلال الدين يمكن معرفة المرونة السياسية لدى السلطان كيقباد وبعد نظره وكيف انه حاول تحسين علاقاته مع جلال الدين وتجنب الاصطدام معه، وفي الوقت نفسه اراد تحييده حتى يستطيع التوسع في اقليم الجزيرة على حساب الاراتقة.

وأشار النسوي الى وصول رسول من بلاد الروم الى مدينة خوي[3]، حاملاً رسالة من وزير السلطان كيقباد حول اقامة تحالف بين سلاجقة الروم والخوارزميين[4]. فاكرمه شرف الملك وزير جلال الدين وحمله هدايا الى سلطان الروم مع رسالة، طلب فيها تقديم دعم مالي للخوارزميين وأشار في رسالته الى الضائقة المالية التي كان يعاني منها الخوارزمية وجاء في بعض رسالته التي وصفت حالة السلطان جلال الدين منكبرتي قوله: ((ان هذا السلطان قد خرج بعد موت والده لا يملك غير سيفه...))[5].

نالت تلك الرسالة استحسان كيقباد، فارسل هداياه الى جلال الدين

(1) للتفصيل ينظر: ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 422-423؛ ص 443-445، ص 447-451؛ ص463-464؛ 466-467؛ 479-480، وللتفصيل عن الدولة الخوارزمية ينظر: العبود، الدولة الخوارزمية، ص 17-41.

(2) حول نص احدى هذه الرسائل ينظر: ملحق رقم (2).

(3) تقع مدينة خوي شمال غرب بحيرة اورمية. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، حـ2، ص 408.

(4) سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص 216.

(5) سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص 262.

ووزيره[1]. واستمر تبادل الرسائل بين الجانبين حيث كتب جلال الدين الى كيقباد، دعاه الى تحسين العلاقات بينهما وحل خلافاتهما بالطرق السلمية. وعرض رسول جلال الدين قاضي القضاة مجير الدين طاهر بن عمر الخوارزمي على كيقباد مصاهرة سياسية بزواج كيخسرو من ابنة جلال الدين[2].

تقرب كيقباد من جلال الدين وشجعه على غزو الممالك الايوبية في الجزيرة بسبب وقوف الاشرف ضده سنة 623هـ/ 1228م، (بسبب مهاجمة كيقباد القلاع التابعة للملك المسعود أمير آمد الارتقي). واوردت المصادر بان كيقباد كتب الى جلال الدين، دعاه الى الوقوف ضد الايوبيين، ووعده بالوقوف الى جانبه الا ان رسول كيقباد (سبهسالار صلاح الدين) تأخر في الطريق ووصل عندما كان جلال الدين يحاصر مدينة اخلاط[3].

تغير موقف كيقباد من جلال الدين بعد تحالف ابن عمه جيهان شاه ملك ارزن الروم معه، اذ خاف من الخوارزميين المعروفين بالشجاعة والاقدام والمتمرسين في الحرب، ان يسيطروا على بلاد الاناضول وينصبوا جيهان شاه سلطاناً في قونية بدلاً عنه، لذلك مال الى الايوبيين منذ سنة 625هـ/ 1228م، عندما بدأ جلال الدين بمحاصرة اخلاط[4] وفتح باب المفوضات مع الملك الكامل كما سبقت الاشارة الى ذلك.

وعلى الرغم من ان كيقباد لم يكن يثق بجلال الدين، الا انه أظهر مرونة سياسية واضحة إزاءه، اذا استمر في تبادل الرسائل والسفراء معه، تجنبا للدخول في حرب معه. ومن جانبه ارسل جلال الدين سفارة الى كيقباد، ضمت جلال الدين

---

(1) نفسه، ص 262.

(2) ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص 154، 156، 157.

(3) ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص 159؛ النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص 278.

(4) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 466-467.

ملك جمال الدين فروخ طشت دار[1] وجمال الدين ساوجي ونجم الدين ابو بكر جامي، فاكرمهم كيقباد وذكر لهم بانه يتمنى ان يزوره السلطان جلال الدين، ليقوم بتكريمه وانزاله المقام الذي يليق به. وفي الوقت نفسه اعرب لهم عن عدم رضاه حول حصار اخلاط وذكر لهم بان ذلك العمل مع مباديء الاسلام، واقترح على الوفد الخوارزمي ان يقوم جلال الدين بالمصالحة مع المغول، حتى لا يقوموا بغزو العالم الاسلامي، واعرب عن عزمه على حقن دماء المسلمين والعمل على تكاتفهم وتعاونهم. وعندما رجع سفراء جلال الدين حملهم كيقباد رسالة الى سلطانهم[2].

يظهر حديث كيقباد مع سفراء جلال الدين تخوفه من السلطان الخوارزمي وندمه على فتح باب المفاوضات معه وانه كان يتمنى زوال حكمه من اذربيجان وبلاد الكرج، لذلك اخبر سفراءه بانه يفضل قيام مصالحة بينه وبين المغول، على امل التخلص منه.

ومع ذلك ارسل كيقباد الامير التونبه جاشنكير سفيراً الى جلال الدين، برفقه الف فارس مع كامل عدتهم، حملوا معهم هدايا كثيرة جداً، جعلت جلال الدين في حيرة من أمره. وبقي سفير كيقباد مدة لدى جلال الدين، مما ادى الى قلق كيقباد عليه، فارسل كمال الدين كاميار ليتحقق من الامر. تزامنت سفارة كاميار مع حصار جلال الدين لاخلاط في اواخر سنة 626هـ/ 1229م ويظهر ان العلاقات بدات تتوتر بين الطرفين لان كامياراً طلب بعد وصوله السماح له بالعودة فوراً[3]. وبعد عودته بدأ كيقباد يستعد للحرب ضد جلال الدين.

واورد الجويني ان اهل اخلاط استنجدوا بالخليفة المستنصر وسلطان الروم

(1) طشت دار احد مقربي السلطان ويكون مسؤولا عن (الطشت خاناه) الخاصة بغسل ما يلبسه السلطان. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، جـ4، ص 9-10.

(2) ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص 159-161.

(3) نفسه، ص 162-65.

(كيقباد) وسلطان الشام (الملك الكامل)، فارسل هؤلاء رسلاً الى جلال الدين لرفع الحصار عن اخلاط[1]، الا انه استمر في محاصرة المدينة لمدة ثمانية اشهر، ثم هاجمها واستولى عليها واعطى الامان لافراد البيت الايوبي[2].

واشار ابن العبري الى مضمون رسالة كيقباد الى جلال الدين بعد سيطرته على مدينة اخلاط، فاورد ان كيقباد حشد (20) الفا وسار بهم الى ملاطية ووجه عشرة الاف الى ارزنجان للدفاع عنها ضد هجوم محتمل عليها من قبل جلال الدين، ثم كتب الى الملك الاشرف يخبره بانه سيتصدى لجلال الدين، وارسل بعد ذلك سفيراً الى جلال الدين، طلب منه الانسحاب من اخلاط، ودعاه الا يخالف الشرع والا يظلم الناس لان ما حدث لابيه كان بسبب ظلمه للرعيه[3].

وحذر كيقباد منكبرتي في رسالته من الاساءة الى افراد البيت الايوبي الذين وقعوا في اسره، مهدداً اياه بشن الحرب ضده، ملمحاً بانه حليف الايوبيين. وفي الوقت نفسه ابقى خيطاً للسلام معه، عندما دعاه الى معاملة الامراء الايوبيين الاسرى معاملة حسنة، اذ اخبره بان معاملتهم الجيدة تدفعهم ليكونوا حلفاء له ضد اعدائه[4]. وقد اجاب جلال الدين على رسالة كيقباد، وذكر له بانه لن يترك اخلاط وبانه عامل اخوة الملك الاشرف باحترام[5].

كان كيقباد اكثر حماساً من الايوبيين، لمحاربة جلال الدين، فطلب من الملك الكامل والاشرف الاسراع في ارسال الجيش لمحاربته وذكر بانه سيتحمل نفقات الحملة الايوبية وتموينها. فاورد الدواداري بان كيقباد كتب الى الملك الاشرف يقول: ((تحضر عندي لنتفق على هذا الذي خرب البلاد واهلك العباد فعندي

---

(1) تاريخ جهانكشاي، (بريل ليدن: 1937)، حـ2، ص 174.

(2) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 276؛ الجويني، تاريخ جهانكشاي، حـ2، ص 177.

(3) تاريخ الزمان، ص 276.

(4) نفسه، ص 276.

(5) الجويني، تاريخ جهانكشاي، حـ2، ص 179.

المال والرجال))[1].

ويستنتج مما اورده سبط ابن الجوزي، ان كيقباد تحمل نفقات الحرب ضد جلال الدين سنة 627هـ/ 1230م، فبعد ان اشار الى سير الحرب وهزيمة جلال الدين ذكر اغداق السلطان كيقباد الاموال على رجال الاشرف، فقال: ((فاعطاه واصحابه واخوته وجميع الاعيان من الاموال والخلع والثياب والخيل والتحف ما قيمته الفي الف دينار))[2]. وعلم جلال الدين بان السياسة التي اتبعها السلطان كيقباد وتحالفه مع الايوبيين وانفاقه اموالاً طائلة على محاربته، ادت الى هزيمته. لذلك عندما ارسل اليه الملك الاشرف بعد سيطرته على اخلاط يدعوه الى عقد الصلح واقامة تحالف بينهما، استجاب جلال الدين لدعوته، لكنه رفض عقد الصلح مع كيقباد حتى علم بان المغول سيهاجمونه، اضطر اثر ذلك ان يوافق على عقد الصلح معه[3].

وعندما تاكد جلال الدين بان المغول توجهوا غربا لملاحقته، بعث رسائل الى الخليفة المستنصر والى الملك الاشرف، كما بعث رسولاً الى السلطان كيقباد، دعاهم الى ارسال الجيوش لمساندته من اجل صد المغول بسبب كثرة جموعهم، الا انهم لم يساندوه[4]. ولكن ذلك لا يدل على تحسن العلاقات بينه وبين كيقباد انما دفع الخطر المغولي ومهاجمتهم للعالم الاسلامي، جلال الدين الى طلب النجدة من سلاجقة الروم.

وظل العداء مستحكما بين السلطان كيقباد وجلال الدين حتى مقتله في احدى قرى ميافارقين سنة 628هـ/ 1231م[5]. فبعد تراجع جلال الدين امام

(1) الدواداري، كنز الدرر، حـ7، ص 299.

(2) مرآة الزمان، حـ 8، ق2، ص 661.

(3) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص 335.

(4) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 246.

(5) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، حـ 8، ق2، ص 668-671.

المغول ولجوئه الى اقليم الجزيرة، طلب من شهاب الدين غازي ملك ميافارقين الايوبي الانضمام اليه لمحاربة المغول، فاعتذر عن تلبية طلبه بحجة دخوله في طاعة السلطان كيقباد وذكر له بانه لا يستطيع الانضمام اليه بسبب العداء المستحكم بينه وبين كيقباد وبانه خائف من سلطان الروم[1].

وبعد مقتل جلال الدين، تشتت جيشه واراد كيقباد الاستفاده منهم لخبرتهم في الحرب ولا سيما الحرب مع المغول الذين وصلت غاراتهم الى بلاد الاناضول، لذلك جند عشرة الاف منهم في جيشه ومنحهم اقطاعات في مناطق ارزن الروم[2]، وبدلاً من ان يستفيد كيقباد منهم لمواجهة المغول مستقبلاً، زجهم في الحرب ضد الايوبيين، وتميز الخوارزميون بشدة قسوتهم، لانهم تطبعوا على القتل والسلب والنهب وظلوا مخلصين لذكرى سلطانهم الراحل جلال الدين كما اشار ابن بيبي الى ذلك[3].

تبين خلال دراسة علاقة سلاجقة الروم مع الدول والممالك الاسلامية بانهم لم يهتموا كثيراً بتطوير تلك العلاقات خلال القرن 5هـ/ 11م وحتى منتصف القرن 6هـ/ 12م، بدليل عدم وجود اية اشارة في المصادر تشير الى تلك العلاقات، لان دولتهم كانت في مرحلة التاسيس، اذ انشغل سلاطينها بصراعاتهم الداخلية وتوسيع دولتهم غرباً على حساب الدولة البيزنطية، فضلاً عن مواجهة الحملات الصليبية.

وتزامن ذلك مع قوة سلاجقة المشرق وسيطرتهم على ايران والعراق وجزء من بلاد الشام، فضلاً عن فرض سلطانهم على الخليفة العباسي. ونظراً لما حصلوا عليه من نفوذ وسلطان فانهم لم يعترفوا بسلطان ابناء عمومتهم سلاجقة الروم وعدوهم تابعين لهم من الناحية النظرية. لذلك اعتقدوا بانه لا يمكن اطلاق لقب

---

(1) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص 372-374.

(2) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 278.

(3) تواريخ ال سلجوق، ص 201.

سلطان على زعيمهم لوجود السلطان الاعظم للسلاجقة في الري وعليه فقد لقبوه بـ(سبهسالار) أي قائد الجيش او الامير او الشاه (أي الملك) بدلاً من لقب السلطان.

اما الخلافة العباسية فكانت ضعيفة خلال تلك الفترة، فقد خضعت لنفوذ سلاجقة المشرق ودخلت في صراع معهم للتحرر من تبعيتهم، لذلك لم يستطع الخليفة العباسي الاهتمام بسلاجقة الروم وحتى الاعتراف بحكمهم، لاسباغ الشرعية عليه، دون رضا السلطان السلجوقي.

وبعد ضعف سلاجقة المشرق في النصف الثاني من القرن 6هـ/ 12م وتحرر الخلافة العباسية من تبعيتهم، بدأ الخليفة يمارس دوره السياسي، فضلاً عن دوره الديني، مما ساعد على قيام علاقات بين الخلافة العباسية وسلاجقة الروم. الذين حرصوا على التمسك بها وتطويرها للحصول على اسناد الخلافة الروحي والسياسي.

ان موقع سلاجقة الروم ومجاورتهم للدولة البيزنطية العدو التقليدي للمسلمين، جعلت المسلمين في الاقاليم الاخرى ينظرون اليهم بأحترام، لانهم يحفظون ثغور المسلمين، ولكن فشلهم احياناً في التصدي للصليبيين ومنع البيزنطيين من شن الهجمات على بلاد الشام، دفعت بالخليفة العباسي وبعض الامراء المسلمين ان ينظروا بعين الشك الى سلاطين الروم، وكذلك كانت علاقاتهم معهم محدودة ومتقطعة ولم يكونوا متحمسين لتحسين العلاقات معهم.

وبدأ الوضع يتغير بعد وفاة صلاح الدين الايوبي سنة 589هـ/ 1193م، اذ خطب عدد من الامراء المسلمين ودهم ودخلوا معهم في تحالفات ومن هنا برز دورهم في احداث العالم الاسلامي. والذي كان عموماً دوراً ثانوياً بسبب انشغال سلاجقة الروم بمشاكلهم الداخلية وبعدهم عن ساحة الشام التي كانت احداثها صاخبة آنذاك.

وقد استمر دور سلاجقة الروم الثانوي هـذا حتـى سـنة 590هـ/ 1194م[1] حيث زالت سلطة السلاجقة في المشرق، مما جعل المسلمين يتجهـون بأنظـارهم الى سلاجقة الـروم وعـدوهم خلفـاء سـلاجقة المـشرق، ممـا سـاعدهم علـى تكـوين العلاقات مع القوى الاسلامية الاخرى.

تم تثبيت سلطة سلاجقة الروم في اسيا الصغرى في النصف الثاني من القرن 6هـ/ 12م، بعد ان نجحوا في السيطرة على معظم اسيا الصغرى وانتشر الاسلام في المناطق الخاضعة لحكمهـم، وادى ذلـك الى تكـوين العلاقـات بـين مـسلمي اسـيا الـصغرى والمـسلمين في الاقـاليم الاسـلامية الاخـرى. وانتقـل التجـار والعلمـاء والشعراء بين اسيا الصغرى وتلك الاقاليم، وسـاعد ذلـك علـى تطـوير علاقـات سلاطينهم مع الملوك والامراء المسلمين.

(1) الحسيني، زبدة التواريخ، ص 313-314.

الفصل الرابع

علاقة سلاجقة الروم مع الدول والممالك غير الاسلامية

أولاً: العلاقة مع الدولة البيزنطية

ثانياً: العلاقة مع الارمن في كيليكيا

ثالثاً: العلاقة مع الكرج

رابعاً: العلاقة مع إمارة طرابزون

تمهيد:

اتسمت علاقة سلاجقة الروم بالدول والممالك غير الاسلامية بالعداء، لان اراضي هذه الدول في نظر المسلمين هي دار حرب، يحق لهم، بل من واجبهم اخضاعها ونشر الاسلام فيها او اجبار حكامها على الخضوع ودفع الجزية.

ونظراً لقيام سلطنة سلاجقة الروم في وسط بلاد الاناضول فقد ادى ذلك الى مجاورتها لدول غير مسلمة، وبطبيعة الحال ترتب على ذلك قيام علاقات بين سلاجقة الروم وبين تلك الدول والممالك.

ولم تقتصر تلك العلاقات على قيام الحرب وتبادل الهجمات، بل مرت بفترات هدنة، ساد خلالها السلام ورافقها تبادل السفارات والدخول في تحالفات تكتيكية وتبادل المساعدات العسكرية، فضلاً عن ايواء المعارضين والامراء الفارين ومساعدتهم احياناً في اعادتهم الى المراكز التي فقدوها.

استندت تلك العلاقات على المصلحة وتأرجحت بين العداء والود تبعاً لقوة سلطنة سلاجقةالروم ووضعها الداخلي والمستجدات السياسية على الصعيد الخارجي مثل ظهور قوى اخرى، ادت الى اخلال التوازن في المنطقة احياناً.

قامت دولة سلاجقة الروم على حساب الدولة البيزنطية، بعد ان استولى الترك السلاجقة على معظم الاراضي التابعة لها في اسيا الصغرى، ودخلوا معها في صراع عسكري وسياسي دام اكثر من قرنين. لهذا ستحتل العلاقة بين سلاجقة الروم والدولة البيزنطية الاولوية في هذا الفصل، فضلاً عن علاقاتهم مع مملكة ارمينيا الصغرى والكرج ومملكة طرابزون اليونانية كما سنوضحه تباعاً.

أولاً: العلاقة مع الدولة البيزنطية

عند البحث عن علاقة سلاجقة الروم مع الروم البيزنطيين ينبغي الاخذ بنظر الاعتبار أن سلطنة سلاجقة الروم قامت على حساب الدولة البيزنطية، اثر

توغل السلاجقة في عمق اراضيها، وما رافقه من هجرة اعداد كبيرة من التركمان الى وسط هضبة الاناضول، ثم مشاركتهم في حركة الجهاد التي قادها سليمان بن قتلمش وعدد آخر من القادة التركمان، الذين اجبروا الدولة البيزنطية على التقهقر باتجاه مناطق الغرب[1]، واحكموا قبضتهم على وسط الاناضول، ثم استقروا فيها، قبل ان ينطلقوا نحو الغرب، للاجهاز على البيزنطيين، مستفيدين من الصراع الداخلي الذي تعرضت له الامبراطورية البيزنطية، ولا سيما الصراع على العرش بين قادة الجيش، فضلاً عن تعرض الامبراطورية لهجمات البجناك والنورمان في البلقان كما اشير الى ذلك سابقاً وبطبيعة الحال اشترك الكورد المسلمون في حركة الجهاد تلك.

وعندما ازداد ضغط قادة الجيش على الامبراطور ميخائيل السابع، اضطر الى طلب المساعدة العسكرية من سليمان بن قتلمش الذي لم يتردد في الاستجابة لطلب الاباطرة البيزنطيين وقادتها العسكريين في آن واحد، بغية توسيع نفوذه نحو الغرب حتى وصل الى مدينة نيقية واتخذها عاصمة له[2].

واضطر الامبراطور الكسيوس كومنين الى تحسين علاقاته مع سليمان بن قتلمش وطلب مساعدته العسكرية. فبعد ان اعترف به سلطانا على معظم بلاد الاناضول، عقد معه اتفاقاً، قدم بموجبها الجزية للسلطان سليمان، تجنباً لمواجهته، على امل ان يوجه سليمان نشاطه العسكري نحو جنوب بلاد الاناضول[3].

وبعد مقتل السلطان سليمان سنة 479هـ/ 1086م، حافظ نائبه ابو القاسم على سلطنة السلاجقة في نيقية ودخل في حرب دفاعية مع البيزنطيين، ولكن عندما تعرض لهجمات سلاجقة المشرق، ساعده الكسيوس، خوفا من خضوع بلاد الاناضول للسلطان ملكشاه، حيث فضل الامبراطور البيزنطي بقاء الاناضول تحت

---

(1) Cahen, Op. Cit ،.p.67 ff

(2) للتفصيل: يراجع الفصل الاول من هذه الرسالة.

(3) Anna comnena, Op. Cit., p. 129-130.

حكم مؤيدي سليمان والامراء التركمان، لكي يستطيع مواجهتهم او تاليب بعضهم ضد البعض الاخر، بدلاً من مواجهة قوة السلاجقة الام والكبيرة[1].

وبعد ان استقر السلطان قلج ارسلان في نيقية سنة 485هـ/ 1092م، اقام علاقات ودية مع الامبراطور الكسيوس واتفق معه ضد امير ازمير جكا الذي كان يهدد القسطنطينية بأسطوله القوي. وقد أدى ذلك الاتفاق الى هزيمة الامير جكا وقتله على يد قلج ارسلان، واوردت الكاتبة آنا بان معاهدة سلام عقدت بين قلج ارسلان ووالدها الكسيوس[2]. وبذلك يكون قلج ارسلان قد ارتكب خطأً استراتيجياً كبيراً، لان جكا كان يعد سنداً قوياً على مستوى العلاقات الخارجية للمسلمين، يقود المجاهدين بحراً للتوسع على حساب البيزنطيين. وادت سياسة قلج ارسلان الودية ازاء البيزنطيين الى توسع نفوذ الكسيوس في آسيا الصغرى.

وعلى الرغم من ذلك لم يستطع الكسيوس اعادة سيطرته على بلاد الاناضول عن طريق الحرب، وظل السلاجقة يشكلون خطراً على البيزنطيين، كما لم تنفع الاساليب السياسية الميكيافلية لالكسيوس في الهيمنة على اسيا الصغرى مرة اخرى، فلم يبق امامه سوى اللجوء الى الغرب، حيث قام باحياء التفاوض مع البابوية والتي بدأها الامبراطور ميخائيل السابع من قبل، كما بعث رسالة سنة 482هـ/ 1088م الى روبرت الاول (امير الاراضي المنخفضة في اوربا) طالباً منه النجدة[3] .

وكان الكسيوس يأمل في الحصول على قوة من المرتزقة الاوربيين ليستعين بها في القضاء على اعدائه؛ لكن البابا دعى الى حرب شاملة ضد المسلمين في الشرق بخطابه المشهور في مجمع كليرمونت الكنسي بفرنسا سنة 488هـ/ 1095م،

(1) ينظر الفصل الاول من هذه الرسالة.

(2) Anna Camnena, Op. Cit., p. 275.

(3) حول نص رسالة الكسيوس الى روبرت الاول ينظر: جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الاولى، (القاهرة: 1967) ص307-309.

فبدأت طلائع الصليبيين العبور الى القسطنطينية[1].

وبعد ان وصل رجال الحملة الصليبية الاولى تحت قيادة بطرس الناسك الى اراضي الدولة البيزنطية، بهدف السيطرة على المشرق الاسلامي والاماكن المقدسة[2]، ساعدهم الكسيوس على العبور الى آسيا الصغرى، ثم تحالف مع امراء الحملة الصليبية الاولى واتفق معهم على اعادة املاك الامبراطورية السابقة له، في حالة الاستيلاء عليها، مقابل قيام الامبراطور بقيادتهم وتزويدهم بالمؤن والادلاء مع فرقة من الفرسان[3].

وعندما حاصر الصليبيون مدينة نيقية سنة 490هـ/ 1097م، ولم يبق امام المدافعين الترك عنها سوى الاستسلام، اتصلوا سراً مع البيزنطيين دون علم الصليبيين، لتسليم المدينة إليهم، شريطة ان يحافظوا على ارواح سكانها واموالهم والسماح لهم بمغادرة المدينة[4]. ووقعت زوجة قلج ارسلان في الاسر، فاظهر الامبراطور احتراماً كبيراً لها وامر برعايتها، ثم ارسلها الى زوجها[5]، بعد ان صحبها معه صهر الامبراطور القيصر حنا دوكاس عند زحفه على مدينة ازمير، لاستغلال وجودها في استسلام المدينة له. وفعلا استسلم اخوها ابن الامير جكا مقابل السماح للمسلمين بالانسحاب نحو الشرق بامان[6].

ويظهر ان الامبراطور الكسيوس أراد إبقاء بعض اوجه العلاقات الحسنة مع السلطان قلج ارسلان وفي الوقت نفسه اراد استغلال الموقف لتحقيق مكاسب عسكرية وطرد السلاجقة من آسيا الصغرى وحقق نجاحاً جزئياً عندما سيطر القيصر دوكاس على ميناء ازمير.

---

(1) للتفصيل: ينظر الفصل الخامس من هذه الرسالة.

(2) Anna comnena, Op. Cit., p. 308 ff.

(3) Ibid, pp. 319- 330.

(4) مؤلف مجهول، اعمال الفرنجة وحجاج بين المقدس، ترجمة حسن حبشي، (القاهرة: 1958)، ص 37.

(5) William of Tyre, Op. Cit., Vol. 1, p. 168, Runciman, Op. Cit., vol. 1, p. 194

(6) Anna comnena, Op. Cit., p. 346

استغل الكسيوس تقدم رجال الحملة الصليبية الاولى الى عمق اسيا الصغرى وانشغال قلج ارسلان والامراء الترك بالتصدي لها، فاعاد السيطرة على المناطق الساحلية الشمالية الغربية، حيث سيطر على مدن ازمير (Symrna) وافسوس (Ephesus) وسارديس (Sardis) ومدن اخرى في اقليم ليديا[1].

ادى اجتياح الصليبين لبلاد الاناضول، الى تقهقر قلج ارسلان نحو الشرق، ثم تحالف مع الدانشمنديين ضد الغزاة الصليبيين والبيزنطيين، كما حصل على مساعدة الكورد[2]ولكن بعد زوال الخطر الصليبي عن قلج ارسلان، استقر في قونية وبدأ يتطلع الى املاك الدانشمنديين، لذلك تقرب من الكسيوس واعاد علاقاته معه، مستفيداً من تردي العلاقات بين الكسيوس والصليبيين ولا سيما الامير بوهيموند النورماندي الذي اسس امارة صليبية مستقلة في انطاكية[3].

ومن جانبه كان الكسيوس تواقاً الى تحسين علاقاته مع قلج ارسلان، في اعقاب تحرر بوهيموند امير انطاكية النورماندي- من اسر الدانشمنديين واعداده للجيوش الصليبية لمهاجمة الدولة البيزنطية[4].

لذلك طلب الكسيوس المساعدة العسكرية من قلج ارسلان، فارسل له خيرة فرسانه واشتركوا في القتال ضد بوهيموند، مما ادى الى هزيمته وخضوعه للشروط التي فرضها عليه الامبراطور الكسيوس[5].

ان المساعدة العسكرية التي قدمها قلج ارسلان لالكسيوس كلفته غالياً فقد خسر على اثرها معاونة الامراء المسلمين له، مما ادى الى اندحاره في المعركة التي اشتبك فيها مع الامير جاولي وغرق في نهر الخابور في شوال 500هـ/ حزيران

(1) Ostrogorsky, Op. Cit., p. 364; Cahen, Op. Cit., p. 86

(2) آقسرائي، مسامرة الاطيار، ص27.

(3) Anna comnena, Op. Cit., pp. 412-17.

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص156؛ ابن الاثير، الكامل، حـ9، ص104؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، حـ5، ص189.

(5) Anna commeena, Op. Cit., p. 417-434.

1107م[1].

وقد استغل البيزنطيون موت قلج ارسلان، وقاموا بمهاجمة المسلمين الترك في الاناضول واستولوا على السواحل البحرية، فاضطر الترك الى الانسحاب نحو وسط الاناضول، فتعقبهم البيزنطيون وارتكبوا بحقهم مذابح شنيعة، فقد قتلوا النساء والاطفال واستخدموا ضدهم كل الوان القسوة والشدة[2]. وبعد سيطرة ملكشاه بن قلج ارسلان على قونية واعادة توحيد صفوف السلاجقة في آسيا الصغرى، بدأ بمهاجمة البيزنطيين، وتوغل في اراضيهم غرباً حتى وصل مدينة فيلادلفيا على بحر مرمرة سنة 505هـ/ 111م، ثم حاصر نيقية سنة 506هـ/ 1112م. واستمر في توسيع سلطته غرباً على حساب البيزنطيين حتى سنة 510هـ/ 1116م، حيث هزم جيشه امام الكسيوس فاضطر على اثرها الى الانسحاب من نيقية وعقد هدنة مع عدوه[3].

ويظهر ان الكسيوس لم يحترم تلك الهدنة اذ سرعان ما بدأ بمهاجمة قونية وتقدم بجيشه نحو الاناضول، الا انه جوبه بمقاومة قوية من قبل التركمان، فضلاً عن صعوبة حصوله على المؤن، لذلك اضطر الى تجديد الهدنة مع ملكشاه والاعتراف بسلطته على بلاد الاناضول، حفاظاً على سلامة انسحابه[4].

وذكرت الكاتبة آنا بان معاهدة سلام عقدت بين ملكشاه ووالدها الكسيوس وبان الامبراطور منح ملكشاه وقادته الاموال والهدايا[5]، مما يدعو الى الاستنتاج بان الكسيوس اضطر الى دفع الجزية لملكشاه اثر هزيمته، مقابل عدم مهاجمته اثناء انسحابه.

---

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص157؛ Cahen, Op. Cit., p.87.

(2) سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، (القاهرة: 1972)، ص122-123. Turan, Op. Cit., p.239.

(3) Anna comnena, Op. Cit., pp. 481-486.

(4) Ibid, p. 487- 488.

(5) Ibid, p. 488.

وفي غمرة تلك الاحداث قام مسعود اخو ملكشاه بالسيطرة على قونية، فاراد الكسيوس استغلال الوضع والتدخل في امر عرش قونية، لذلك عرض على ملكشاه المساعدة العسكرية، لاستعادة السيطرة على عاصمته، الا انه رفض لذلك العرض لانه ادرك بان هدف الكسيوس هو السيطرة على بلاد الاناضول ومد نفوذه الى قونية[1].

ويظهر ان سبب انضمام الامراء الى مسعود ومساعدته في السيطرة على قونية يرجع الى نقمتهم على ملكشاه، بسبب عقده الهدنة مع الامبراطور البيزنطي الذي لم يكن يحترم تعهداته، حتى اصبحت اساليبه السياسية سراً مكشوفاً لدى الترك في اسيا الصغرى.

وعندما انتقل الحكم الى السلطان مسعود سنة 510هـ/ 1116م كان معاصراً له الامبراطور حنا كومنين والذي افتتح حكمه بالعداء للسلاجقة وبدأ بالهجوم على المناطق الغربية لمملكة السلطان مسعود وفتح طريقه الى ميناء أنطالية على البحر المتوسط، عبر الاراضي الخاضعة له سنة 514هـ/ 1120م[2].

وبعد تعرض طغرل شاه امير ملاطية لضغط اخيه مسعود وغازي الدانشمندي، لجأ الى القسطنطينية سنة 518هـ/ 1124م، على امل استعادة سلطته بدعم من الامبراطور البيزنطي، فسيطر السلطان مسعود على المناطق التي كانت تخضع لحكمه[3].

ثم تمرد شاهنشاه (عرب) ضد اخيه مسعود سنة 520هـ/ 1126م، فهرب مسعود من قونية ولجأ الى القسطنطينية، للحصول على مساندة الامبراطور حنا كومنين. وتمكن من استعادة عرش قونية بعد دعم الامير غازي الدانشمندي له ثم لجأ بعد ذلك اخوه عرب الى القسطنطينية[4].

---

(1) Ibid, p. 489
(2) Vasiliev, Op. Cit., Vol. 2, p. 415.
(3) Cahen, La Syrie, Op. Cit., p. 299.
(4) Breheir, Op. Cit., p. 22.

وبدأت صفحة جديدة من العلاقات الحسنة بين سلاجقة الروم والبيزنطيين وعقدت هدنة بين مسعود وحنا كومنين سنة 529هـ/ 1134م، لان الامبراطور البيزنطي كان بحاجة الى كسب ود مسعود، حتى يستطيع التوجه الى كيليكيا لغزو الارمن، ومن جانبه اراد مسعود بتلك الهدنة، قطع الطريق امام البيزنطيين، لمهاجمة قسطموني وانقرة واعادة اخيه عرب الى عرشه(1).

ولم تدم تلك الهدنة طويلاً بين الجانبين، فسرعان ما خرق البيزنطيون الهدنة وبدأ حنا كومنين هجومه، متوغلاً داخل آسيا الصغرى سنة 534هـ/ 1140م، بهدف السيطرة على مدينة نيكسار عاصمة الدانشمنديين اولاً، ثم مهاجمة قونية ثانياً، فحاصروا نيكسار وجوبهوا بمقاومة عنيفة، مما ادى الى طول امد الحصار وتكبد البيزنطيون خسائر كبيرة. وزاد موقف البيزنطيين سوءاً عندما لجأ الامير كسيانوس Cassianus بن اسحق، ابن اخ الامبراطور الى السلطان مسعود حيث ادى لجوؤه الى ارباك صفوف البيزنطيين، واضطر حناكومنين ان يعود الى القسطنطينية، عن طريق البحر، خوفاً من تعرضه الى هجمات السلاجقة. واعلن ابن اخ الامبراطور اسلامه، فزوجه السلطان مسعود من ابنته(2).

وبعد وفاة غازي الدانشمندي سنة 529هـ/ 1134م، بدأ مسعود بتوسيع سلطته على حسابهم نحو شرق الفرات، مستغلاً النزاع بين الاراتقة وعماد الدين زنكي اتابك الموصل، وعدم وجود قوة اخرى تمنعه من التوسع، لذلك اضطر الامراء الدانشمنديون الى التقرب من الامبراطور مانويل. وفي الوقت نفسه بدأ التركمان بالتوغل في غرب الاناضول سنة 538هـ/ 1143م واستعادوا المناطق التي استولى عليها البيزنطيون من السلاجقة، ولم يستطع الامبراطور مانويل ان يرسل الجيش لوقف تقدمهم(3)، فاضطر الى مهادنة السلطان مسعود(4).

(1) Turan, Op. Cit., p. 240.
(2) Grousset, Histoire Des Croisades Et Du Royaume France De Jerusalem, (Paris:1935), Vol. 2, p. 48; Runceman, Op. Cit., Vol.2, p. 219; Turan, Op. Cit., p. 240.
(3) Runciman, Op. Cit., Vol. 2, p. 264-265; Turan, Op. Cit., p. 241.
(4) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 153.

الا ان تلك الهدنة لم تدم طويلاً، فقد هاجم السلطان مسعود المناطق التابعة للبيزنطيين سنة 540هـ/ 1145م وتوغل في غرب الاناضول حتى اقترب من الساحل، فاصبح الطريق من القسطنطينية الى بلاد الشام تحت سيطرته. لذلك اعلن مانويل الحرب على السلطان مسعود بصورة رسمية سنة 541هـ/ 1146م وزحف نحو قونية حتى بلغ ضواحي المدينة، الا ان السلطان مسعود نجح في الدفاع عن عاصمته، واضطر مانويل الى الانسحاب عنها سنة 542هـ/ 1147م، مقترحا على السلطان مسعود عقد الهدنة، على ان يعيد له جميع المناطق التي استولى عليها من بلاده، فوافق السلطان على اقتراحه. وثمة عاملان دفعا مانويل الى الانسحاب هما:-

1. استطاع السلطان مسعود ايقاف تقدمه بعد ان تصدى لهجومه بنجاح، فلم يستطع تحقيق اهدافه العسكرية فمنيت حملته بالفشل.
2. بدأت الحملة الصليبية الثانية بالتحرك واقتربت من القسطنطينية، فخاف مانويل من سقوط عاصمته بأيدي الصليبيين، لذلك اسرع في العودة[1].

ب. العلاقات في عهد قلج ارسلان الثاني:

حاول قلج ارسلان توسيع نفوذه في اسيا الصغرى بالوسائل الدبلوماسية، عن طريق بناء علاقاته مع الامراء المسلمين، على اساس المصلحة المتبادلة، متبعاً الاسلوب نفسه مع القوى غير الاسلامية من بيزنطيين وصليبيين بشكل اوضح. ومنذ تسنمه السلطة، دخل في صراع مع اخيه شاهنشاه امير انقرة وياغي باسان الدانشمندي امير سيواس، محاولاً التوسع على حساب الدانشمنديين كما سبق وان اشير الى ذلك.

ونظراً لدور بيزنطة التاريخي والعسكري والسياسي في المنطقة فانها بدأت بالتدخل في شؤون بلاد الاناضول، مستغلة المشاكل التي واجهت قلج ارسلان في بداية تسنمه السلطة بين 550-554هـ/ 1155-1159م، فاستولى البيزنطيون على

(1) Grousset, Op. Cit., vol. 2, p. 229; Runciman, Op. Cit., vol.2, p. 265-266.

بعض المناطق التي كانت تابعة للسلطان مسعود سابقاً[1].

تازمت العلاقة بين سلاجقة الروم والبيزنطيين سنة 554هـ/ 1159م، بسبب مهاجمة التركمان لجيش مانويل، اثناء عودته من انطاكية، مما ادى الى تجدد الحرب بين الدولتين، بدأها مانويل بمهاجمة السلاجقة، بعد عودته الى القسطنطينية. وتحالف مع ياغي باسان امير سيواس وشاهنشاه، فضلاً عن تحالفه مع الارمن في كيليكيا والصليبيين في سوريا، لذلك اصبح قلج ارسلان في وضع حرج، اضطر على اثرها فتح باب التفاوض مع البيزنطيين واقترح على مانويل عقد الهدنة بين الجانبين[2].

وارسل قلج ارسلان رسالة الى مانويل بشان عقد الهدنة، تعهد فيه بارجاع جميع المدن اليونانية التي استولى عليها السلاجقة منذ عهد قريب وبأنه سوف يحترم الحدود الفاصلة بين الدولتين، وسيمنع التركمان من شن الغارات عبر الحدود، فضلاً عن تعهده بارسال فرقة من جيشه لتقاتل اعداء الامبراطورية متى اقتضت الحاجة لذلك[3].

وعلى الرغم من ان الامبراطور مانويل حافظ على صداقته مع شاهنشاه والذي كان في ضيافته اثناء وصول سفير قلج ارسلان وطلب منه البقاء واكد له بانه سيدافع عنه إذا تعرض لهجوم اخيه، فانه وافق على مقترحات قلج ارسلان السلمية[4].

وهكذا نجح قلج ارسلان بدبلوماسيته الذكية، ان يتجنب دخول الحرب، وجعل الامراء المسلمين الذين عولوا على بيزنطة يشكون في قدرتها على اسنادهم ضده، وان ما ورد في رسالته الى الامبراطور البيزنطي تظهر حنكة سياسة، قل نظيرها لدى الساسة المعاصرين له، لان التعهدات التي قطعها على نفسه امام البيزنطين، كان تكتيكا، بدليل عدم تنفيذه لتلك التعهدات.

(1) Cahen, La Syrie, p. 394.
(2) Cahen, Pre- Ottoman Turkey, p. 101.
(3) Runciman, Op. Cit., vol. 2, p. 356.
(4) Cahen, Op. Cit., pp. 101-102.

ان الظروف الداخلية هي التي اجبرت قلج ارسلان على التوجه نحو القسطنطينية، ليعرض على الامبراطور مانويل عقد هدنة دائمة، لانه كان يدرك تماما دور القسطنطينية السياسي وما تقوم به من دسائس ومؤامرات ضده ولا سيما دعم مانويل لياغي باسان امير سيواس وأخيه شاهنشاه، فضلاً عن وقوف نور الدين زنكي ضده واستيلائه على عدة مناطق في شمال سوريا كانت تعود لقلج ارسلان كما سبقت الاشارة اليها.

لذلك ارسل قلج ارسلان مستشاره النصراني كريستوفر Christopher الى القسطنطينية، لترتيب امر زيارة السلطان للامبراطور مانويل، وادى ذلك الى توقف الاعمال العدائية بين الدولتين صيف سنة 556هـ/ 1161م، وتم تحديد موعد الزيارة في ربيع سنة 557هـ/ 1162م[1].

وصل قلج ارسلان الى القسطنطينية في الموعد المحدد واستقبل استقبالاً رسمياً من قبل الامبراطور مانويل، حيث بقي في ضيافته زهاء ثلاثة اشهر، اطلع خلالها على طبيعة النظام الامبراطوري وراى ما لاباطرة بيزنطة من ثروة ومجوهرات. واشارت المصادر البيزنطية بان منظر قصر الامبراطور وقاعة الاستقبال، ابهرت السلطان حتى انه لم يجرء على الجلوس بجانب الامبراطور، للوهلة الاولى[2].

واقيمت الاحتفالات على شرف السلطان، كما حضر سباق الخيل، وبالغ البيزنطيون في اكرام ضيفهم حيث كانوا يقدمون له الطعام في اواني ذهبية وفضية، ثم تهدى تلك الاواني للضيف. واشارت المصادر البيزنطية بأنه في احد الايام تناول السلطان والامبراطور العشاء معاً، فامر الامبراطور بتقديم جميع الاواني وما أعد من مستلزمات الضيافة هديةً للسلطان، وكانت تشكل ثروة طائلة، تباهى بها الكتاب البيزنطيون كثيراً حتى انهم ذكروا بان السلطان بعد ما عاد الى بلاده ذكر لاصدقائه وخواصه بان ما حصل عليه من هدايا كانت تعد اكبر خسارة

(1) Vasiliev, Op. Cit., vol. 2. P. 427; Ostrogorsky, Op. Cit., p. 390; Runceman, Op. Cit., vol.2, p. 412.
(2) Vasiliev, Op. Cit., Vol. 2, p. 427- 428; Ostrogorsky, Op. Cit., p 390.

للامبراطورية من الناحية الاقتصادية تفوق في خسارتها الجانب العسكري[1].

ان ما ذكرته المصادر البيزنطية مبالغ فيه لانهم ارادوا ان يظهروا تمدن البيزنطيين وكرم امبراطورهم، كما ارادوا ان يجسدوا نظرتهم المسبقة الى سلطان المسلمين واعتقدوا بان هدف السلطان كان الحصول على المال. وهم بتلك النظرة جانبوا الحقيقة، اذ اثبتت الاحداث ان قلج ارسلان لم يكن ذو عقلية بدوية كما تصوره المصادر البيزنطية، بل كان سياسياً محنكاً، وحد بلاد الاناضول، بعد ان قضى على منافسيه من الامراء الترك. وبطبيعة الحال فإن المصادر البيزنطية لن تشيد بنجاح قلج ارسلان في خداع مانويل، مستغلاً سذاجة خططه الرامية الى بسط سيطرته على بلاد الاناضول واخضاع المسلمين في آسيا الصغرى لنفوذه.

وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر في تحليل الموقف الا ان المهم هو ان السلطان وقع اتفاقا مع مانويل ثم عاد الى بلاده، ليتفرغ لمحاربة منافسيه داخل بلاد الاناضول، بعد تحييد مانويل، فتخلص من اخيه والامراء الدانشمنديين، كما اضطر نور الدين زنكي لارجاع المناطق التابعة له في شمال سوريا اليه. ووسع حدود دولته التي امتدت من نهر سقاريا غرباً وحتى نهر الفرات شرقاً[2].

كذلك فقد استفاد الامبراطور مانويل من ذلك الصلح، لانه ضمن طريق الحجاج القادمين من اوربا، مما دفعهم للمجيء الى بلاد الشام وباعداد كبيرة لزيارة فلسطين وادى ذلك الى ارتفاع منزلته في العالم المسيحي[3].

ولم يرغب قلج ارسلان الدخول في حرب مع الروم البيزنطيين، وعندما حذره مانويل من الاستجابة لدعوة نور الدين والتحالف معه من اجل شن هجوم مشترك على انطاكية، تظاهر باخذ تحذيره محمل الجد ولم يستجب لدعوة نور الدين، بسبب انشغاله بتصفية الدانشمنديين وليس خوفا من مانويل[4].

(1) Cahen, Op. Cit., p. 102; Brehier, Op. Cit., p. 213.
(2) Cahen, La Syrie, p. 414; Turan, Op. Cit., p. 243.
(3) Runciman, Op. Cit., vol. 2, p. 357.
(4) Runciman, Op. Cit., vol. 2, p. 357.

وفي سنة 568هـ/ 1173م تم عقد الصلح بين قلج ارسلان ونور الدين زنكي وكان من بين شروطه استمرار السلطان قلج ارسلان بمهاجمة الروم[1]، مما أثار عليه الامبراطور مانويل وطلب منه استفساراً للامر. وقد تمكن السلطان الخروج من ذلك الموقف، ففي الوقت الذي كسب فيه ود نور الدين تمكن من تبرير الموقف للامبراطور مانويل[2]. وبذلك خرج السلطان من الموقف، بسلام ودل على نجاحه السياسي ومقدرته الدبلوماسية.

وقد تغير ميزان القوى في المنطقة بعد سنة 569هـ/ 1174م، في اعقاب وفاة نور الدين زنكي، اذ سيطر قلج ارسلان على سيواس، ولم يبق لذي النون الدانشمندي من يحميه، فالتجأ الى القسطنطينية، لينضم الى شاهنشاه اخي قلج ارسلان، املاً بالحصول على مساعدة الامبراطور مانويل لاستعادة عرشه[3].

ان الوزن السياسي الذي كان يتمتع به قلج ارسلان في بلاد الاناضول، جعل الملك الالماني فردريك بربروسا يرسل سفارة اليه سنة 569هـ/ 1173م، اثناء مهاجمته الممتلكات البيزنطية في ايطاليا، حثه على مهاجمة البيزنطيين. فرد السلطان بالايجاب وطلب تعزيز الموقف السياسي بالموافقة على زواج ابنه الامير من الاميرة الالمانية ابنة الامبراطور الالماني بربروسا. وقد ادى تحسين العلاقات بين قلج ارسلان وبربروسا الى تشجيع الاول، على نقض عهده للبيزنطيين واستأنف هجماته على اراضيهم سنة 570هـ/ 1174م، لتخفيف الضغط على الملك الالماني في ايطاليا[4].

طلب مانويل من قلج ارسلان ان يعيد اليه الاراضي التي سيطر عليها من

---

(1) ابن الاثير، الباهر، ص 62.

(2) Cahen, Pre- Ottoman, p. 103.

(3) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 190.

(4) Brehier, Op. Cit., p. 238; تاوضروس، رومة وبيزنطة، ص268-269؛ حامد زيان غانم، الامبراطور فردريك بربروسا والحملة الصليبية الثالثة، (القاهرة: 1978)، ص28.

البيزنطيين بموجب الاتفاق السابق بينهما، فماطله السلطان وطلب منه مساعدة عسكرية، لغرض فرض سلطانه على مدينة اماسية. وبدلاً من الاستجابة لطلب السلطان، قام مانويل بتعزيز الحصون الحدودية مثل حصن سوبلايوم Sublaeum ودورليوم Dorylaeum. وبدأت استعداداته العسكرية، للقيام بسلسلة من العمليات الحربية ضد المسلمين، بالاشتراك مع الصليبيين في بلاد الشام المتحالفين معه في ذلك الوقت. وعبثا حاول قلج ارسلان تجديد اتفاقه مع مانويل في شتاء 572هـ/ 1176م، حيث ارسل اليه احد افراد عائلة كافراس Gavras الاغريقية، الذي كان في خدمة السلطان، تجنباً لوقوع الحرب، الا ان مانويل بدأ الهجوم ضد سلاجقة الروم سنة 572هـ/ 1176م(1) كما سنوضحه.

معركة ميريوكيفالون (Myriokephalon) (10ربيع الاول572هـ/17ايلول 1176م):

تعد معركة ميريوكيفالون من المعارك الحاسمة في تاريخ السلاجقة لانها ادت الى تثبيت سلطنتهم في اسيا الصغرى، اذ تحولت الاناضول في اعقاب تلك المعركة الى ارض تركية اسلامية، كما انها قضت على حلم الدولة البيزنطية، بطرد السلاجقة من آسيا الصغرى، فضلاً عن انها غيرت ميزان القوى في اسيا الصغرى لصالح المسلمين.

وعلى الرغم من اهمية تلك المعركة، فإن المؤرخين المسلمين لم يشيروا اليها وعليه كادت ان تكون مجهولة لدى العديد من المتخصصين في دراسة التاريخ الاسلامي، علماً بان المصادر البيزنطية اوردت تفاصيل عنها(2).

---

(1) Cahen, Op. Cit., p. 103.

(2) Vasiliev, Op. Cit., vol.2, p.427- 428; Ostrogorsky, Op. Cit., p. 290; وثمة دراسات اسلامية حديثة عن هذه المعركة الا انها تفتقر الى التحليل. ينظر علي محمد علي عودة الغامدي، معركة ميريوكيفاليوم 572هـ/ 1176م من المعارك الحاسمة في التاريخ الاسلامي، مجلة جامعة ام القرى، السنة الاولى؛ العدد الاول، (مكة المكرمة 1409هـ/ 1989م)،ص123؛ زبيدة عطا، الترك في العصور الوسطى، (القاهرة:د/ ت)، ص99-102.

عاصر احداث تلك المعركة عدد من المؤرخين المسلمين، منهم ابن الجوزي والقاضي ابن شداد والعماد الاصفهاني وابن الاثير دون ان يشيروا اليها. وبطبيعة الحال فانهم لم يسمعوا بها او ان المسلمين بصورة عامة لم يدركوا اهميتها، لذلك لم يقوموا برواية اخبارها، وحتى السلطان قلج ارسلان نفسه لم يستثمر الانتصار الذي حققه ووافق على وقف الحرب مع بيزنطة وفق شروط سهلة.

بدأ مانويل هجومه ضد سلاجقة الروم في فصل الربيع، فاستولى على مناطق غرب الاناضول، مما ادى الى تراجع التركمان، وكان السلطان ما يزال يعلق الامال على الدبلوماسية والتي تلاشت، عندما بدأ مانويل هجومه الضخم، متوغلاً نحو الشرق وارسل جيشا الى كبدوكيا تحت قيادة ابن عمه اندرونيكوس فاتاتسيس Andronicus Vatatsis، لاعادة ذي النون الى عرشه. اما مانويل فقاد جيشاً ضخماً بنفسه وتوجه نحو قونية[1].

وعندما سمع قلج ارسلان بالحملة البيزنطية، ارسل سفيراً الى مانويل، يدعوه الى عقد الهدنة الا ان مانويل كما يبدو ادرك تكتيكات السلطان ومناوراته السياسية ولم يكن يثق بوعوده، فرد على سفارة السلطان بان السلام سيكون في قونية[2]، لانه اعتقد بانه يملك من القوة العسكرية اللازمة، لاخراج الترك من الاناضول نهائياً ووقع في الخطأ نفسه الذي وقع فيه رومانوس الرابع قبل اكثر من مائة عام.

استعد السلطان للمقاومة وانسحب من امام الجيش البيزنطي، متبعاً سياسة الارض المحروقة، ساحبا جيش العدو الى المكان الذي يريده، لينقض عليه الترك في الوقت المناسب، بمعنى اخر اصبح مكان وزمان المعركة بيد قلج ارسلان وجيشه[3].

اما جيش اندرونيكوس فتقدم حتى وصل الى مدينة نيكسار، بعد ان واجه

(1) Cahen, Op. Cit., p. 104.
(2) Runciman, Op. Cit., vol. 2, p 412.
(3) Runciman, op, cit; vol. 2, p. 413.

مقاومة عنيفة من الترك وفرض الحصار عليها، الا انها صمدت، بسبب مناعة اسوارها وبسالة المدافعين الترك عنها فبدأ الانهاك يظهر على المهاجمين، كما لاقوا صعوبات في الحصول على المؤن. وادى انسحاب ذي النون من صفوف البيزنطيين واختفائه الى زيادة مخاوف اندرونيكوس وشعر بانه فقد الهدف الذي يحارب من اجله[1].

ويظهر أن ذا النون شعر بحراجة موقفه في تعاونه مع البيزنطيين ضد المسلمين، وادرك بان ذلك يعد خيانة ضد بني قومه ولن يقبل المسلمون به اميراً إذا استعاد عرشه باسناد البيزنطيين، ففضل الانسحاب ثم الاختفاء خوفاً من الوقوع في قبضة قلج ارسلان[2].

هاجم الترك جيش اندرونيكوس وتمكنوا من الحاق الهزيمة به وقد وصف المؤرخ رنيسيمان Runciman تلك الهزيمة بالكارثة، لان الترك شتتوا ذلك الجيش وقتلوا قائده (ابن عم الامبراطور)، ثم ارسلوا راسه الى السلطان دليلاً على نصرهم، مما ادى الى رفع معنويات السلطان وجيشه، فضلاً عن وصول نجدات كثيرة اليه، وبات في وضع يستطيع مواجهة حملة مانويل وايقافها[3].

وقد ادى القضاء على حملة اندرونيكوس الى فشل خطة مانويل التي ارتكنت الى استيلاء ابن عمه على نيكسار ثم الزحف نحو قونية من الشرق، فتصبح عاصمة سلاجقة الروم بين فكي كماشة، يتم الاطباق عليها واقتحامها، وبذلك تنتهي دولة سلاجقة الروم[4].

وعلى الرغم من فشل الحملة على نيكسار وتشتت الجيش البيزنطي، تقدم مانويل بجيشه الضخم مع عرباته نحو قونية[5]، فخرج قلج ارسلان وقاد جيشه

(1) Ibid, vol. 2, p. 413.

(2) الغامدي، معركة ميريو كيفالوم، ص136.

(3) Runciman, Op. Cit., Vol.2, p. 413.

(4) الغامدي، معركة ميريو كيفالوم، ص 137.

(5) Runciman, Op. Cit., p. 213.

باتجاه الشمال الغربي تاركا آق شهر وراءه، واستعد لمواجهة الجيش البيزنطي المهاجم، عند قلعة ميريوكيفالون القديمة، في وادي منحدر وضيق الى الشمال من بحيرة أكردر Egridir[1]. انتظر المدافعون الترك حتى دخل جيش مانويل الوادي، فبدأوا بالتراجع امامه وتظاهروا بالهزيمة حتى دخل جيش مانويل كله الى الوادي الضيق، ثم بدأ الهجوم التركي المباغت من التلال المحيطة بالوادي، حيث انقضوا على مؤخرة الجيش البيزنطي، كما نجحوا في وقف تقدمه، فاصبح جيش مانويل محاصراً[2].

وهكذا بدأ الترك بالانقضاض على الجيش البيزنطي، مما ادى الى حدوث ارباك في صفوفه، فضغطوا بعضهم على البعض في الوادي وعرقلت العربات الثقيلة حركة الجيش ولا سيما الفرسان. فحاول بلدوين الانطاكي صهر الامبراطور اخراج الجيش من ذلك المأزق، لذلك قاد فرقة من الفرسان في هجوم على التلال المحيطة بالوادي، فقتل مع من كان معه[3].

وادى مقتل بلدوين الانطاكي وتلويح الترك برأس القائد البيزنطي اندرونيكوس فاتاتسيس الى انهيار معنويات مانويل، فولى هاربا، وتبعه اكثرية جيشه، حيث بدأ الترك بالانقضاض عليهم، ليحصدوهم حتى حلول الظلام. وكان باستطاعة قلج ارسلان ابادة الجيش البيزنطي واسر الامبراطور، غير انه امر الترك بالتوقف عن القتال ساعد ذلك على بقاء بعض افراد الجيش الامبراطوري على قيد الحياة[4].

وعلى الرغم من احراز قلج ارسلان لذلك النصر الحاسم، فانه بعث رسولاً الى مانويل وعرض عليه عقد الهدنة بين الجانبين وفق شروط سهلة، تتضمن قيام

---

(1) تقع قلعة ميريوكيفالون وبحيرة اكريدر شمال غرب قونية ينظر: Ramsay, Op. Cit., p. 197-198.

(2) Vasiliev, Op. Cit., vol. 2, p. 429.
(3) Ibid, p. 429.
(4) Ostrogorsky, Op. Cit., p. 390.

الامبراطور بانسحاب فوري وتهديم حصني سوبلايوم ودورليوم، فوافق الامبراطور على شروطه وشكر السلطان على تساهله معه وبادر فوراً الى تهديم الحصنين المذكورين. وأمر السلطان ثلاثة من امرائه بمرافقة الامبراطور، لحراسته من هجمات التركمان اثناء انسحابه(1).

كان في مقدور السلطان قلج ارسلان املاء شروط قاسية على الامبراطور البيزنطي مثل اخلاء اسيا الصغرى او اعطائه مرافيء عند السواحل. وجعلت الشروط السهلة التي قدمها السلطان لمانويل الباحثين في حيرة، بدليل عدم وصولهم الى رأي نهائي حول الدافع الذي ادى بالسلطان الى هذا التساهل.

يرى رنسيمان بان السلطان لم يدرك ما احرزه من نصر(2)، في حين يذكر عثمان توران بان السلطان قبل طلب الامبراطور للسلام لاسباب غير معروفة(3). وعلل كلودكاهين ذلك حينما اشار الى ان السلطان كان يريد دعم مركزه في وسط بلاد الاناضول وأن توجهه كان نحو الشرق ليلعب دوراً اساسياً في شمال سوريا واقليم الجزيرة(4)، في اعقاب الفراغ الذي نجم عن وفاة نور الدين زنكي، ولذلك اراد ان يسود الهدوء في الجبهة الغربية(5).

ويظهر ان قلج ارسلان حقق هدفه بعد معركة قصيرة ولم يكن بحاجة الى مزيد من الحرب، لانه كان يريد دائماً ان يحقق اهدافه عن طريق الوسائل الدبلوماسية، فضلاً عن معرفته التامة بان التركمان سيستمرون في الاغارة على المراكز البيزنطية في اسيا الصغرى وسيتم استعادتها دون الحاجة الى مشاركة جيشه النظامي.

ان الكارثة التي حلت بالبيزنطيين تجلت لدى المؤرخ البيزنطي نيكتاس

(1) Vasiliev, Op. Cit., vol.2, p. 429; Turan, Op. Cit., p. 243.
(2) Runciman, Op. Cit., vol.2, p 413.
(3) Turan, Op. Cit., p. 243.
(4) Cahen, Op. Cit., p. 105.

(5) الغامدي، معركة ميريوكيفالوم، ص 140.

Nicetas الذي وصف مشهد المعركة بانه كان مأساويا، اذ ملأت الجثث الوديان وانتشرت بين الاحراش ولم ينج احد دون دموع او نواح او جراح واورد بان احداً لم يـر مانويـل وهـو يـضحك قـط بعـد تلـك المعركـة وحتـى وفاتـه سـنة 576هـ/ 1180م[1].

واذا كان قلج ارسلان لم يستثمر نصره بشكل جيد، فإن غريمه مانويل، ادرك الكارثة التي حلت بالبيزنطيين وشبهها بما حدث للبيزنطيين في معركة ملازطرد سنة 463هــ/ 1071م، لان نتـائج تلـك المعركـة تفـوق في اهميتهـا ونتائجهـا معركـة ملازطرد[2].

ادى انتصار ميريوكيفـالون الى وضـع حـد امـام تـدخل البيـزنطيين في اسـيا الصغرى وتامرهـم علـى سـلطنه سـلاجقة الـروم، ولم يعـد باسـتطاعة البيـزنطيين الادعاء بان المناطق الخاضعة للترك جزء لا يتجزأ من الامبراطورية البيزنطيـة، لأن بلاد الاناضول اصبحت ارضاً تركية في اعقاب تلك المعركة. حيث بدأت المـصادر الغربية تطلق على اسيا الصغرى تسمية بلاد الترك[3].

اصبح الطريق مفتوحاً امام الـسلاجقة للتوغـل اكثـر نحـو الغـرب، بعـد ان تقدمت قوات قلج ارسلان وفتحـت مـدن اولوبولـو Ulubolu وكوتاهيـة واسـكي شهر حتى وصلت الى سواحل بحر ايجة بين 575-576هـ/ 1176-1180م[4].

ومن دراسة الموقف السياسي والعـسكري يبـدو ان ذلـك الانتـصار ارسـى الوحدة السياسية لبلاد الاناضول وبدأ الدين الاسلامي يترسـخ في نفـوس الـترك، فضلاً عن سيادة النظم الاسلامية، فأوجـدت ارضـية مناسـبة للتقـدم الاقتـصادي والثقافي[5].

---

(1) Vasiliev, Op. Cit., vol. 2, p. 429;.158 رستم الروم، حـ2، ص
(2) Ostrogorsky, Op. Cit., p. 391.
(3) Vryonis, Op. Cit., p. 22; Toran, Op. Cit., p. 244
(4) Vasiliev, Op. Cit., vol. 2, p. 430; .141 الغامدي، معركة ميريو كيفالوم، ص
(5) Turan, Op. Cit., p. 244.

كذلك فإن الانتصار في ميريوكيفالون كان له تأثيراً كبيراً على الصليبيين في بلاد الشام، فضلاً عن تاثيره على الدولة البيزنطية التي كانت تساند الوجود الصليبي في بلاد الشام، على الرغم من سوء التفاهم بينهم احياناً[1].

وقد ادرك وليم الصوري خطورة ذلك الانتصار على مستقبل الصليبيين في بلاد الشام، عندما زار القسطنطينية سنة 575هـ/ 1179م وأطلع عن كثب على ما حدث[2]، في حين ان الزنكيين في بلاد الشام لم يشعروا باهمية تلك المعركة بالنسبة لمستقبل الصليبيين في المشرق[3].

تفرغ سلاجقة الروم بعد معركة ميريوكيفالون لشؤون الشرق، وضموا جميع المناطق التي كانت تابعة للدانشمنديين الى دولتهم، ولم يعطوا اية اهمية للدولة البيزنطية او تكوين علاقات، معها بعد ان اصبحت ضعيفة لدرجة ان فردريك بربروسا طلب من الامبراطور البيزنطي الخضوع له[4].

ان معركة ميريوكيفالون ونتائجها تدل على نجاح سياسة قلج ارسلان ودبلوماسيته المرنة، إذ استطاع سحق الجيش البيزنطي باقل الخسائر وكان يدرك تماماً ماذا يفعل، لذلك لم يلجأ الى القوة بل بسط سلطته على معظم اسيا الصغرى دون عناء بين 572-576هـ/ 1176-1180م. ففي الشمال وصل ابنه سليمان الى سواحل البحر الاسود واستولى ابنه مسعود على منطقة انقرة، وفي الوقت نفسه عبر ابنه كيخسرو اولوبولو وتوسع غرباً، فبات انهيار الدولة البيزنطية واضحاً[5].

ولم يكن السلطان بحاجة الى ملاحقة مانويل بعد هزيمته لانه كان يدرك بانه سيحقق اهدافه بشكل تدريجي، فضلاً عن انه اراد الاحتفاظ بقوة جيشه وحيويته ولم يحاول مهاجمة البيزنطيين او استعادة العاصمة القديمة نيقية لمعرفته بانه من

(1) Runciman, Op. Cit., vol.2, p. 414

(2)William of Tyre, Op. Cit., vol.2, pp. 414- 416.

(3) عطا، الترك في العصور الوسطى، ص 102.

(4) Ostrogorsky, Op. Cit., p. 391.

(5) Turan, Op. Cit., p. 245.

الصعب الاحتفاظ بها بسبب موقعها على طريق الحملات الصليبية.

ومجمل القول ان معركة ميريوكيفالون ساعدت على توسيع دولة سلاجقة الروم وانتشار التركمان من حدود بلاد الكرج وحتى سواحل بحر ايجه، فضلاً عن انتشارهم في كيليكيا وشمال الشام، كما تم تثبيت الكيان السياسي التركي، فاصبحت اسيا الصغرى بلاداً للترك منذ ذلك التاريخ وحتى الان.

ج. العلاقات بين سلاجقة الروم والبيزنطيين بين (588- 634هـ/1192- 1237م):

انشغل اولاد قلج ارسلان بالصراع على السلطة بعد وفاة ابيهم وأسفر ذلك الصراع عن سيطرة ركن الدين سليمان الثاني على عرش قونية سنة 593هـ/ 1196م، لذلك اضطر اخوه كيخسرو ان يلجأ الى القسطنطينية في آخر الامر، فاستقبله الامبراطور البيزنطي وتزوج من ابنة احد النبلاء الاغريق وعاش في ضواحي العاصمة البيزنطية كما سبقت الاشارة الى ذلك[1].

استغل البيزنطيون الصراع على الحكم بين اولاد قلج ارسلان، فقاموا بمهاجمة التجار الترك على البحر الاسود وميناء سامسون ونهب اموالهم، لذلك هاجم السلطان سليمان الثاني الامبراطور البيزنطي الكسيوس الثالث (591-599هـ/ 1195-1203م) وهزمه وفرض عليه الجزية[2].

وأشار كلودكاهين الى تحالف مسعود بن قلج ارسلان الثاني مع البيزنطيين، خوفاً من تعرض انقرة لهجوم اخيه سليمان. ويظهر ان سليمان استغل تعرض القسطنطينية لهجوم اللاتين (الحملة الصليبية الرابعة) سنة 600هـ/ 1204م، فهاجم انقرة واستولى عليها، متهماً أخاه مسعوداً بالتحالف مع البيزنطيين ضده[3].

ومن الجدير بالذكر ان البيزنطيين استنجدوا بالسلطان سليمان عندما شدد

(1) ابن الاثير ، الكامل، حـ10، ص 295؛ Cahen, Op. Cit., p. 116.

(2) Turan, Op. Cit., p. 245.

(3) Cahen, Op. Cit., p. 115.

الصليبيون الحصار على القسطنطينية في حملتهم الرابعة[1]، بعد ان ايقنوا بان المدينة ستسقط بايديهم لا محالة. لم يستجب السلطان لدعوتهم[2]، بسبب انشغاله بتوسيع نفوذه نحو الشرق واستعداده لحرب الكرج، كما اعتقد ان من مصلحة المسلمين استمرار الحرب بين الصليبيين والبيزنطيين، حتى لا يتعرض العالم الاسلامي لخطر حملة صليبية جديدة وما ينجم عنها من قتل وتدمير.

ان سقوط القسطنطينية وقيام الامبراطورية اللاتينية[3]فيها (600-659هـ/ 1204-1261م)

كان في مصلحة السلاجقة، لأنه أدى إلى ضعف الدولة البيزنطية وانقسامها الى دويلات من ابرزها الدولة البيزنطية في نيقية وامارة طرابزون على ساحل البحر الاسود.

اقام ثيودور لاسكاريس (600-619هـ/ 1204-1222م) الدولة البيزنطية في نيقية وتزامن ذلك مع وفاة ركن الدين سليمان الثاني ورجوع كيخسرو الى قونية، ماراً بمدينة نيقية كما اشير الى ذلك سابقاً. واضطر كيخسرو ان يعد لاسكاريس باعادة بعض المناطق إليه حالما يستولي على السلطة في قونية، مقابل السماح له بالعودة، كما طالبه لاسكاريس ايضاً بتوقيع معاهدة معه، فوافق كيخسرو على شروط امبراطور نيقية البيزنطي[4]، لانه لم يكن يملك خياراً اخراً.

وبعد سيطرة كيخسرو على الحكم، رأى بان البيزنطيين يشكلون عقبة امام توسع السلاجقة نحو السواحل البحرية[5]، ومع ذلك حافظ على علاقاته الودية مع امبراطور نيقية بين (605-610هـ/ 1205-1209م) وتحالف معه ضد امير

(1) للتفصيل عن هذه الحملة ينظر: ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 288- 289؛
Runciman, Op. Cit., London 1955, vol.3, p. 107 ff.

(2) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 289.

(3) حول الامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية ينظر:
Diehl, Op.Cit., p.19ff; Vasiliev, Op.Cit., vol.2, p.506ff; Ostrogorsky, Op. Cit., p. 418ff.

(4) Ostrogorsky, Op. Cit., p.429.

(5) Ibid, p. 429.

طرابزون الكسيوس كومنينوس، بسبب تهديد الاخير الطرق التجارية الى البحر الاسود ومهاجمته للتجار، فاضطر كيخسرو الى مهاجمته والحق به الهزيمة سنة 604هـ/ 1206م وفتح الطريق الى ساحل البحر الاسود[1].

وبعد فتح الطريق الى ساحل البحر الاسود، اراد كيخسرو الوصول الى سواحل البحر المتوسط ايضا، واستفاد من النزاع بين نيقية والقسطنطينية في الاستيلاء على مدينة انطالية سنة 604هـ/ 1207م[2].

وكان الامبراطور لاسكاريس يشكل عقبة امام توسع سلاجقة الروم نحو سواحل بحر ايجه، لذلك عقد كيخسرو اتفاقاً سرياً مع الامبراطورية اللاتينية سنة 612هـ/ 1209م بوساطة فينيسيا (مدينة البندقية) والتي لم يخف امرها على لاسكاريس، ولذلك تحالف مع امير ارمينيا الصغرى ليو الثاني، لانه اصبح هو الاخر مهدداً من قبل سلطان قونية[3].

زاد التوتر بين سلاجقة الروم وامبراطورية نيقية البيزنطية عندما لجأ الكسيوس الثالث الى قونية وناشد كيخسرو لكي يساعده من اجل استعادة عرشه. وراى كيخسروا في ذلك فرصته، لبسط نفوذه على كل اسيا الصغرى، لذلك ارسل إنذاراً الى ثيودور لاسكاريس بالتخلي عن عرش نيقية لوالد زوجته الكسيوس. رفض امبراطور نيقية انذار كيخسرو، لذلك بدأ هجومه ضد البيزنطيين وانتصر عليهم، الا انه قتل في معركة عند منحدرات انطاكية داخل بلاد الاناضول سنة 609هـ/ 1112م كما سبقت الاشارة الى ذلك. على الرغم من ان تلك الحرب

---

(1) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 321؛ Turan, Op. Cit., p. 246.

(2) بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، (بيروت: 1979)، ص 405.

(3) Ostrogorsky, Op. Cit., p. 429;
فشر، تاريخ اوربا في العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى والباز العريني، (القاهرة: 1950)، ص 246-247.

لم تؤد الى اي تغيير في الحدود لصالح نيقية، الا انها ادت الى تجديد صفحة العداء التقليدية بين السلاجقة والبيزنطيين[1].

تولى كيكاوس السلطة بعد مقتل والده كيخسرو، فاتبع سياسة مغايرة لسياسة والده وتوجه نحو الشرق والجنوب، مع ضمان السيطرة على السواحل البحرية في الشمال والجنوب، لذلك عقد هدنة مع ثيودور لاسكاريس، تعهد بموجبها الجانبان احترام الحدود والمحافظة على السلام، كما ساعده البيزنطيون في نقل رفاة والده كيخسرو، ليدفن في قونية. وتعد تلك الاتفاقية من اهم الاتفاقيات بين سلاجقة الروم والبيزنطيين، لانها حققت السلام لمدة نصف قرن[2].

ضعف البيزنطيون ولم يعدوا يشكلون خطراً يذكر على سلاجقة الروم، حيث لا توجد اية اشارة تشير الى محاولتهم الوقوف بوجه السلاجقة او التدخل في شؤون بلاد الاناضول، فاصبح السلاجقة سادة اسيا الصغرى. اما البيزنطيون فكانوا مشغولين بصراعهم مع امبراطورية القسطنطينية اللاتينية[3]، ويفسر ذلك توقف السلاجقة عن مهاجمة البيزنطيين في عهد كيكاوس وكيقباد.

لم تقتصر العلاقة بين سلاجقة الروم والروم البيزنطيين على الجانب الرسمي بل نشأت علاقات عامة بين الترك وسكان آسيا الصغرى من الاغريق، بحكم الاختلاط والجوار، واصبح للاغريق دور واضح في البلاط حيث خدم العديد منهم السلاطين السلاجقة في قونية بإخلاص. واصبحت قونية ملجأ للامراء اليونانيين الناقمين، وقد سبقت الاشارة الى لجوء الامير كسيانوس ابن اخ الامبراطور حناكومنين الى السلطان مسعود، فزوجه السلطان ابنته، بعد ان اعلن اسلامه[4]، وخدم في بلاط سلاجقة الروم الامير البيزنطي سيناموس (Cinnamus)، الذي ينتمي الى اسرة كابراس والتي تنتمي بدورها الى اسرة كومنين الحاكمة،

(1) Vasiliev, Op. Cit., vol. 2, p. 515.
(2) Cahen, Op. Cit., p. 121.
(3) للتفصيل عن هذا الصراع ينظر: Ostrogorsky, Op. Cit., pp. 444-465.
(4) Vryonis, Op. Cit., pp. 230-231.

فشغل مركزاً مرموقاً في الجيش وقتل في احدى الحملات بعد ان بلغ مرتبة الامراء، وحافظت اسرته على دورها حتى نهاية حكم قلج ارسلان الثاني وبرز منهم الامير الحاجب اختيار الدين حسن بن عفراس (كابراس) الذي اصبح وزيراً ومستشاراً لقلج ارسلان، ثم قتل على يد قطب الدين ملكشاه[1] كما سبقت الاشارة الى ذلك.

كذلك وارتبط سلاطين قونية مع الاغريق بعلاقات مصاهرة حيث تزوج قلج ارسلان الاول من اميرة يونانية كما اشير الى ذلك سابقاً كما تزوج قلج ارسلان الثاني ايضاً من اميرة يونانية[2]، اذ كانت ام كيخسرو اغريقية ودفع ذلك والده الى تعيينه اميراً على المناطق اليونانية حيث استقر في اولوبولو، وتزوج كيخسرو هو الاخر اميرة يونانية كما سبقت الاشارة الى ذلك[3].

ودخل معظم الامراء اليونانيين الذين لجأوا الى سلاجقة الروم الاسلام بدليل ورود اسمائهم في مدونات أوقاف مدينة قونية ومنح بعضهم الارض في ضواحي قونية، كما تولى احدهم امارة اقشهر[4].

واذا كان ذلك الامر ملفتاً للنظر لدى الباحثين الغربيين، فإنه امر طبيعي لدى المسلمين، إذ بدخول الاسلام يصبح الناس سواسيةً ويحق للجميع خدمة الاسلام والعمل على نشره والمساهمة في ادارة الدولة، ويمنح كافة الحقوق التي يتمتع بها المسلمون.

اما الاغريق الذين لم يدخلوا الاسلام وعاشوا في بلاط السلاجقة، فانهم اضطلعوا بدور اساسي في تنظيم علاقة السلطان مع العالم المسيحي واصبحوا سفراءً له، فضلاً عن دورهم الاقتصادي ولاسيما في مجال التجارة. ومن هؤلاء كري الكسيوس Kry- Alexius الذي ارسله السلطان قلج ارسلان الثاني سفيراً الى

(1) Ibid, p. 231.
(2) Cahen, E. I. New ed, vol. 4, p. 816.
(3) Cahen, Pre- Ottoman Turkey, p. 116.
(4) Vryonis, Op. Cit., p. 232.

القسطنطينية سنة 556هـ/ 1161م وكريستوفر Christopher الذي رتب مع البيزنطيين برنامج زيارة السلطان للقسطنطينية سنة 557هـ/ 1162م[1].

كما اصبح للاغريق دور في جيش السلاجقة منذ القرن (7هـ/ 13م) الذي ضم جنوداً مسيحيين من اغريق وفرنج وكرج وارمن، فضلاً عن المسلمين الترك والكورد. وارتفعت نسبتهم في عهد كيقباد الاول[2].

ثانياً: العلاقة مع الارمن في كيليكيا

هاجر آلاف الأرمن الى منطقة كيليكيا بعد ان سيطر السلاجقة على ارمينيا في عهد طغرل بك والب ارسلان في القرن 5هـ/ 11م، واستقروا في المناطق المنيعة والممرات الجبلية الى الغرب من نهر الفرات واسسوا عدة امارات في بداية الامر ثم اتحدت تلك الامارات وتأسست مملكة ارمينيا التي عرفت عند الباحثين باسم ارمينيا الصغرى في القرن 6هـ/ 12م. وبدأ الارمن يلعبون دوراً سياسياً في شمال سوريا، متقلبين في ولائهم بين الروم البيزنطيين والصليبيين من جهة والتبعية للسلاطين والامراء المسلمين من جهة اخرى، للاحتفاظ بكيانهم السياسي[3].

نجح الأمير الأرمني روبين الاول (473-489هـ/ 1080-1095م) في اقامة امارة في كيليكيا واستقل عن بيزنطة منذ سنة 473هـ/ 1080م[4]، والتي عرفت عند المؤرخين باسم ارمينيا الصغرى. ووقفت تلك الامارة ضد البيزنطيين[5]، للاحتفاظ باستقلالها. ومن ناحية ثانية تعاون خلفاؤه مع الصليبيين وساعدوهم في الاستيلاء

(1) Vyronis, Op. Cit, p. 234.
(2) Ibid, p. 233.

(3) رستم، الروم، حـ2، ص 115-116.

(4) بول اميل، تاريخ ارمينيا، ترجمة شكري علاوي، (بيروت د/ ت)، ص31: هيراند باسدر ماجيان، تاريخ ارمنستان، ترجمة محمد قاضي، (تهران: 1369 ش)، ص 235؛
Moss, The History of the Byzantine Empire, (London: 1972), p. 31;

(5) باسدر ماجيان، تاريخ ارمنستان، ص 235.

على انطاكية، كما ارتبطوا مع امارة الرها بعلاقات مصاهرة[1].

كانت لارمينيا الصغرى حدود مشتركة مع سلاجقة الروم، وبطبيعة الحال إتسمت العلاقات بين الجانبين بالعداء وقيام حروب عدة بينهما. فالسلاجقة حاولوا توسيع دولتهم على حساب الارمن علماً بان الارمن نجحوا في الدفاع عن بلادهم خلال القرن 6هـ/ 12م وصمدوا بوجه البيزنطيين وسلاجقة الروم عدة مرات[2]. ويعود سبب ذلك الى مناعة بلادهم وطبيعتها الجبلية الوعرة واقامتهم عدداً من القلاع والحصون الدفاعية، فضلاً عن تطورهم الحضاري وثقافتهم العالية التي ساعدت على تماسكهم وتكاتفهم[3].

وقد حاول الاباطرة البيزنطيون اخضاع اقليم كيليكيا لنفوذهم، بغية تامين الطريق الى مدينة انطاكية، بهدف اعادة السيطرة عليها. لذلك قاد الامبراطور حناكومنين عدة هجمات ضد الارمن، وسيطر على مدن طرسوس وأذنة، ملحقاً الهزيمة بجيش الامير ليو الاول (517-532هـ/ 1123-1137م)[4]. ولم يتدخل سلاجقة الروم في ذلك النزاع لانشغال السلطان مسعود بتثبيت حكمه داخل بلاد الاناضول.

كما حسن حناكومنين علاقاته مع السلطان مسعود وأراد الحصول على مساعدته او تحييده على الاقل، حتى يتفرغ لمهاجمة الارمن في كيليكيا. ونجح الامبراطور فعلا في توجيه ضربة عسكرية الى الارمن سنة 533هـ/ 1138م، حيث قبض على الامير ليو واولاده وارسلهم الى القسطنطينية[5].

(1) المدور، الارمن عبر التاريخ، ص 225-27.

(2) Sadi Kogas, Tarih Boyonca Ermeniler, (Ankara: 1967), p. 34-35.

(3) ادوارد بروي، القرون الوسطى، سلسلة تاريخ الحضارات العام، باشراف موريس كروزيه، ترجمة اسعد داغر وفريد. م داغر، (بيروت: 1965)، حـ3، ص 347.

(4) المدور، الارمن عبر التاريخ، ص228.

(5) رستم، الروم، حـ2، ص 142.

وارسل الامبراطور مانويل حملة عسكرية ضد الامير الارمني ثوروس الثاني (540-563هـ/ 1145-1168م) الذي نجح في صدها، بعد ان استعان الامبراطور بالسلطان مسعود الذي راى في تلك الدعوة فرصته لتوسيع نفوذه في كيليكيا على حساب الارمن، حيث هاجم الارمن مرتين ولكن ثوروس صمد امامه، ومع ذلك اضطر الى التقرب من امير ملاطية الدانشمندي ذي القرنين، حتى يستطيع مواجهة سلطان قونية(1).

وادرك مانويل بانه لا يمكن الاعتماد على سلاجقة الروم او التحالف معهم لاخضاع الارمن لنفوذه، لذلك تحرك للتحالف مع الصليبيين في بلاد الشام لتحقيق هدفه. وفي الوقت نفسه اقام قلج ارسلان الثاني علاقات جيدة مع الامراء الارمن وحاول ان يتحالف مع الامير ثوروس والصليبيين -كما اشير الى ذلك من قبل- لمواجهة نور الدين زنكي. ومع ذلك لم يرق له الحاق الارمن الهزيمة بجيش مانويل خوفاً من زيادة قوتهم وتهديدهم للسلاجقة(2).

وقد استفاد سلاجقة الروم من النزاع بين الدولة البيزنطية والارمن في كيليكيا وحاولوا التوسع على حسابهما واشار باسدر ماجيان Pasdermdgian الى ذلك فاورد بان بيزنطة اتبعت سياسة معادية مع الارمن في كيليكيا،ولم تتعاون معهم لوضع حد امام توسع السلاجقة في اسيا الصغرى، وساعد ذلك السلاجقة في احراز نصر حاسم على البيزنطيين في معركة ميريوكيفالون وتثبيت وجودهم في اسيا الصغرى(3).

وبلغ الامير الارمني ليو الثاني (582- 616هـ/ 1186-1219م)، (أو ابن ليون كما تسميه المصادر الاسلامية) درجة كبيرة من القوة دفعته الى الاعتداء على التركمان الذين دخلوا بلاده، لرعي مواشيهم، فأبلغ قلج ارسلان السلطان صلاح الدين بالامر، مما دعاه الى تجميع قواته في حلب ثم مهاجمة بلاد ليو الثاني سنة

(1) Cahen, la Syrie, p. 390.
(2) Ibid, pp. 391-395.

(3) تاريخ ارمنستان، ص 232.

576هـ/ 1880م فاضطر الاخير ان يطلب الصلح واطلق سراح الاسرى المسلمين[1].

ان رواية ابن شداد توحي بان الارمن كانوا من القوة، ما دفع قلج أرسلان الى طلب تدخل صلاح الدين ويمكن ان نستنتج من الرواية بان قلج ارسلان اراد استأذان صلاح الدين لمهاجمتهم، فلم يرق له ذلك خوفاً من توسع نفوذ سلاجقة الروم وفضل القيام بتلك المهمة بنفسه، ليفرض هيمنته على كافة القوى في المنطقة.

وقام التركمان بنشاط ملموس في منطقة كيليكيا منذ سنة 581هـ/ 1185م تحت قيادة زعيمهم رستم[2]، وتوغلوا في ارمينيا الصغرى وحاولوا الاستيلاء على عاصمتهم مدينة سيس، فتصدى لهم ليو الثاني وهزم اتباع رستم قرب مرعش حيث قتل رستم سنة 584هـ/ 1188م. ولم يكتف ليو الثاني بذلك النصر، بل تقدم نحو الغرب، مستغلاً ضعف سلطة قلج ارسلان الثاني، وهزم جيشه ونجح في توسيع الساحل الارمني على البحر المتوسط[3].

وعلى الرغم من ان ليو الثاني كان موالياً للسلطان صلاح الدين الايوبي وارسل اليه، يخبره عن حملة فردريك بربروسا وتحركات الملك الالماني، فإنه اضطر الى التعاون مع بربروسا وحاول استغلال الوضع الناجم عن مرور الحملة الالمانية عبر أراضي سلاجقة الروم، للتوسع على حسابهم[4]، حيث يشير عثمان توران الى اجتيازه الحدود ومهاجمة سلاجقة الروم[5].

تدخل سلاجقة الروم في النزاع الذي حدث بين ليو الثاني وامارة انطاكية، بعد ان ارسل اميرها بوهيموند الثالث هدايا الى السلطان سليمان الثاني سنة 597هـ/ 1201م للوقوف الى جانبه ضد الارمن، فهاجم السلاجقة الارمن ولكن

(1) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 54.

(2) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 213.

(3) Turan, Op. Cit., p. 244.

(4) باسدرماجيان، تاريخ ارمنستان، ص 248

(5) Turan, Op. Cit., p. 245.

بعد انسحاب الجيش السلجوقي استولى ليو على انطاكية[1].

وبحكم موقع ارمينيا الصغرى الى الجنوب من مملكة سلاجقة الروم، لجأ الامراء المعارضون الى البلاط الارمني لبعض الوقت. فبعد ان فقد كيخسرو الاول عرشه لمصلحة أخيه سليمان، رحل عن قونية ومر بكيليكيا، فاستقبله الامير ليو الثاني واظهر احتراماً كبيراً له وبقي في ضيافته لمدة شهر، قبل ان يتوجه الى ألبستان[2]، ويستنتج من رواية ابن العديم بانه اولى الامير الارمني ثقته، فودع امواله لديه[3]. ومن المحتمل ان السلطان سليمان لما هاجم كيليكيا كان هدفه الحصول على الاموال التي اودعها كيخسرو لدى الامير ليو الثاني.

وبعد رجوع كيخسرو الى عرش قونية، بعد وفاة سليمان، بدأ بمهاجمة كيليكيا سنة 605هـ/ 1209م، فاستولى على عدد من قلاع الارمن، وطلب النجدة من حليفه الايوبي الظاهر ملك حلب، لذلك اضطر ليو الثاني ان يطلب من الملك العادل التدخل، الذي طلب من كيخسرو والملك الظاهر الانسحاب من بلاده، فقبل كيخسرو وساطة الملك العادل وانسحب من كيليكيا بعد ان فرض على ليو الارمني بعض الشروط، منها: ان يرد المال الذي ودعه لديه في عهد اخيه سليمان، وان يطلق سراح الاسرى المسلمين لديه، والا يتعرض لمملكة حلب، وان يمتنع عن مهاجمة انطاكية[4].

وسبقت الاشارة الى تحالف ليو الثاني مع امبراطور نيقية ضد سلاجقة الروم، رداً على قيام التحالف بين كيخسرو ولاتين القسطنطينية، لذلك هاجم كيخسرو الارمن لتفتيت ذلك التحالف وإزالة الخطر في الجنوب، ليتفرغ لحرب

(1) Cahen, La Syrie, p. 626.

(2) ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص 8-9.

(3) زبدة الحلب، حـ3، ص 160.

(4) نفسه، حـ3، ص160؛ ابن واصل، مفرج الكروب، حـ3، ص 187؛ ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، حـ3، ص111.

امبراطور نيقية في الغرب[1].

استغل ليو الثاني اضطراب الوضع في الاناضول، في اعقاب مقتل كيخسرو سنة 607هـ/ 1211م فاجتاز الحدود وهاجم مدينة قيسارية ونهبها[2]، لذلك بدأ السلطان كيكاوس الاول بمهاجمة ارمينيا الصغرى سنة 613هـ/ 1215م واستولى على قلعة لؤلؤة، فعاد ليو الثاني مسرعاً من انطاكية الى بلاده، للدفاع عنها ضد كيكاوس[3]. وكان الاخير قد نسق عملياته العسكرية ضد الارمن مع الملك الظاهر كما اشير الى ذلك من قبل[4].

وأورد ابن بيبي تفاصيل ذلك الهجوم[5]، فبعد ان يشير الى استعدادات السلطان العسكرية، يفهم من كلامه بان كيكاوس طلب من ليو الثاني دفع الجزية وارسل عماله لجبايتها من سكان مدينة سيس عاصمة ارمينية الصغرى، فرفض الارمن دفعها. وانتظر السلطان مجيء فصل الربيع، ثم بدأ بمهاجمة قلاع الارمن، فحاصر قلعة خنجين حتى أجبرها على الاستسلام دون قتال، ثم استولى على قعلة كانجين، بعد ان ضربها بالمنجنيق[6].

واشار ابن بيبي الى الصعوبات التي واجهها جيش كيكاوس، للسيطرة على منطقة كيليكيا المنيعة، كما اشاد ببسالة الفرسان الكورد في جيش كيكاوس ودورهم في المعركة، لانهم نجحوا في انقاذ احد امراء الجيش بعد محاصرته[7].

وبعد ارسال القوات الاستطلاعية وجمع المعلومات عن بلاد الارمن ومسالكها، هاجم كيكاوس الارمن وهزمهم، لكن ليو الثاني تمكن من الهرب، ثم

(1) Ostrogorsky, Op. Cit., p. 429.
(2) Cahen, La Syrie, p. 626.

(3) ابن واصل، مفرج الكروب، حـ3، ص 233.

(4) نفسه، حـ3، ص 234-236.

(5) الاوامر العلائية، ص 224-237.

(6) نفسه، ص 231.

(7) نفسه، ص 232.

انسحب الجيش السلجوقي بعد ان بقي في بلاد الارمن سبعة ايام. واورد ابن بيبي بان انتصار السلطان كان حاسماً وبان جيشه استولى على غنائم كثيرة، مما ادى الى رخص الاسعار، فبيع الثور بدرهمين، وخمسة نعاج بدرهم واحد[1].

وعلى اثر الانتصارات المتكررة التي حققها السلطان كيكاوس على الارمن اضطر ليو الثاني ان يرسل سفارةً الى كيكاوس وعرض مضاعفة الجزية المفروضة عليه، بعد ان قدمت للسلطان هدايا كثيرة، تضمنت كميات من الذهب والفضة والجواري والخيول. فوافق السلطان على عقد الهدنة معه وفق الشروط التالية:-

أ. ان يعلن ليو الثاني تبعيته للسلطان.

ب. مضاعفة مقدار الجزية التي كان عليه دفعها وبلغت (20) الف دينار.

ج. تقديم (500) فارس سنوياً.

د. ارجاع عاصمته مدينة سيس في حالة تنفيذه شروط السلطان[2].

وارسل السلطان كيكاوس الامير ضياء الدين قرا ارسلان لاخذ الجزية من الامير الارمني، فدفع له عشرة الاف دينار، على ان يدفع ما تبقى بذمته بعد مرور ستة اشهر. وبعد ان رجع ضياء الدين واخبر السلطان بتنفيذ ليو شروط الهدنة، امر باطلاق سراح الامراء الارمن الاسرى[3].

وبلغت دولة سلاجقة الروم قمة مجدها في عهد كيقباد الاول الذي اصبح سيد اسيا الصغرى دون منازع واجبر امبراطور نيقية البيزنطي وامير طرابزون واميري ارمينيا ليو الثاني وهيثوم الاول (623-669هـ/ 1226-1270م) على التبعية له اذ وضعوا قسماً من جيوشهم تحت تصرف السلطان وقت الطلب[4].

ولم يكن الوضع مستقراً على الحدود الجنوبية عندما تولى كيقباد السلطة،

(1) نفسه، ص 235.

(2) الاوامر العلائية، ص 236.

(3) نفسه، ص 237.

(4) Teachner, Op. Cit., p. 747.

لذلك امر السلطان بالسيطرة على مناطق غرب كيليكيا سنة 618هـ/ 1221م، بعد ان تلقى طلبا من امير انطاكية فيليب بوهيموند ليساعده ضد الارمن، فاستولى السلاجقة على منطقة جانجين Djenjin من ارمينيا الصغرى[1].

واستغل كيقباد ضعف مملكة الارمن بعد موت ليو الثاني، فانتدب لفتح بلاد الارمن الامير مبارز الدين جاولي، الذي نجح في الحاق الهزيمة بالارمن والصليبيين الذين جاؤوا لنجدتهم، واستولى على العديد من قلاع ارمنية، لذلك اضطر الارمن الى طلب عقد الصلح، ووافق السلطان على طلبهم شريطة ان يرسلوا سنوياً الف فارس، للمشاركة في حملات السلطان العسكرية مع مضاعفة الجزية، فضلاً عن ضرب النقود في بلادهم باسمه[2].

وسبقت الاشارة الى سك النقود في ارمينيا الصغرى باسم السلطان كيقباد، حيث تم العثور على قطع من المسكوكات في كيليكيا، نقش على احدى جهتيها اسم السلطان كيقباد وعلى الجهة المقابلة اسم الامير الارمني هيثوم الاول[3]. ويدل ذلك على تبعية الاخير وخضوعه للسلطان السلجوقي.

يظهر مما سبق ان العلاقة بين سلاجقة الروم والارمن في كيليكيا اتسمت بالعداء، وبأن الأرمن حافظوا على وجودهم، على الرغم من تعرض بلادهم لهجمات السلاجقة المتكررة، بسبب مناعة بلادهم وطبيعتها الجبلية الوعرة، فضلا عن اجادتهم فنون القتال ولا سيما الدفاعية حيث اقاموا عدداً كبيراً من القلاع الحصينة. وساعدتهم ثقافتهم وتطورهم الحضاري على تحقيق ذلك الانجاز، فضلاً عن اجادتهم دبلوماسية العصر، حيث استعانوا بالمسلمين في بلاد الشام وقت الشدة ولا سيما نور الدين زنكي وسلاطين ال ايوب لحمايتهم. وفي عهد قوة سلاجقة الروم، اضطروا الى اعلان الخضوع ودفع الجزية لهم، للاحتفاظ ببلادهم.

---

(1) Cahen, la Syrie, p. 632.

(2) ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص 140-141.

(3) Cahen, Pre- Ottoman Turkey, p. 133; Gordlevsky, Op. Cit., TOM I, p. 59.

ثالثاً: العلاقة مع الكرج:

كان الكرج[1] يشنون الغارات على المدن والممالك الاسلامية في اذربيجان وارمينيا كلما سنحت لهم الفرصة. وبحكم مجاورتهم وموقع بلادهم في شمال شرق اسيا الصغرى، توغلوا مرات عديدة نحو الغرب، ليشنوا الغارات على مدن ارجيش وملازطرد واخلاط. وازدادت تلك الغارات في عهد ملكتهم تامارا (580-609هـ/ 1182-1212م)[2].

وبدأ السلاجقة يتوسعون شرقاً منذ عهد قلج ارسلان الثاني، فاصبح لزاماً عليهم مواجهة الكرج، بغية وضع حد لغاراتهم المتكررة على مناطق شرق الاناضول اولاً، ثم لضم تلك المناطق الى سلطتهم والانطلاق منها لمهاجمة الكرج في عقر دارهم ثانياً.

والمعروف عن السلطان قلج ارسلان الثاني، لجوئه الى الوسائل الدبلوماسية لتحقيق اهدافه، بما فيه توسيع حدود الدولة. من ذلك المنطلق حاول بناء علاقات مع الممالك النصرانية المجاورة. وأشار ابن بيبي بان ملكة الكرج تامارا طلبت من قلج ارسلان الثاني ارسال ابنه ركن الدين سليمان، ليصبح بعلها، على امل ولادة ابن منه يرث عرش الكرج[3].

ويظهر ان قلج ارسلان اراد الاستجابة لطلب ملكة الكرج، حتى يستطيع مد نفوذه الى بلادهم، حسب اعتقاده. ولما عرض الامر على ابنه سليمان المعني بالامر، غضب ورفض تنفيذ رغبة ابيه وعاتبه، ثم اخبره بانه يحق له عدم اطاعته

---

(1) يقع بلاد الكرج (جورجيا) شمال شرق اسيا الصغرى. للتفصيل انظر: ياقوت، معجم البلدان، حـ4، ص 446؛ ابن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين، (بيروت: 1988)، ص 78.

(2) للتفصيل عن هذه الغارات ينظر: ابن الاثير، الكامل، حـ9، ص 457-458؛ حـ10، ص 283-294، ص297-298، ص 320-321، ص 330، ص 345.

(3) الاوامر العلائية، ص 99-102.

إذا كان في الامر معصية الله تعالى، وذكر له بانه لا يحق له ارسال ابنه الى دار الكفر، ليمارس الفسق والفجور. ولام والده حينما اخبره بانه يريد تحقيق اطماعه في بلاد الكرج عن طريق فرض زواج سياسي عليه، لذلك اقترح عليه ان يسمح له بغزو بلاد الكرج ونشر الاسلام فيها، فاقتنع قلج ارسلان بذلك الجواب واعتذر لابنه[1].

كان ركن الدين سليمان على صواب في عدم الزواج من ملكة الكرج وادرك بانه إذا ذهب الى بلادها سيصبح عبداً لها وسيصبح عاجزاً ان يفعل اي شيء في دار الكفر بمفرده. ويظهر انه كان لذلك الحادث تأثير عليه، فصمم على غزو بلاد الكرج ونشر الاسلام فيها، عندما تولى السلطة.

استعد السلطان سليمان الثاني لمهاجمة الكرج، فجمع جيشاً كبيراً، حيث انضم اليه صهره فخر الدين بهرام شاه امير ازربجان، واخوه مغيث الدين طغرل شاه امير ارزن الروم. وقد انطلق السلطان من ارزن الروم وتوغل في بلاد الكرج سنة 598هـ/ 1202م، فاستعد الكرج لمواجهته[2].

وأشار ابن بيبي الى انتصار السلطان في بداية المعركة، لكن قدم فرس السلطان دخل في حجرة فأر وكبى الفرس، مما ادى الى سقوط جتر[3] السلطان، فظن المسلمون ان السلطان اصيب، فانهزموا، لذلك انقلب النصر الى هزيمة، واسر الكرج عدداً كبيراً من المسلمين، بمن فيهم فخر الدين بهرام شاه امير ارزنجان. فأضطر السلطان ان ينسحب الى ارزن الروم، وبعد ان جمع فلول جيشه، رجع الى قونية[4].

وأورد مؤلف مجهول بان السلطان فقد (20) الفا من جنوده، معظمهم وقعوا

(1) الاوامر العلائية، ص 101-102.

(2) نفسه، ص 103-105.

(3) الجتر هي المظلة التي تحمل على راس السلطان: ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، حـ4، ص 6-7.

(4) الاوامر العلائية، ص 106؛ Gordlevsky, Op. Cit., p. 58.

في اسر الكرج[1]، لذلك فكر باخذ ثاره منهم، واعد حملة اخرى لغزو كرجستان، الا ان المنية عاجلته قبل الشروع بمهاجمتهم[2].

هاجم الكرج المناطق التابعة لاخلاط سنة 601هـ/ 1204م، وتوغلوا في شرق الاناضول حتى اقتربوا من ارزن الروم. ومن اجل مواجهتهم وطردهم، تحالف محمد بن بكتمر (594- 603هـ/ 1198-1206م) امير اخلاط مع طغرل شاه امير ارزن الروم، فهزموا الكرج وقتلوا عدداً كبيراً منهم بمن فيهم قائد جيشهم، كما وقع اعداد منهم في الاسر وغنم المسلمون معسكرهم[3].

ويظهر انه اصبح للكرج دور في احداث العالم الاسلامي. ففي سنة 607هـ/ 1210م تكون تحالف مضاد ضد الملك العادل، عندما حاصر سنجار، ضم اتابك الموصل واتابك اربل والملك الظاهر وامير الجزيرة وكيخسرو سلطان الروم. وارسل المتحالفون الى الكرج يدعونهم الى مهاجمة اخلاط، لانها كانت تابعة للملك العادل ووعدوهم بالتعاون معهم. وراى الكرج في تلك الدعوة فرصتهم للسيطرة على اخلاط، فاستجابوا لهم وهاجموا مدينة اخلاط، الا انهم هزموا على يد الملك الاوحد الايوبي بن العادل واسر قائدهم المدعو ايواني. واطلق الملك الاوحد بعد ذلك سراح ايواني مقابل (200) الف دينار، على ان يطلق سراح الفي اسير مسلم، مع تسليم (21) قلعة حدودية للملك الاوحد وان يزوج ابنته من اخيه الملك الاشرف، كما فرض عليه ان يرسل الجيش لمعاونة الملك الاوحد وقت الحاجة[4].

---

(1) تاريخ الرهاوي المجهول، ص 242.

(2) ابن بيبي، الاوامر العلائية، ص 151-152.

(3) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 297-298؛ ابن الساعي الخازن، الجامع المختصر، حـ 9، ص 151-152.

(4) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص 75؛ الذهبي، تاريخ الاسلام (الطبقة الحادية والستون 601-610هـ)، ص258-259؛ ابن كثير، البداية والنهاية، حـ13، ص 56-57.

ادت هزيمة الكرج الى تفتيت الحلف المعادي للملك العادل، فقد بدا المتحالفون بمراسلته، مبدين الاعتذار له، وحاول كل واحد منهم ان يضع وزر انضمامه الى التحالف المضاد له على عاتق الاخرين، فقبل الملك العادل اعذارهم وتصالح معهم(1).

وأشار ابن الاثير بان امير ارزن الروم السلجوقي مغيث الدين طغرل شاه، ارسل اكبر ابنائه الى بلاد الكرج سنة 620هـ/ 1223م وامره ان يتنصر حتى يستطيع الزواج من ملكتهم. وبعد ان تم الزواج اذلته الملكة وحجرت عليه(2).

ويرجع سبب ذلك التصرف المشين الى خوفه من ابن اخيه كيقباد الذي اتبع سياسة مركزية، تستهدف ضم جميع الامارات في بلاد الاناضول لسلطته، لذلك تقرب عمه طغرل شاه من الكرج وتحالف معهم وارسل ابنه للزواج من ملكتهم حتى يستطيع الاحتفاظ بامارته امام اطماع ابن اخيه كيقباد، فضلاً عن التخلص من غارات الكرج عن طريق اقامة مصاهرة معهم.

لم ينس سلاجقة الروم انضمام الكرج الى جلال الدين منكبرتي وتحالفهم معه، لذلك قرر كيقباد مهاجمتهم، فامر قائده كمال الدين كاميار ان يبدأ عملياته العسكرية ضدهم. وأشار ابن بيبي الى توغل جيش السلاجقة في بلاد الكرج واستيلائه على ثلاثين قلعة من قلاعهم خلال اسبوع. وباتت مقاومة الكرج ضعيفة، لذلك طلبت ملكتهم رسودان (Russudan) من السلطان عقد الهدنة، مقابل اعلان خضوعها له، بدفع الجزية، كما اقترحت قيام مصاهرة سياسية بزواج ولي العهد كيخسرو الثاني من ابنتها(3)، حفيدة طغرل شاه(4)، فوافق السلطان على

(1) نفسه، حـ13، ص 57.

(2) الكامل، حـ10، ص 437؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، حـ6، ص 63.

(3) تواريخ ال سلجوق، ص 184.

(4) Cahen, Op. Cit., p. 130-131.

طلبها وامر جيشه بالانسحاب من طرجستان[1].

ويعود سبب ضعف الكرج وعدم قدرتهم على مواجهة سلاجقة الروم في تلك الفترة الى تعرض بلادهم للتدمير، نتيجة تعرضهم لهجمات الخوارزميين والمغول، مما ادى الى انهاكهم، ولم يعد بمقدورهم مواجهة جيش كيقباد القوي.

وهكذا فإن العلاقات بين سلاجقة الروم والكرج اتسمت بالعداء ويرجع سبب غزو السلاجقة لبلادهم الى قيامهم بشن الغارات على بلاد الاناضول وقتل المسلمين ونهب اموالهم، الا انهم لم يستطيعوا اخضاع بلاد الكرج لحكمهم بسبب طبيعة بلادهم الجبلية ومناعة قلاعهم، فضلاً عن بعدها من مركز سلطنة الروم، لذلك كان ارسال الحملات ضدهم ليس بالامر السهل، خاصة وأن الحصول على المؤن في بلاد جبلية بعيدة كان صعباً.

وبعد ضعف الكرج في اعقاب تعرضهم لهجمات الخوارزميين والمغول، لم يعد في طاقتهم شن الغارات على المسلمين في اسيا الصغرى واضطروا الى اعلان خضوعهم لسلاجقة الروم لبعض الوقت في عهد كيقباد.

رابعاً : العلاقة مع امارة طرابزون

قامت امارة طرابزون سنة 600هـ/ 1204م على ساحل البحر الاسود واصبح ميناء طرابزون[2] الساحلي مركزاً لها. اسس تلك الامارة الكسيوس ودافيد (داود) احفاد الامبراطور اندرو نيكوس من ال كومنين[3]، وتزامن قيامها مع سيطرة اللاتين على القسطنطينية وانتقال مركز الامبراطورية البيزنطية الى داخل اسيا الصغرى، حيث اصبحت مدينة نيقية عاصمة لها.

---

(1) ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص 185.

(2) يقع هذا الميناء على الساحل الجنوبي الشرقي من بحر القرم (البحر الاسود) ينظر: ابو الفدا، تقويم البلدان، ص393.

(3) Ostrogorsky, Op. Cit., p. 371.

فبعد عزل اندرونيكوس سنة 581هـ/ 1185م[1]، ارسل حفيداه الكسيوس ودافيد الى بلاد الكرج، حيث اشرفت الملكة تامارا على تربيتهم، ثم ساعدتهم في الاستيلاء على طرابزون. تولى الكسيوس امارة طرابزون واصبح اخوه اميراً على ميناء سينوب الذي كان اكثر نشاطاً من الكسيوس، حيث تقدم غرباً حتى وصل ميناء سامسون، متحديا سلاجقة الروم والامبراطورية البيزنطية في نيقية واعلن تبعيته للامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية[2].

وكان داود قد استغل وفاة ركن الدين سليمان وتولي قلج ارسلان الثالث السلطة في قونية وما رافق ذلك من اضطراب الوضع الداخلي لسلاجقة الروم، فسيطر على ميناء سامسون وقطع طريق التجارة بين بلاد الاناضول وبلاد الروس براً وبحراً، مما اضر بالتجارة، اذ لم يستطع تجار الشام والعراق والجزيرة الذين تمركزوا في سيواس من الحصول على البضائع التي يحتاجونها[3].

وبعد استقرار كيخسرو الاول على عرش قونية، قرر مهاجمة امراء طرابزون، لاعادة فتح طريق التجارة، بعد ان تحالف مع ثيودور لاسكاريس امبراطور نيقية البيزنطي، والحق الهزيمة بامير طرابزون سنة 602هـ/ 1206م واستعاد ميناء سامسون، وبذلك ضمن الوصول الى ساحل البحر، فعاد التجار الى مزاولة نشاطاتهم[4].

ويفهم من تحليل المصادر الاسلامية ان امير طرابزون وقع في اسر كيكاوس، فاعلن تبعيته للسلطان، بما فيه دفع الجزية كما تنازل للسلطان عن مناطق كثيرة وقلاع عديدة[5]. وكان ذلك يعني سيطرة السلاجقة على سواحل البحر الاسود

(1) رستم، الروم، حـ2، ص 161.

(2) Ostrogorsky, Op. Cit., p. 263; Cahen, op, cit, p. 117

(3) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 321.

(4) Cahen, Op. Cit., p. 117.

(5) ذكرت المصادر الاسلامية بان ملك الروم الاشكري وقع في اسر كيكاوس وتعتقد بانه امبراطور نيقية. ينظر: ابن واصل، مفرج الكروب، حـ3، ص 225؛ ابو الفدا، المختصر، حـ3، ص 116؛=

وتحكمهم في التجارة.

ولم يكن ميناء سامسون يسع لتجارة بلاد الاناضول النشطة، لذلك صمم كيكاوس على توسيع المنطقة الساحلية فخطط للاستيلاء على ميناء سينوب، ودبر اسر اميرطرابزون، فاصبح رهينه بيده استخدمه وسيلة في الاستيلاء على ميناء سينوب الحصين دون اراقة دماء[1].

واصبح ميناء سينوب مركزاً تجارياً هاماً للترك على البحر الاسود، حيث استقروا فيه، وشجعهم السلطان كيكاوس على شراء الاراضي، كما سمح للتجار اليونانيين بمغادرة المدينة وبيع ممتلكاتهم. وحول السلطان سينوب الى مدينة اسلامية، حيث ارسل اليها علماء الدين والخطباء والقضاة وامر ببناء الجوامع، فضلاً عن ترميم اسوار المدينة[2].

واراد السلطان ان يحتفظ ميناء سينوب بأهميته لذلك اعطى الحرية للتجار في مزاولة انشطتهم التجارية كما عين عليها حاكماً من اصل ارمني يدعى هيثوم لخبرته في ادارة الموانيء وتسيير السفن، فضلا عن معرفته التعامل مع التجار النصارى واليونانيين[3].

ادى استيلاء السلاجقة على سينوب الى ضعف امارة طرابزون وتقلص مساحتها ولم يعد بامكان امرائها الاتصال مع الامبراطورية البيزنطية او اللاتينية، ومع ذلك احتفظت مدينة طرابزون باهمية موقعها التجاري واستمر امراؤها في تلقيب انفسهم بامير البحر[4].

=ابن الوردي، تتمة المختصر، حـ2، ص 150؛ المقريزي، السلوك، حـ1، ص179. الا ان الذي وقع في الاسر كان الكسيوس كومنينوس امير طرابزون. ينظر: Cahen, Op. Cit., p. 123; Turan, Op. Cit., p. 246.

(1) ابن بيبي، الاوامر العلائية، ص 210-217.

(2) نفسه، ص 216-17.

(3) Cahen, Op. Cit., p. 123.

(4) Gordlevsky, Op. Cit., TomI, p. 57.

وعنـدما انتقـل عـرش طرابـزون الى انـدرونيكوس الاول اعلـن تبعيتـه للسلاجقة، ثم مال الى جلال الدين منكبرتي وتحالف معه[1]، للتحـرر مـن القيـود التي فرضها السلاجقة عليه. اظهر اندرونيكوس اخلاصه لجلال الـدين وبـدر منـه بوادر التمرد ضد السلاجقة حينما امتنع عـن دفـع الجزيـة[2]، واصـبحت الحـرب وشيكة الوقوع بين الجانبين.

والسبب المباشر لنشوب الحرب يرجع الى لجوء احدى سفن طرابزون وهـي محملة باموال بيزنطة وعلى متنها عدد من النبلاء الى مينـاء سـينوب، اثـر تعرضـها لعاصفة شديدة. وقام حاكم سينوب السلجوقي هيثـوم بالاسـتيلاء علـى الـسفينة وشحنتها وبحارتها واسر من كان علـى متنهـا مـن النـبلاء، كمـا ارسـل هيثـوم في الوقت نفسه الاسطول البحري للاسـتيلاء علـى المـرافيء البحريـة التابعـة لامـارة طرابزون ونهبها. ورداً على اعمال هيثوم، شن انـدرونيكوس هجومـاً علـى مينـاء سينوب واستولى على السفن الراسـية في مينائهـا[3].كـان الـسلطان كيقبـاد يحاصـر ارزنجان حينما وصلت اليه اخبار تمرد امير طرابـزون ضـده، فتحـرك سـريعاً نحـو الشمال الشرقي، متوجهاً نحو مدينة طرابزون سنة 622هـ/ 1224م وفـرض عليهـا حصار بحرياً، فضلا عن الحصار البري، بهدف الاستيلاء على المدينة. وعلى الرغم من ان اندرونيكوس طلب التفاوض مع السلطان وعقد معاهدة سلام معـه الا ان السلطان كان يامل اقتحام المدينة[4].

نجح اندروينكوس في تحصين المدينة والطرق المؤدية اليها، وصادف ان هبـت عواصف قوية وامطار غزيرة، تسببت في حدوث الفيضانات، ممـا ادى الى تـشتيت جيش كيقباد ووقوع احد امرائه في اسر اليونانيين عندما حاول عبور احدى المناطق

(1) Turan, Op. Cit., p. 247.
(2) Gordlevsky, Op. Cit., Tom I, p.59.
(3) Ibid, p. 57.
(4) Miller, Trebizond the last Greek Empire, (London 1920), p. 19;
نقلاً عن: عطا، الترك في العصور الوسطى، ص 122.

المغطاة بالغابات، ففشل الهجوم السلجوقي[1].

واورد الباحث ميلر (Miller) بان السلطان السلجوقي نفسه وقع في الاسر، فاستقبله اندرونيكوس بحفاوة بالغة، وبعد استشارة رجال دولته سمح للسلطان بالعودة الى بلاده بعد ان وقع الجانبان على هدنة جديدة، ارست السلام بينهما، تخلصت بموجبها طرابزون من التبعية لسلطان قونية، وتحررت من تقديم الجند ودفع الجزية[2].

ان ما ذكره ميلر قابل للمناقشة اذ لم يشر أي باحث اخر الى وقوع السلطان كيقباد في اسر امير طرابزون وكان السلطان كيقباد يملك من الجيش والقوة ما يمكنه من الانسحاب في ظل مختلف الظروف، كما ان امير طرابزون لم يكن يملك من الجيش والقوة التي تمكنه اسر السلطان كيقباد.

ويظهر ان ما ذكره ميللر يستند الى الرواية الرسمية لامارة طرابزون فنقلها الباحث دون تمحيص، وان ما ذكره الباحث التركي عثمان توران حول وقوع احد امراء كيقباد في الاسر اقرب للواقع[3].

ادى تقهقر جيش السلاجقة الى تحرر امير طرابزون من تبعية السلاجقة لبعض الوقت، فضلا عن تحالفه مع جلال الدين منكبرتي الذي كان يهدد بلاد الاناضول. الا ان هزيمة جلال الدين سنة 627هـ/ 1230م وسيطرة كيقباد على مناطق شرق الاناضول، دفعت امير طرابزون ان يعلن تبعيته لسلاجقة الروم مرة اخرى، ووافق على دفع الجزية ووضع جيشه تحت تصرف السلطان السلجوقي[4].

ان السياسة التي اتبعها سلاجقة الروم مع امارة طرابزون اليونانية، لا تختلف

(1) Turan, Op. Cit., p. 247.
(2) Miller, Op. Cit., p. 19;

نقلاً عن اعطا، الترك في العصور الوسطى.

(3) Turan, Op. Cit., p. 247.

لم يشر الباحثان كلودكاهين وكردليفسكي الى وقوع سلطان الروم في اسر امير طرابزون.

(4) Grodlevsky, Op. Cit., Tom I, p. 57; Turan, Op. Cit., p. 247.

عن السياسة التي اتبعوها مع امبراطورية نيقية البيزنطية والتي كانت تستهدف ضم اراضيها والتوسع على حسابها ونشر الاسلام بين سكانها، كما حاولوا انهاء تحكمهم في السواحل البحرية والتجارة، فنجحوا في تقليص نفوذها واخضعوها لنفوذهم. وباتت محصورة على شريط ساحلي ضيق حول مدينة طرابزون، بعد ان نجحوا في الاستيلاء على ميناء سينوب، الذي أصبح مقراً للاسطول الحربي السلجوقي، فضلاً عن مركزها التجاري.

الفصل الخامس

موقف سلاجقة الروم من الغزو الصليبي

أولاً: التصدي للحملة الصليبية الاولى

ثانياً: القضاء على الحملة الصليبية الثانية

ثالثاً: سلاجقة الروم وحملة فردريك بربروسا

رابعاً: علاقة سلاجقة الروم بالامارات الصليبية

تمهيد:

ظهرت فكرة غزو العالم الاسلامي لدى البابوية والامراء الاوربيين في اعقاب معركة ملازطرد سنة 463هـ/ 1071م، بسبب سيطرة المسلمين على معظم آسيا الصغرى، واسترجاع مدينة انطاكية سنة 477هـ/ 1085م، فضلاً عن سيطرة السلاجقة على بلاد الشام، حيث اصبح الطريق من اوربا، عبر القسطنطينية الى الاماكن المقدسة في فلسطين، تحت سيطرة المسلمين، مما جعل الغرب المسيحي يفكر بجدية في استخدام القوة، لضمان الوصول الى الاماكن المقدسة والسيطرة على فلسطين وخيرات الشرق[1].

وطلب الامبراطور البيزنطي ميخائيل السابع (463-472هـ/ 1071-1079م) من البابا جريجوري السابع (465-478هـ/ 1073-1085م)، ارسال نجدة اليه لانقاذ الامبراطورية البيزنطية من هجمات السلاجقة، ووعده بازالة الخلاف بين الكنيسة الارثودوكسية الشرقية والكنيسة الكاثوليكية[2].

اتصل البابا بامراء اوربا وشرح لهم ما تعانيه الامبراطورية البيزنطية من ضغط الترك، مما يعرضها للسقوط. فكتب الى هنري الرابع ملك الامبراطورية الرومانية المقدسة (448-498هـ/ 1056-1105م)، وطلب منه تجهيز (50) الف فارس ليتولى البابا قيادتهم بنفسه الى القسطنطينية واقامة قداس فيها، للدعوة الى حرب ضد المسلمين، حتى يتم تحرير قبر السيد المسيح[3]. وحال الصراع بين البابوية والامبراطورية الرومانية المقدسة دون ارسال اية نجدة للبيزنطيين، فلم يبق امام بيزنطة سوى ان تواجه خطر السلاجقة اعتماداً على قواها[4].

ويظهر ان البابا جريجوري السابع كان يريد طرد المسلمين الترك من المناطق التي سيطروا عليها في اسيا الصغرى والتقرب من الامبراطور البيزنطي،

---

(1) Baldwin, Op. Cit., p. 78.
(2) Erdam, Op. Cit., p. 161.
(3) Ibid, p. 169.
(4) Vasiliev, Op. Cit., vol.1, p. 358.

على امل توحيد الكنيستين الارثودوكسية الشرقية والكاثوليكية او اخضاع بطارقة المشرق لنفوذ البابا على الاقل.

وظلت فكرة ارسال نجدة غربية لانقاذ الدولة البيزنطية من السقوط قائمة حيث تم احياؤها في عهد الامبراطور الكسيوس كومنين (474-512هـ/ 1081-1118م)، الذي طلب من البابا اوربان الثاني (481-492هـ/ 1088-1099م) ان يرسل اليه نجدة، حتى يتمكن من اعادة السيطرة على اسيا الصغرى وطرد المسلمين منها[1]

تبادل الكسيوس وبطريرك القسطنطينية السفارات مع البابا بخصوص المسائل الكنسية. وفي سنة 488هـ/ 1095م ناشد الكسيوس البابا ان يرسل قوةً عسكرية للانضمام اليه، حتى يستطيع دفع الترك عن السواحل الغربية من اسيا الصغرى على الاقل[2]

لم يكتف الكسيوس بطلب العون من البابا فحسب، بل ارسل خطابا الى روبرت الاول امير الاراضي المنخفضة في اوربا كما سبقت الاشارة اليه، ذكر فيه ما تتعرض له الامبراطورية البيزنطية من تهديد السلاجقة، بعد سيطرتهم على معظم اقاليم اسيا الصغرى، وطلب منه ان يمده بقوة عسكرية. واشار في خطابه بانه يفضل ان تكون القسطنطينية للاوربيين وليس للترك، كما ذكر ما يوجد في عاصمته من اثار السيد المسيح مثل الصليب الذي صلبَ عليه والسوط الذي ضرب به، لاثارة عواطف المسيحيين ودفعهم للتطوع دفاعاً عن القسطنطينية. ونبه الامير روبرت بانه اذا لم يكن الوازع الديني كافيا لحث الناس على القتال، عليه ان يذكر رجاله ما في كنائس القسطنيطينية من كنوز ذهبية وفضية وحلي واحجار كريمة ومنسوجات. وطلب منه الاسراع في تلبية طلبه، لان خسارة مملكة مسيحية

(1) Erdam, Op. Cit., p. 323.
(2) Baldwin, Op. Cit., p. 219;

اهم من قبر المسيح[1].

يظهر ان الكسيوس كان يعلم جيداً أن هدف الامراء الاوربيين وفرسانهم ليس الدفاع عن المسيحية فحسب، بل الحصول على المال في أي عمل عسكري يقومون به، فاغراهم بكنوز القسطنطينية. ويوضح ذلك الخطاب الدافع الاقتصادي للحركة الصليبية بشكل واضح.

استغل البابا اوربان الثاني الدعوة التي تلقاها من الامبراطور البيزنطي الكسيوس، فدعا ملوك اوربا وامراءها الى حضور مؤتمر عقد في مدينة كيلرمونت بفرنسا في ذي القعدة سنة 488هـ/ تشرين الثاني 1095م وخطب البابا في المجتمعين دعاهم الى حمل السلاح وتحرير قبر المسيح[2].

واراد البابا توحيد صفوف المسيحيين في اوربا في اعقاب تغلغل الفساد بينهم، لانه ادرك بان العقيدة المسيحية تسير نحو التدهور والانحلال على يد الملوك والامراء من جهة ورجال الدين من جهة اخرى، كما اراد ايضاً ان يضع حداً للحروب القائمة بين امراء اوربا وتوجيه جهدهم لحرب المسلمين. لذلك برر دعوته لحرب صليبية، للتخلص من الحرب بين الامراء المسيحيين في اورباوالتصدي للمسلمين الترك في اسيا الصغرى[3]، فضلاً عن غزو العالم الاسلامي والسيطرة على الاماكن المقدسة وتاسيس امارات مسيحية بهدف التحكم والسيطرة على ثروات المشرق الاسلامي واستغلالها[4].

(1) يوسف، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الاولى، ص 307-309.

(2) Gesta Francorum Et Aliorum Hierosolimitanorum, (Paris: 1964), P.2, 4. Histoire Anonyme Dela Premiere Croisade, (Paris: 1964), P. 3, 5;

حسن حبشي، الحرب الصليبية الاولى، (القاهرة: 1947)، ص 101-102؛ مؤلف مجهول، اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص 17-18.

(3) يوسف، العرب والروم واللاتين، ص 310-311.

(4) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، (القاهرة: 1963)، حـ1، ص 27-43.

أولاً : التصدي للحملة الصليبية الاولى

تحرك الصليبيون من غرب اوربا نحو القسطنطينية في جموع ضخمة، حتى كان يخيل لمن يراهم ان العالم كله يتحرك نحو الشرق[1]. وعندما وصلت طلائعهم الى القسطنطينية سنة 489هـ/ 1096م، قاموا بسلب المناطق التي مروا بها ((وكأنهم اسراب جراد))[2].

واطلق الباحثون على تلك الجموع الصليبية حملة الشعوب، التي غلب عليها الفوضى وفقدان التنظيم وغاب عنهم الانضباط. وسبب ذلك هو انضمام عامة الناس اليها وخلوها من الامراء حيث قادهم بعض رجال الدين المتعصبين امثال بطرس الناسك ووالتر المفلس[3].

وصل بطرس الناسك الى القسطنطينية في شعبان 490هـ/ تموز 1096م، فامر الامبراطور الكسيوس تزويد جموعه بالمؤون، ثم نصحهم بان لا يعبروا الى اسيا الصغرى، قبل وصول بقية الجيش الصليبي، لانه كان يعلم بانهم لا يستطيعون مواجهة الترك. ويظهر ان موقف الامبراطور تغير ازاءهم حينما قام اتباع بطرس الناسك باعمال النهب والسلب في كنائسْ القسطنطينية، مما دفعه بتعجيل نقلهم الى اسيا الصغرى، عبر البسفور للتخلص من شرهم[4]. ومن هنا بدأت المواجهات العسكرية بين الصليبيين والسلاجقة كما سنوضحه.

أ. تصدي سلاجقة الروم لحملة بطرس الناسك (489هـ/1096م):

اوردت الاميرة البيزنطية آنا ان حملة بطرس الناسك كانت تتألف من (80) الفٍ من المشاة ومائة الفٍ من الفرسان[5]. ويدل ذلك التقدير على ضخامة الجيوش الصليبية، التي ضمت شعوباً غير متجانسة كان من بين افرادها الالمان

(1) انتوني ويست، الحروب الصليبية، ترجمة شكري محمود نديم، (بغداد: 1967)، ص 42.

(2) Baldwin, Op. Cit., p. 282;

ويست، الحروب الصليبية، ص 42.

(3) Gesta Francorum, Op. Cit., p. 7.

(4) Histoire Anonyme, op, cit, p. 7.

(5) Anna Comnena, Op. Cit., p. 311.

والفرنج واللمبارديين (سكان ايطاليا)، الذين انفصلوا عن بعضهم بعد وصولهم الى نيقوميديا[1].

بدأ الصليبيون الاغارة على الاراضي التابعة للمسلمين الترك حتى وصلوا الى ابواب مدينة نيقية عاصمة سلاجقة الروم[2]. ونجح الالمان تحت قيادة ريجنالد في الاستيلاء على قلعة اكسيرجوردون Exerogordon قرب نيقية وكانت فيها بعض المؤن. وما ان علم قلج ارسلان الاول بوصول الصليبيين قرب نيقية، حتى قام بارسال حملة عسكرية قوية، وصلت الى القلعة التي احتلها الصليبيون في شوال سنة 489هـ/ ايلول سنة 1096م وباشرت بمهاجمة الصليبيين ثم محاصرتهم، فبدأوا يعانون من قلة المؤن وشحة المياه. وقد انهكهم العطش فاستسلموا للمسلمين ودخل قائدهم ريجنالد مع عدد كبير من الاسرى الدين الاسلامي[3].

وصلت اخبار مغايرة تماما للواقع الى معسكر بطرس الناسك حيث شاع بين رجاله ان الالمان استولوا على مدينة نيقية. ويظهر ان اثنين من رجال قلج ارسلان نجحوا في نشر تلك الشائعة وارفقوها بمقولة استئثار الالمان بالغنائم وحرمان رجال بطرس الناسك منها. وقد سرت تلك الشائعة بالانتشار بين الصليبين، فاسرعوا في التحرك نحو نيقية، بعد ان ضغط الجنود على قادتهم، ولم ينتظروا عودة بطرس الناسك (القسطنطينية) الذي كان قد ذهب الى آملاً الحصول على مساعدة الامبراطور الكسيوس[4]. ويدل ذلك على حنكة عسكرية ومقدرة كبيرة لعساكر سلاجقة الروم ونجاحهم في استخدام الدعاية والحرب النفسية ضد خصومهم.

سارت الامور مثلما خطط لها قلج ارسلان، فبعد تقدم رجال بطرس الناسك المنهوكي القوى نحو نيقية، انقض عليهم المسلمون وابادوا القوة المهاجمة التي قدرها المؤرخ الصليبي وليم الصوري بـ(25) الفا من المشاة و (500)

(1) مؤلف مجهول، اعمال الفرنجة، ص 20.

(2) Runciman, Op. Cit., vol. 1, p. 227; Baldwin, Op. Cit., p. 282.

(3) مؤلف مجهول، اعمال الفرنجة، ص 20-21.

(4) Runciman, Op. Cit., vol. 1, p 130.

فارس[1]، عند قرية دراكون Dracon في وادي ضيق مغطى بالغابات، لذا وصفت المصادر الغربية نهاية حملة بطرس الناسك بانها كانت كارثة[2]، كما اشار المؤرخون المسلمون الى انتصار المسلمين على الصليبيين من رجال بطرس الناسك[3].

واستمر المسلمون في ملاحقة فلول الصليبيين والقضاء عليهم، فلم ينج من رجال بطرس الناسك سوى عدد محدود قدر بثلاثة الاف، ساعد تدخل الكسيوس على نجاتهم، اذ تم نقلهم الى القسطنطينية[4]. وكان قائدهم والتر من بين القتلى[5].

نجح سلاجقة الروم في القضاء على حملة بطرس الناسك ووالتر المفلس[6]، وبذلك منعوهم من عبور اسيا الصغرى ومهاجمة المسلمين في بلاد الشام، الا ان الانتصار السهل الذي حققوه على الدفعة الاولى من الحملة الصليبية الضخمة لم يكن في صالحهم على المدى البعيد، لانه ترك انطباعاً لدى قلج ارسلان بان الصليبيين ضعفاء وانه من السهل القضاء عليهم، لذلك لم ياخذ حذراً كافيا ولم يقم باية استعدادات عسكرية لمواجهة حملة الامراء، مما أدى الى هزيمته ونجاح الغزاة في اجتياح اسيا الصغرى والوصول الى الاماكن المقدسة[7].

ب. تصدي سلاجقة الروم لحملة الامراء (490هـ/1097م):

تتابع وصول امراء اوربا الى القسطنطينية مع جيوشهم. وكان من ابرزهم جودفري واخوه بلدوين وريموند وبوهيموند النورماندي مع ابن اخيه تانكرد[8].

---

(1) William of Tyre, Op. Cit., vol. 1, p. 108.
(2) Baldwin, Op. Cit., p. 282- 283.
(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق؛ ص 134؛ ابن الاثير الكامل، حـ9، ص 14.
(4) مؤلف مجهول، اعمال الفرنجة، ص21-22؛ Grousset, Op. Cit., vol.1, p.8.
(5) William of Tyre, Op. Cit., vol.1, pp. 108-110.
(6) Anna Comnena, Op. Cit., pp 331-333.
(7) Oldenbourg, The Crusades, (Newyork: 1965), p. 85-86.
(8) مؤلف مجهول، اعمال الفرنجة، ص 23-28؛
Anonymous Syriac Chronicle, The First and Second Crusades, (J. R. A. S), 1933, P. 70; Grousset, Op. Cit., vol.1, p. 28; Ostrogorsky, Op. Cit., p. 363-364.

وقدر الباحث باركر قوة حملة الامراء بـ(150) الف رجل من المحاربين الاشداء(1).

اسفر اجتماع اولئك الامراء مع الامبرطور الكسيوس عن اتفاق فيما بينهم وتحالف الجميع مع الامبراطور البيزنطي، بعد ان اعترف معظمهم بسيادته ووافقوا على ان يتولى قيادتهم، ثم حلفوا له على ارجاع المناطق والمدن البيزنطية للامبراطور بعد الاستيلاء عليها، على ان يقدم لهم الكسيوس المؤن والات الحصار(2).

غادر الصليبيون القسطنطينية بعد ذلك الاتفاق وعبروا الى اسيا الصغرى وتقدموا عبر نيقوميديا باتجاه عاصمة سلاجقة الروم (مدينة نيقية)، ووصلوا اليها في جمادي الاخرة سنة 490هـ/ ايار 1097م، واكتمل حصارهم للمدينة في 16 ايار(3). وشرعوا بمهاجمة المدينة ودك اسوارها، فارسل سكانها الى قلج ارسلان في طلب النجدة(4).

وكان قلج ارسلان خارج عاصمته، مشغولاً في صراعه مع الدانشمنديين للاستيلاء على مدينة ملاطية ومعه معظم الجيش، تاركاً قوة صغيرة في نيقية لحمايتها، ولم يتوقع تعرض عاصمته لهجوم الصليبيين، بدليل انه ترك زوجته وامواله داخل المدينة(5).

ويظهر انه لم يقدر الخطر الصليبي، لان انتصاره على جموع بطرس الناسك دفعه الى التقليل من خطورتهم، كما ان رجال استخباراته في القسطنطينية اعطوا

---

(1) الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، (القاهرة: 1960)، ص 33.

(2) للتفصيل عن الاتفاق بين الامبراطور البيزنطي والامراء الصليبيين ينظر: مؤلف مجهول، اعمال الفرنجة، ص22-33؛

Grousset, Op. Cit., vol.1, p. 27.

(3) مؤلف مجهول، اعمال الفرنجة، ص 33؛ Runciman, Op. Cit., Vol. 1, p. 178.

(4) مؤلف مجهول، اعمال الفرنجة، ص 34.

(5) Baldwin, Op. Cit., p.288- 289.

صورة غير حقيقية له حول العلاقة بين البيزنطيين والامراء الصليبيين، حيث بالغوا في اظهار النزاع بينهم، ومن المحتمل ان جواسيس الامبراطور البيزنطي ضللوا استخبارات قلج ارسلان، مما جعله يعتقد بان توغل الحملة الصليبية الى داخل اسيا الصغرى سيتأخر[1].

وعندما علم قلج ارسلان بحصار الصليبيين لعاصمته، ارسل اثنين من رجاله اللذين دخلا المدينة عن طريق البحيرة، فشجعا السكان على الاستمرار في المقاومة وابلغوهم رسالة تشجيعية من السلطان جاء فيها:

((يجب عليكم الا تخافوا من مجيء هؤلاء البؤساء والبرابرة الذين قاموا بمحاصرة مدينتكم، فقد اعددت لمجابهتهم قوة كبيرة من الرجال، تضم عدداً من الامراء الاقوياء، كما واني في انتظار قوات اكبر وهي على وشك الوصول، وعندما تتوحد هذه القوات في جيش واحد سنقوم بهجوم مباغت على معسكراتهم [معسكرات الصليبيين]، لهذا يجب ان تستعدوا للقيام بدوركم في الهجوم عليهم. عليكم الا تخافوا من اعدادهم الغفيرة لان قدومهم من اماكن بعيدة في الغرب جعلهم يتحملون مصاعب كثيرة من دون خيول خلال مسيرتهم الطويلة، مما جعلهم يحملون امتعتهم بانفسهم، فهم لا يستطيعون تحمل اعباء المعركة ولا يمكن ان يتساووا معنا في القوة ونحن نتفوق عليهم بسرعة خيولنا التي وصلت للتو. وتذكروا كيف انتصرنا على حشودهم القوية وكيف قتلنا في يوم واحد (20) الفاً اطمأنوا، لا تخافوا فقد اقترب يوم الحسم وسنحصل على الدعم المطلوب وسيتم طرد الاعداء)) [2].

وعند تحليل رسالة قلج ارسلان الى سكان نيقية يلاحظ انها تنطبق على الواقع، فقد كان وصف السلطان دقيقاً للغزاة، لانهم كانوا بؤساء وبرابرة فعلاً، كما كانوا يعانون من التعب والانهاك وقلة الخيل، الا ان السلطان اخطأ في

(1) Runciman, Op. Cit., vol. 1, p. 177.
(2) William of Tyre, Op. Cit., vol.1, p. 155.

تقدير جموعهم وكان واثقاً من الانتصار عليهم واعتقد بان مقاتلي حملة الامـراء لا يختلفون عن رجال بطرس الناسك وادى ذلك الى هزيمته.

قرر قلج ارسلان الدفاع عن عاصمته المحاصرة. وبدأ بارسال قوة استطلاعية للدفاع عن نيقية وامر تلك القوة باختراق الحصار الصليبي ودخول المدينـة، الا ان الصليبين هاجموهم ومنعوهم من دخول المدينة، فتراجعوا نحو الشرق[1].

وفي الوقت نفسه قدم قلج ارسلان على راس جيشه الرئيسي مـن الجنـوب والذي قدره وليم الصوري بـ(50) الف رجل[2]، ووصل الى السهل المحيط بنيقيـة في (21) ايار وبادر بمهاجمـة الـصليبيين علـى امـل شـق طريقـة الى داخـل المدينـة. استغرقت المعركة يوماً كاملاً. وعلى الرغم من ان السلطان وجيشه قاتلو بـضراوة وكبدوا الصليبيين خسائر كبيرة، الا انه فشل في فك الحصار عن نيقيـة او اخـتراق صفوف الصليبيين ودخول المدينة، لذلك راى من الحكمة الانسحاب تحـت جـنح الظلام وترك مصير نيقية للقدر[3].

ويمكـن تلخـيص العوامـل الـتي ادت الى فـشل هجـوم قلـج ارسـلان ضـد الصليبيين بما ياتي:

1. تفوق الصليبيين في العدد وامتلاكهم العربات والات الحصار التي زودهم بها البيزنطيون.
2. جرت المعركة في ارض مكـشوفة ممـا اعطـى الفرصـة لفرسـان اوربـا ان يقاتلوا بحرية.
3. قاتل قلج ارسلان الصليبيين وهو واثق مـن الانتـصار علـيهم، فاوقعـت تلك الثقة المفرطـة الـسلطان في الـوهم ولم يقـدر بـصورة صـحيحة قـوة الصليبيين ومهارة فرسـانهم، حتـى انـه كـان جلـب معـه الحبـال لتقييـد

(1) مؤلف مجهول، اعمال الفرنجة، ص 34؛ Grousset,Op.Cit.,vol.1,p.29.

(2) William of Tyre, Op. Cit., Vol.1, p. 157.

(3) Mayer, Op. Cit., p.50; Grousset, Op. Cit., vol.1, p.30; Runciman, Op. Cit., vol.1, p.179; Baldwin, Op. Cit., p, 289.

الاسرى الصليبيين[1].

وعلى الرغم من فشل هجوم قلج ارسلان وهزيمة جيشه، فإن المسلمين الترك صمدوا داخل نيقية وقاموا الصليبيين، مستفيدين من تحصينات المدينة، فضلاً عن وصول المؤن اليهم عن طريق البحيرة. وباءت محاولة الصليبيين في اقتحام اسوار المدينة بالفشل[2]، على الرغم من تعليق الصليبيين لرووس القتلى المسلمين والتلويح بها تحت انظار المدافعين حتى تنهار معنوياتهم[3].

ازداد موقف المسلمين في نيقية حرجاً عندما قام الامبراطور البيزنطي الكسيوس بارسال عدة سفن الى بحيرة نيقية، لانها قامت بقطع طريق البحيرة ومنعت وصول المؤن الى نيقية، فاضطر المدافعون المسلمون ان يدخلوا في مفاوضات سرية مع البيزنطيين واتفقوا معهم على تسليم المدينة اليهم، مقابل المحافظة على ارواحهم والسماح لهم بمغادرة المدينة. وهكذا دخل الجيش البيزنطي مدينة نيقية بعد ان فتح المسلمون الترك ابوابها لهم[4].

وفضل المسلمون في نيقية التعامل مع البيزنطيين وتسليم المدينة اليهم، لانهم ادركوا بانه لا يمكن التعامل مع البرابرة الصليبيين التواقين الى سفك الدماء ونهب وسلب اموال السكان وممتلكاتهم، فضلاً عن وجود علاقات قديمة بين المسلمين الترك والقادة البيزنطيين.

وعلى الرغم من استعادة بيزنطة السيطرة على نيقية وعدم تمكن الصليبيين من دخولها الا تحت حماية الجيش البيزنطي، فإن سقوط نيقية يعد اول انتصار للصليبيين على المسلمين، مما ادى الى رفع معنوياتهم ودفعهم للزحف الى داخل اسيا الصغرى متوجهين الى بلاد الشام[5].

---

(1) مؤلف مجهول، اعمال الفرنجة، ص 34-35؛ Baldwin,Op.Cit.,p.290.

(2) Baldwin, Op. Cit., p. 290.

(3) William of Tyre, Op. Cit., Vol.1, p. 157.

(4) مؤلف مجهول، اعمال الفرنجة، ص 36-37. Grousset,Op.Cit.,vol.1,p.30.

(5) William of Tyre, Op. Cit., vol.1, p. 168, Baldwin, Op. Cit., p. 290-291.

معركة دورليوم (جمادي الاولى 490هـ/ تموز 1097):

تناسى الامراء المسلمون في اسيا الصغرى خلافاتهم وقرروا الاتحاد، لمواجهة الغزاة الصليبيين الذين بدأوا بغزو العالم الاسلامي وباتوا يشكلون خطراً عليهم جميعاً فإنضم الملك الغازي الدانشمندي والامير حسن اخو ابي القاسم الى قلج ارسلان، وجمعوا قوة كبيرة بالغ وليم الصوري في تقديرها حيث قدرها بـ(150) الف فارس[1]، لمواجهة الصليبيين[2]، الذين بدأوا زحفهم من نيقية في 26 حزيران سنة 1097م باتجاه دورليوم[3].

قاد قلج ارسلان القوات الاسلامية وتقدم الى الشمال من مدينة آق شهر حيث كمن عند مضيق دورليوم موزعا قواته على التلال المجاورة، بانتظار وصول الغزاة الذين وصلوا مضيق دورليوم صباح اليوم الاول من شهر تموز، ففاجأهم الترك بهجوم مباغت اربكت صفوفهم وكانوا عل وشك القضاء على القوة التي كان يقودها بوهيموند النورماندي، حينما وصل القسم الثاني من الجيش الذي كان يقوده جودفري الى ارض المعركة، بعد ان ارسل اليه بوهيموند فارسا ليحثه على التعجيل بالمسير، مما ادى الى تغيير سير المعركة لصالح الغزاة الصليبيين، واضطر السلطان الى التراجع نحو الشرق واستولى الغزاة على معسكره بما فيه فسطاطه مع قسم كبير من ثروته[4].

وذكر رنسيمان مؤرخ الحروب الصليبية بان السبب الاساسي في انتصار الصليبيين يرجع الى تطويق الترك لجيش بوهيموند ولم يتركوا له طريقاً للهرب، فدفعهم ذلك للقتال بضراوة[5]. ويعني ذلك ان قلج ارسلان ارتكب خطأً تكتيكيا حرمه من نصر مؤكد.

ويظهر ان سرعة تقدم الصليبيين في اسيا الصغرى لم تعط قلج ارسلان

---

(1) William of Tyre, Op. Cit., vol.I, p. 177.
(2) Baldwin, Op. Cit., p. 292.
(3) Anonymous Syriac Chronicle, Op. Cit., p. 70.
(4) Runciman, Op. Cit., vol.1, p. 186; Baldwin, Op. Cit., p. 294.
(5) Runciamn, Op. Cit., p. 185.

الفرصة للاتصال بسلاجقة المشرق وبقية الامراء المسلمين، لتقديم المساعدة له حتى يستطيع مواجهة الجموع الصليبية الضخمة(1)، مما ادى الى فشله في التصدي لها، على الرغم من ان المسلمين الترك استبسلوا في القتال، حتى ان المؤرخ النورماندي المجهول الذي كان برفقة القائد النورماندي بوهيموند، اشاد بشجاعتهم، فذكر بانه لا يوجد من يساويهم في القوة والشجاعة(2).

علم قلج ارسلان بانه لا يستطيع مقاومة جموع الصليبيين، لذلك قرر الانسحاب نحو الشرق وادرك في وقت متاخر القوة الحقيقية للصليبيين، فاخبر المسلمين الذين جاؤا لنجدته من سوريا بان الصليبيين اكثر قوة وعدداً مما توقعه وبانه لا يستطيع وقف زحفهم(3).

امر قلج ارسلان المسلمين الترك اخلاء المدن والقرى والرحيل مع اسرهم الى مناطق شرق اسيا الصغرى، فنفذوا امره وقاموا باتلاف واحراق كل ما يمكن ان يستفيد منه الصليبيون بما فيه ردم الابار وعيون المياه، متبعاً ما يسمى حاليا بسياسة الارض المحروقة(4)، فالحق بتلك المقاومة السلبية خسائر كبيرة بالصليبيين الذين بدأوا يعانون صعوبة الحصول على المياه والمؤن اثناء زحفهم من دورليوم الى قونية. وعندما احتلوا قونية حصلوا على بعض المؤن والماء. وبعد خروجهم من قونية حاول المسلمون الترك التصدي لهم دون جدوى، حيث واصلوا تقدمهم حتى وصلوا كيليكيا(5). وبذلك خرجوا عن حدود بلاد سلاجقة الروم واصبحت مهمة مواجهتهم من مسؤولية المسلمين في بلاد الشام.

---

(1) المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ص 32.

(2) مؤلف مجهول، اعمال الفرنجة، ص 42.

(3) مؤلف مجهول، اعمال الفرنجة، ص 42-43.

(4) نفسه، ص 43؛ William of Tyre, Op. Cit.,vol.1, p.177.

(5) نفسه، ص 43.

ج. التصدي للموجات الاخيرة من الحملة الصليبية الاولى (494- 495هـ/1101م):

نجح الامراء الصليبيون في اقامة امارة الرها وانطاكية، فضلاً عن مملكة بيت المقدس وامارة صليبية اخرى في طرابلس[1]، وحاولوا مد نفوذهم الى داخل اسيا الصغرى، حيث تقدم بوهيموند مؤسس امارة انطاكية نحو الشمال، للاستيلاء على مدينة ملاطية، فتصدى له الملك غازي الدانشمندي والحق الهزيمة به واسره في ذي القعدة سنة 493هـ/ تشرين الاول 1099[2].

ما ان وصلت اخبار حملة الامراء الى اوربا ونجاحهم في السيطرة على بيت المقدس، فضلاً عن تاسيس امارات مستقلة، حتى ازداد حماس الناس، فتطوع عدد كبير منهم مع عدد من الامراء، للتوجه نحو الشرق بهدف السيطرة على المزيد من الاراضي الاسلامية.

وصل اللمبارديون الى القسطنطينية في ربيع الاول سنة 493هـ/ ايلول 1100م في حملة شعبية، ضمت عامة الناس، فكانت مشابهة لحملة بطرس الناسك. مارس فيها اللمبارديون اعمال النهب والسلب واعتدوا على السكان اليونان، مما دفع بالامبراطور الكسيوس التعجيل بنقلهم الى اسيا الصغرى في رمضان سنة 493هـ/ اذار 1101م، حيث استقروا في نيقوميديا[3].

ثم وصلت جموع اخرى من الصليبيين الى القسطنطينية ضمت الفرنج والالمان، حيث ساعدهم الكسيوس على العبور الى نيقوميديا وحثهم على الانضمام الى اللمبارديين، فكونوا معهم جموعاً قدرت بمائه الف. وتولى قيادتهم الامير ريموند، بالتنسيق مع الامبراطور البيزنطي الكسيوس. واراد ريموند قيادتهم

(1) Anonymous Syriac Chronicle, Op. Cit., pp. 71-74.

ولتفصيل اكثر ينظر: عاشور، الحركة الصليبية، حـ1، ص 172وما بعدها.

(2) ابن الاثير، الكامل، حـ9، ص 29؛ Annonymous Syriac Chronicle, Op. Cit., p. 74.

(3) Runciman, Op. Cit., Vol. 2, p. 21.

الى بلاد الشام عن طريق نيقية -دورليوم- قونية[1]، الا ان اللمبارديين رفضوا الانصياع لأوامره، وقرروا التوجه نحو الشرق، للسيطرة على انقرة، ثم مهاجمة الدانشمنديين، لفك اسر بوهيموند، او الانتقام له على الاقل، وذلك بتدمير مدينتي نيكسار وسيواس[2].

تقدم الصليبيون في عمق آسيا الصغرى وكانت بمثابة نزهة لهم حتى وصلوا آق شهر ودمروها، ثم بدأوا يعانون من نفاذ مؤونتهم عندما تقدموا شرقا، بعد ان قام المسلمون الترك بردم الابار وتهديم مصادر المياه، كما اتبعوا معهم حرب الاستنزاف دون ان يشتبكوا معهم في معركة فاصلة. ومع ذلك نجح الصليبيون في الوصول الى مدينة انقرة واحتلوها[3].

قرر الامراء المسلمون التعاون واقاموا تنسيقاً عسكرياً بينهم، للتصدي للحملة الصليبية الجديدة، اذ هرع قلج ارسلان ورضوان بن تتش امير حلب وامير حران، لاسناد غازي الدانشمندي. وفي بداية الامر اتبعوا مع الجموع الصليبية سياسة الارض المحروقة حتى انهكهم الجوع والتعب، ثم انقض عليهم المسلمون بقيادة قلج ارسلان بين اماسية وسيواس في شوال سنة 494هـ/ اب 1101م وقضوا على معظمهم[4]. وتشتت من بقي منهم، حيث عاد قائدهم ريمونـد الى القسطنطينية عن طريق ميناء سينوب على البحر الاسود[5]. وأورد ابن الاثير بانه لم ينج منهم سوى (300) شخص[6].

ويعد ذلك الانتصار رد اعتبار لقلج ارسلان، بعد ان هزم في معركة دورليوم، لذلك ازداد التفاف المسلمين حوله في اسيا الصغرى وانضم اليه عدد كبير من الامراء التركمان والكورد، فاعاد تنظيم جيشه ولم يلاق صعوبة كبيرة في

---

(1) Baldwin, Op. Cit., p. 361.
(2) Grousset, Op. Cit., Vol.1, p. 324-325.

(3) ابن الاثير، الكامل، حـ9، ص 29.

(4) Anonymous Syriac Chronicle, Op. Cit., p. 74- 75; Baldwin, Op. Cit., p. 361.
(5) Runicman, Op. Cit., vol. 2, p. 23.

(6) الكامل، حـ9، ص55.

القضاء على النجدات الصليبية الجديدة التي وصلت من اوربا، حيث قضى على (15) الفٍ من اللمبارديين، انقض بعد ذلك على (60) الف من الفرنسيين واستعاد اثر ذلك مدينة قونية، ليقطع الطريق بين الصليبيين في بلاد الشام واوربا[1].

ادى سلاجقة الروم دوراً جهاديا كبيراً من خلال تصديهم للموجات البشرية المتعاقبة من رجال الحملة الصليبية الاولى التي تعد أهم الحملات واقواها. وبذلوا جهوداً كبيرة في مواجهتهم، فنجحوا في القضاء على حملة بطرس الناسك وابادة جموعه البربرية المتعصبة الا انهم لم يستطيعوا مقاومة حملة الامراء بسبب ضخامة عددهم وتحالف البيزنطيين معهم، حيث تراجعوا امامهم، بعد ان خسروا عاصمتهم نيقية. ومع ذلك لم ييأسوا او يستسلموا، اذ تصدوا لجموعهم في دورليوم، وعلى الرغم من فشلهم في ايقاف تقدمهم فانهم الحقوا بالصليبيين خسائر كبيرة.

ويمكن القول ان سلاجقة الروم امتصوا زخم الهجوم الصليبي وعرقلوا تقدمه ولم يلق الصليبيون تلك المقاومة من المسلمين في بلاد الشام حيث نجحوا في احتلال بيت المقدس واقامة ممالك وامارات صليبية كما سبقت الاشارة الى ذلك.

ونجح سلاجقة الروم بالتعاون مع الدانشمنديين في القضاء على الحملات التي دخلت اسيا الصغرى سنة 494هـ/ 1101م، ومنعوا وصولهم الى بلاد الشام وبذلك انقذوا حلب ودمشق من السقوط بايديهم.

ثانياً: القضاء على الحملة الصليبية الثانية

كان لفتح مدينة الرها وطرد الصليبيين منها على يد عماد الدين زنكي سنة

(1) Runciman, Op. Cit., Vol.2, pp. 21-38; آقسرائي، مسامرة الاخبار، ص27.
وللتفصيل ينظر: عاشور، الحركة الصليبية، حـ1، ص 346 – 352.

539هـ/ 1145م[1]، صدىً واسعاً في اوربا اوجد دافعا قويا للدعوة الى حملة صليبية جديدة، خوفاً من تعرض بقية الامارات الصليبية في المشرق مثل انطاكية وطرابلس ومملكة بيت المقدس للتهديد والسقوط.

استجاب البابا يوجين الثالث (539-548هـ/ 1145-1153م) لرسالة الاستغاثة التي بعثها اليه بلدوين الثالث (539-558هـ/ 1144-1162م) ملك بيت المقدس، ودعا الى حرب صليبية جديدة بعد ان عقد مؤتمراً في مدينة فزلي Vaselay بفرنسا، بدعوة من ملكها لويس السابع سنة 541هـ/ 1146م[2].

استجاب كونراد الثالث ملك المانيا (533-547هـ/ 1138-1152م) ولويس السابع ملك فرنسا (532-576هـ/ 1137-1180م) لدعوة البابا وقررا الاشتراك في الحملة الصليبية الجديدة شخصياً، لذلك اتخذت تلك الحملة مستوىً عالياً وطابعا منظماً، بسبب قيام ملوك اوربا بقيادة جيوشهم والتوجه نحو الشرق بهدف غزو العالم الاسلامي[3]. إلا أن الحملة إفتقرت الى التنسيق بين الملكين الالماني والفرنسي حيث تقدم كل منهما بجيشه عبر اسيا الصغرى على إنفراد مما سهل مهمة سلاجقة الروم في إلحاق الهزيمة بهما.

خاف الامبراطور البيزنطي مانويل من تقدم جيوش كونراد الثالث ولويس السابع نحو عاصمته، وتوقع بأنهم سيهاجمون القسطنطينية، بهدف احتلالها لذلك سارع بعقد الهدنة مع السلطان مسعود وعاد مسرعاً الى القسطنطينية، كما سبقت الاشارة الى ذلك.

اختلفت الباحثون في تقدير حجم تلك الحملة، فقدرها مصدر معاصر للاحداث بـ(395) الف محارب[4]، وقدرها مورخ معاصر بـ(140) الف محارب[5].

---

(1) ابن الاثير، الكامل، حـ9، ص 331-332؛ ابن العديم، زبدة الحلب، حـ1، ص278-280.

(2) عبد القادر احمد اليوسف، علاقات بين الشرق والغرب، (بيروت: 1969)، ص 112-114.

(3) Baldwin, Op. Cit., p.467-470.
(4) Anonymous Syriac Chronicle, Op. Cit., part.2, p. 298.
(5) Vasiliev, Op. Cit., vol. 2, p. 419-420.

وتظهر تلك التقديرات مدى ضخامة الحملة الصليبية الثانية ومع ذلك فانها لم تكن بضخامة الحملة الاولى.

وصل أولاً جيش كونراد الثالث الى القسطنطينية في ربيع الثاني سنة 542هـ/ أيلول 1147 وبسبب ضخامة حجمه لاقى صعوبة الحصول على كفايته من المؤن وادى ذلك الى حدوث النزاع بينهم وبين البيزنطيين(1). وتحت ضغط الملك الالماني وجيشه، اضطر مانويل ان يزودهم بالمؤن وسمح لهم بعبور البسفور برفقة عدد من الادلاء، للتخلص من تهديدهم، بعد ان تعهدوا بتسليمه المناطق التي سيستولون عليها في اسيا الصغرى(2).

مع ذلك، لم يقدم الامبراطور مانويل أي عون عسكري للصليبيين ورفض التحالف معهم او مساندتهم، فكان ذلك احد اسباب فشلهم(3)، وحتى ان بعض المؤرخين ذكروا بان مانويل تحالف مع السلطان مسعود ضدهم(4)، ليبرروا هزيمة الصليبيين على يد سلاجقة الروم.

وورد في مصدر معاصر للاحداث بأن الامبراطور البيزنطي وجه رجال الحملة الصليبية الى طريق صحراوي خال من الماء فنفذ ما لديهم من مؤن بعد عشرة ايام، ثم قادهم ادلاؤهم الى مناطق وعرة حسب توجيهات مانويل، اتصلوا بعد ذلك بالمسلمين الترك لكي يقوموا بمهاجمتهم(5).

علم السلطان مسعود بعبور الصليبيين الى اسيا الصغرى وانهم في طريقهم لمهاجمته، لذلك استعد لمواجهتهم، وطلب من الامراء التركمان في كبدوكيا، ارسال النجدات اليه، وفي الوقت نفسه قام بتقوية اسوار المدن وتجديد تحصيناتها وحث سكان اسيا الصغرى على المقاومة، لمنع الصليبيين من تدمير البلاد ونهب

(1) Ibid, vol. 2, p. 419.
(2) Ostrogorsky, Op. Cit., p. 382.
(3) Grousset, Op. Cit., vol.2, p. 227-228.
(4) Vasiliev, Op. Cit., vol.2, p 420.
(5) Anonymous Syriac Chronicl, Op. Cit., part 2, p. 298.

اموالهم[1].

وصل الملك الالماني كونراد الثالث الى نيقوميديا ثم تقدم الى نيقية واتجه منها نحو قونية عاصمة سلاجقة الروم، سالكا طريق الحملة الصليبية الاولى. واورد وليم الصوري بان تقدم الملك الالماني تعثر في الطريق، لان ادلاء الامبراطور البيزنطي وجهوهم نحو مناطق وعرة وفق توجيهاته[2].

نجح السلطان مسعود في جمع قوة كبيرة وظل ينتظر الفرصة المناسبة لمهاجمة الصليبيين ومنع تقدمهم. وعندما تأخر وصول الصليبيين الى قونية تقدم السلطان بجيشه الى اسكي شهر وعلم هناك ان جيش كونراد عبر دورليوم، فوضع السلطان خطة محكمة لايقاف تقدمه اولا والانقضاض عليه ثانياً[3].

وفي جمادي الاولى سنة 542هـ/ تشرين الاول 1147م تعرض جيش كونراد لهجوم مباغت، شنه جيش السلطان مسعود، بعد ان قطعوا خطوط تموينه وحققوا عليه نصراً حاسماً، اذ لم ينج منهم سوى عدد قليل، كان من بينهم الملك كونراد الذي رجع الى نيقية خائباً[4].

حاولت المصادر الغربية تبرير هزيمة جيش الملك كونراد الثالث فأوردت بأن الجنود الالمان كانوا منهوكي القوى، اعياهم الجوع والعطش، مقابل جيش السلطان المفعم بالحيوية والنشاط. كان ما يعانيه جيش كونراد احد اسباب هزيمته دون شك، الا ان العامل الاساسي يرجع الى بسالة المسلمين الترك وتفانيهم في المعركة، دفاعاً عن وجودهم واموالهم ضد غزاة قطعوا الاف الاميال، بهدف قتل المسلمين وسلب اموالهم واحتلال اراضيهم.

(1) Williaam of Tyre, Op. Cit., vol.2, p.166.
(2) Ibid, p. 167.
(3) Anonymous Syriac Chronicle, Op. Cit., part.2, p. 198; Mayer, Op. Cit., p.101.
(4) Anonymous Syriac Chronicle, Op. Cit., part.2, p. 298; William of Tyre, Op. Cit., vol.2, p. 171; Grousset, Op. Cit., vol.2, p 307; Vasiliev, Op. Cit., vol. 2, p. 420; Ostrogorsky, Op. Cit., p. 382; Mayer, Op. Cit., p. 101;
عاشور، الحركة الصليبية، حـ2، ص 625؛ العريني، الشرق الاوسط، حـ1، ص 578.

وحلل الباحث اومان (Oman) هزيمة جيش كونراد الثالث ولويس السابع، فذكر ان فشلهما ليس سببه ما صادفا من صعوبات في الطريق، بل يرجع الى اخطائهما، علما ان السلطان مسعود استغل سوء احوال الجنود الالمان ونفاذ مؤونتهم، فهاجمهم وسد امامهم طريق العبور، لذلك قرر كونراد الانسحاب وازدادت احوال جنوده سوءاً بسبب الجوع والبرد فمات (30) الفا منهم بمرض الديزانتري[1]، ويظهر ان ذلك الرقم مبالغ فيه لان مرض الديزانتري ليس فتاكا الى هذه الدرجة.

اما جيش لويس السابع الذي وصل الى القسطنطينية في جمادي الاولى سنة 542هـ/ تشرين الاول سنة 1147م، مكث في ضواحي المدينة بعض الوقت، لذلك نشر مانويل شائعة في المعسكر الفرنسي حول انتصار الالمان في اسيا الصغرى، حتى يسرعوا في العبور. كان لتلك الشائعة مفعولها وادت الى قلق افراد الحملة الفرنسية، لاعتقادهم بأنهم تاخروا كثيراً في الحصول على الغنائم، لان الحصول على الغنيمة كان احد اهداف الفارس الاوربي، لذلك هرع لويس السابع مع جيشه الى اسيا الصغرى[2].

وعندما وصلوا الى نيقية والتقوا مع فلول الجيش الالماني المهزوم، فاجأهم ما حل بجيش كونراد فكانت صدمة كبيرة لهم[3].

وأورد الباحث ماير بان الامبراطور مانويل زود حملة لويس السابع ببعض المؤن والادلاء، الا ان موقفه كان سلبياً من الصليبين بسبب، ارتباطه بمعاهدة مع السلطان مسعود، مما ادى الى حنق النبلاء الفرنسيين عليه[4]، مع ذلك اضطر لويس السابع وامراؤه ان يقسموا يمين الولاء لمانويل والتعهد له بمنحه الاراضي التي سيتم الاستيلاء عليها في اسيا الصغرى[5].

---

(1) Oman, A History of the Art of the War, p. 245.
(2) William of Tyre, Op. Cit., vol.2, p.175; Mayer, Op. Cit., p. 102.
(3) Mayer, Op. Cit., p. 102.
(4) Mayer, Op. Cit, p. 102.
(5) Ostrogorsky, Op. Cit., p. 383.

ادرك لويس السابع مدى خطورة تقدمه عبر اسيا الصغرى، واراد ان يتجنب مواجهة سلاجقة الروم، لذلك سلك الطريق الساحلي الغربي بمحاذاة بحر مرمرة وبحر ايجه ثم توجه شرقاً بموازاة ساحل البحر المتوسط. واصبح بامكان الفرنسيين الاستفادة من القلاع الساحلية والتمتع بحماية الاسطول البيزنطي احياناً فضلاً عن سهولة الحصول على المؤن[1].

تقدم الفرنسيون من نيقية الى ازمير سنة (542هـ/ 1147م) ومنها الى ميناء افسوس ثم وصلوا الى مدينة لوديكا فهاجمهم السلاجقة والحقوا بهم بعض الخسائر قبل ان يدخلوا ميناء انطالية[2].

واشار وليم الصوري بان السلطان مسعود كلف احد امرائه المدعو باراموس (Paramus) بملاحقة جيش لويس السابع ومهاجمته لاستنزاف قواه[3]. ولم يستطع الملك لويس السابع الحصول على السفن اللازمة لنقلهم من أنطالية الى انطاكية عن طريق البحر، فابحر مع نبلائه، تاركا جيشه في انطالية. وبدأ ذلك الجيش يعاني من صعوبة الحصول على المؤن كما عاملهم اليونانيون بقسوة، مما دفعهم الى التقدم براً، للوصول الى سوريا عن طريق كيليكيا، فهاجمهم جيش السلطان مسعود سنة 543هـ/ 1148م وقضى عليهم قضاء مبرما[4]. ومن بقي منهم على قيد الحياة دخل في خدمة اليونانيين. وعلى الرغم مما عرف به الترك من قسوة، فانهم اظهروا عليهم العطف واعطوهم الطعام، مما دفع قسما منهم الى اعلان اسلامهم. اما الذين بقوا في انطالية فاغلبهم ماتوا من الجوع[5].

وبذلك لعب سلاجقة الروم دوراً أساسياً في القضاء على حملة لويس السابع، مثلما قضوا على حملة كونراد الثالث، ومنعوا وصول القوات الصليبية الى

(1) باركر، الحروب الصليبية، ص 95.

(2) Baldwin, Op. Cit., p.499; Mayer, Op. Cit., p.102.
(3) William of Tyre, Op. Cit., vol. 2, p. 172.
(4) Ibid, vol.2, p. 175; Mayer, Op. Cit., p. 102.
(5) Oman, Op. Cit., p. 248.

بلاد الشام. واذا كان لويس السابع وكونراد الثالث قد وصلا الى انطاكية مع عدد قليل من بقايا نبلاء جيشيهما، فانه لم يكن لهما دور في حرب المسلمين ولم يستطع الصليبيون في بلاد الشام الاعتماد عليهم، وبذلك فشلت خطتهم في غزو دمشق وحلب[1].

ان نجاح سلاجقة الروم في القضاء على الحملة الصليبية الثانية ادى الى رفع سمعتهم في العالم الاسلامي، كما ادى الى ارتفاع معنوياتهم بعد ان قضوا على اسطورة الفرسان اللاتين الذين لا يقهرون. ويعد ذلك الانتصار نقطة تحول في مسار الصراع بين المسلمين والغزاة الصليبيين، لانها اعادت الثقة الى الامراء المسلمين، ودفعهم الى تشديد هجماتهم على الصليبيين في المناطق المحيطة بانطاكية وبيت المقدس وطرابلس[2].

ويلاحظ ان صدى ذلك الانتصار كان اكثر وضوحاً في المصادر البيزنطية واللاتينية منه في المصادر الاسلامية، على الرغم من ان ابن القلانسي قد اشار الى دور سلاجقة الروم في التصدي للصليبيين، بعد ان قدر عدد الصليبيين بمليون مقاتل. فاورد بانهم قاموا بمهاجمتهم ومنعهم من العبور الى بلاد الشام، بعد ان قتلوا عدداً كبيراً منهم، فضلاً عن موت الاف منهم بسبب الجوع والمرض وبذلك زال خطرهم[3].

والشيء الملفت للنظر ان سلاجقة الروم لم يحاولوا الاتصال بالصليبيين او اجراء المفاوضات معهم ومساومتهم، بالسماح لهم بالمرور عبر المناطق التابعة لهم، او تقديم المؤن والادلاء لهم، بل وقفوا في وجههم بكل ما اوتوا من قوة، مثلما فعلوا مع رجال الحملة الصليبية الاولى.

ويظهر انهم ادركوا بشكل دقيق اهداف الصليبيين ومدى عدائهم للمسلمين

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 298-300؛ Mayer, Op. Cit., p. 102.

(2) Runciman, Op. Cit., vol. 2, p. 291.

(3) ذيل تاريخ دمشق، ص 297.

سيما وان تلك الحملات كانت موجهة ضدهم اصلاً، بهدف طردهم من اسيا الصغرى، لذلك استماتوا في الدفاع عن وجودهم وجاهدوهم بتفان. واذا كانوا قد نجحوا في احتواء زخم هجوم الحملة الصليبية الاولى واضعافها، فانهم نجحوا ايضا في القضاء عل الحملة الصليبية الثانية بصورة شبه تامة، باعتراف المصادر الاسلامية والغربية.

ثالثاً: موقف سلاجقة الروم من حملة فردريك بربروسا

ادى انتصار السلطان صلاح الدين الايوبي على الصليبيين في معركة حطين سنة 583هـ/ 1187م وانهاء احتلالهم لمدينة القدس الى ضعف الصليبيين في الشرق ولم يبق امامهم سوى الاستنجاد بغرب اوربا ودعوتهم الى نجدتهم وذلك بتنظيم حملة صليبية جديدة وارسالها الى المشرق الاسلامي.

ارسل الامراء الصليبيون الذين تجمعوا في مدينة صور رئيس الاساقفة جوسياس Josias ممثلاً عنهم الى اوربا سنة 583هـ/ 1187م، ليشرح للبابا وملوك غرب اوربا حقيقة الموقف الصليبي في بلاد الشام، وليطلب منهم الاسراع في نجدتهم[1].

ومن اجل ارسال حملة صليبية جديدة، ارسل البابا جريجوري الثامن (583هـ/ 1187م) رسائل الى ملوك انكلترا وفرنسا وامبراطور المانيا، حثهم فيها على انهاء نزاعاتهم والاتحاد معاً لمواجهة المسلمين. وبعد وفاة البابا جريجوري الثامن، اتصل خليفته كليمنت الثالث (583-587هـ/ 1187-1191م)، بالامبراطور الالماني فردريك بربروسا (547-586هـ/ 1152-1190م)، الذي استجاب لدعوته وسبق ملكي انكلترا وفرنسا في التوجه نحو الشرق عن طريق القسطنطينية، وبذلك بدات الحملة الصليبية الثالثة[2].

---

(1) ابن واصل، مفرج الكروب، جـ2، ص 288-289؛ عاشور، الحركة الصليبية، جـ2، ص 842.

(2) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 115؛ الاصفهاني، الفتح القسي، ص 330.

وعلى الرغم من كبر سنه، فإن امبراطور المانيا كان متحمساً للاشتراك في الحملة الصليبية الجديدة، ليثأر من الهزيمة التي لحقت بالالمان في اسيا الصغرى على يد السلطان مسعود، كما سبقت الاشارة اليها، والتي اشترك فيها فردريك بربروسا شخصياً[1].

ونظراً لاشتراكه في الحملة الصليبية الثانية، تكونت لديه خبرة في كيفية التعامل مع الدولة البيزنطية من جهة وسلاجقة الروم من جهة اخرى، وعلم بانه في حاجة الى قوة منظمة، منضبطة من الجيش، للسيطرة عليهم ومنعهم من القيام باعمال السلب والنهب ضد السكان اليونانيين حتى يتجنب الدخول في صراع مع الدولة البيزنطية. وادرك بربروسا بان من الصعب اجتياز اسيا الصغرى بالقوة والتغلب على المسلمين الترك، لذلك سعى الى تامين طريق مروره الى الاراضي المقدسة عن طريق التفاهم مع الامبراطور البيزنطي اسحق انجيلوس من جهة والسلطان قلج ارسلان الثاني من جهة ثانية، لذا فاتخذت حملته طابعاً مغايراً للحملات السابقة[2].

وسبقت الاشارة الى تبادل السفارات بين فردريك بربروسا والسلطان قلج ارسلان الثاني عندما قام بربروسا بمهاجمة الممتلكات البيزنطية في ايطاليا سنة 569هـ/ 1173م. ويظهر ان الملك الالماني طلب من السلطان السلجوقي استئناف غاراته ضد البيزنطيين لتخفيف الضغط البيزنطي عليه. ورد السلطان على سفارة بربروسا وطلب من سفرائه ان يخطب لابنه ابنة الملك الالماني، لتزداد العلاقات وثوقاً بينهما[3].

تحرك الملك الالماني شرقا سنة 585هـ/ 1189م. قاصداً الاراضي المقدسة عن

(1) زيان، الامراطور فردريك بربروسا، ص 19-20.

(2) باركر، الحروب الصليبية، ص 112.

(3) Breheir, Op. Cit., p. 238;
تاوضروس، رومة وبيزنطة، ص 268-269؛ زيان، الامبراطور فردريك، ص 28.

طريق القسطنطينية. ولضمان مروره في اسيا الصغرى، سعى الى تجديد علاقاته السابقة مع السلطان قلج ارسلان، لذلك ارسل اليه سفارة، دعاه الى السماح لقواته بعبور بلاده الى بلاد الشام[1].

وتشير معظم الدراسات الحديثة الى التقارب بين صلاح الدين الايوبي والامبراطور البيزنطي اسحق انجيلوس، اذ تم تبادل السفراء بينهما وتحسنت علاقاتهما حيث اقيمت خطبة الجمعة في جامع القسطنطينية باسم الخليفة العباسي والسلطان صلاح الدين. ومقابل ذلك اعطى صلاح الدين تسهيلات للحجاج الارثودوكس في الاماكن المقدسة[2]. فقد اشار فازليف بان صلاح الدين وامبراطور الروم تحالفاً ضد قلج ارسلان، ودفعه ذلك الى الاستجابه لدعوة بربروسا وتبادل السفارات والتحالف معه[3].

الا ان ما ذكره الباحث فازليف وغيره من الباحثين[4] قابل للمناقشة، لان قلج ارسلان لم يكن قوياً الى الدرجة التي يستطيع منافسة صلاح الدين على زعامة العالم الاسلامي، كما ان العلاقات بينهما لم تكن غير ودية، ولم يكن من شيم صلاح الدين التحالف مع قوى غير اسلامية، ضد الامراء المسلمين. ويظهر ان صلاح الدين حسن علاقاته مع امبراطور الروم لكي يمنع مرور الصليبيين عبر اراضي الدولة البيزنطية الى بلاد الشام او الا يساندهم على الاقل لان السلطان كان في صراع معهم.

واثبتت الاحداث التاريخية اللاحقة بانه لم يكن ثمة أي تحالف بين قلج ارسلان والامبراطور الالماني فردريك بربروسا. ويمكن تفسير تبادل السفارات بينهما بانها تدخل ضمن السياسة التي كان يتبعها قلج ارسلان، حيث لم يتوان في

---

(1) Wolf, The Later Crusades 1189-1311, (Pennsylvania: 1962), vol.2, p. 111; Mayer, Op. Cit., p. 140; Ostrogorsky, Op. Cit., pp. 382-388.

(2) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 132-133؛ Grousset, Op. Cit., vol. 3, p. 10-11.

(3) Vasiliev, Op. Cit., vol. 2, p. 446.

(4) Mayer, Op. Cit., p. 140; Brehier, Op. Cit., p. 247; Grousset, Op. Cit., vol. 3, p. 14; Ostrogorsky, Op. Cit., p. 406.

اللجوء الى المناورات الدبلوماسية لتحقيق اهدافه والحفاظ على مصالح دولة سلاجقة الروم[1].

ويظهر ان موافقة قلج ارسلان على السماح لبربروسا بالمرور عبر المناطق التابعة له يرجع الى انه لم يكن يتوقع بان الملك الالماني سينجح في عبور القسطنطينية بتلك السرعة، لانه كان يدرك تماماً عمق الخلاف بينه وبين امبراطور الروم، كما أنه لم يتوقع ايضاً بان الجيش الالماني سيكون بتلك الضخامة، مما جعل كل من الامبراطور البيزنطي وسلطان سلاجقة الروم عاجزين عن وقف تقدمه.

وأشارت المصادر الاسلامية الى ضخامة جيش بربروسا، فقدرتها بين (200-600) الف رجل. فاورد العماد الاصفهاني بان الملك الالماني كان في (300 الف)[2]، واشار ابن شداد بان جيشه كان يقدر بين (260-200الف)[3]، وقدر ابن العديم جموعه بـ(600) الف شخص[4]. وقدره ابن واصل بـ (200) الف رجل[5]. واوردت احد المصادر المتأخرة بان جيشه كان يضم (300) الف مقاتل[6].

وعلى الرغم من ان تلك التقديرات تنقصها الدقة، فانها تشير الى مدى ضخامة الجيش الالماني دون شك، لذلك لم يستطع الامبراطور البيزنطي اسحق انجيلوس الوقوف بوجه ذلك الجيش ومنعه من المرور الى اسيا الصغرى عبر القسطنطينية، فاضطر الى مسايرة الامبراطور الالماني ورضخ لمطاليبه، حيث وافق على تزويد جيشه بالمؤن، كما اعطاه مالا كثيراً، فضلاً عن تزويده بالادلاء[7]. وارسل الى صلاح الدين ليخبره عبور الحملة الالمانية القسطنطينية ودخولهم الى

(1) Cahen, Pre- Ottoman Turkey, p. 112.

(2) الفتح القسي، ص 330.

(3) النوادر السلطانية، ص 115.

(4) زبدة الحلب، حـ3، ص 114.

(5) مفرج الكروب، حـ3، ص 317.

(6) الحنبلي، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، (النجف: 1968)، حـ1، ص361.

(7) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص124؛ الاصفهاني، الفتح القسي، ص 392.

اسيا الصغرى، وما لحق بهم من خسائر جراء تعرضهم لهجمات اليونانيين، مما ادى الى ضعفهم واخبره ايضا بانه من الصعب ان يصلوا الى بلاد الشام[1].

علم قلج الاسلان وابنه قطب الدين ملكشاه بانه ليس في طاقتيهما مواجهة الحملة الالمانية، نظراً لضخامة اعدادها وحسن تنظيمها وكثرة اسلحتها[2]. لذلك ارسل قلج ارسلان سفراءه الى القسطنطينية، لمقابلة بربروسا، كذلك ووصلت سفارة ابنه ملكشاه في صفر سنة 586هـ/ شباط 1190م[3]. وجدد السلطان وابنه تعهدهما للملك الالماني والسماح له بالمرور عبر بلاد سلاجقة الروم الى بلاد الشام.

وكان الوضع السياسي لسلطنة سلاجقة الروم سيئاً، في اعقاب قيام قلج ارسلان بتقسيم الدولة بين ابنائه، ولم يكن في قدرته اعداد جيش كبير لمواجهة الحملة الالمانية الضخمة، لان ابناءه رفضوا طاعته او تقديم العون العسكري له، كما قام ابنه الاكبر ملكشاه بالسيطرة على قونية والحجر عليه- كما مر سابقا- لذلك لم يبق لقلج ارسلان حول ولا قوة، عليه يمكن الاستدلال بان ملكشاه هو الذي اتفق مع بربروسا وطلب منه سرعة المرور وعدم التوقف في بلاده، خوفاً من قيامه بالتدخل في شؤون سلطنة سلاجقة الروم الداخلية، مما يعيق خططه الهادفة الى اخضاع جميع اخوته لسلطته[4].

لكن الامور لم تجر وفق التفاهم المسبق بين قطب الدين ملكشاه وبربروسا بسبب قيام المسلمين التركمان بمهاجمة جيش بربروسا منذ تقدمه الى داخل اسيا الصغرى، اذ مارسوا معه حرب الاستنزاف، عبر الطريق الممتد بين نيقية وقونية، فالحقوا به خسائر كبيرة[5].

---

(1) ابن شداد، النواد السلطانية، ص 133.

(2) Cahen, Op. Cit., p. 112.
(3) Grousset, Op. Cit., vol.3, p. 14.
(4) Cahen, Op. Cit., p. 112.

(5) الاصفهاني، الفتح القسي، ص 390.

بدأ الجيش الالماني يعاني من قلة المؤن وصعوبة الحصول على الاعلاف، فضلاً عن اثر البرد وتساقط الثلوج على حركتهم، حيث مات العديد منهم، بسبب البرد والجوع، وانتشر بينهم الوباء. وأشار ابن العديم بانه اصابهم وباء عظيم، فمات الالاف منهم[1]. كل ذلك ادى الى ضعف الحملة الالمانية وقلة عدد افرادها[2].

وبدأت الحملة الالمانية في اختراق اراضي دولة سلاجقة الروم[3]، فازدادت هجمات التركمان شراسة ضدها، كما ان قطب الدين ملكشاه بدأ ينسق التعرض للجيش الالماني معهم وقرر مواجهتهم، وفي الوقت نفسه رفض كيخسرو بن قلج ارسلان امير برغلو تزويد الحملة بالمؤن فازدادت احوالهم سوءاً[4].

وادرك ملكشاه بانه اذا سمح للملك الالماني وجيشه المرور عبر مملكة سلاجقة الروم دون التصدي لهم، يؤدي الى نقمة المسلمين عليه، بسبب تركه الجهاد ويؤدي ذلك الى تقويض حكمه، فضلا عن ان مقاتلتهم يؤدي الى التفاف المسلمين حوله، وسيساعده ذلك ان يصبح سلطاناً على سلاجقة الروم. لذلك راى ملكشاه ان من واجبه الديني مواجهة الغزاة الالمان ومنع مرورهم الى ديارالاسلام، حتى يستطيع رفع سمعته بين المسلمين، فضلاً عن انه كان صهر صلاح الدين[5].

خرج قطب الدين ملكشاه على رأس قواته الى الشمال من قونية واشتبك مع فردريك بربروسا، الا انه لم يستطع الصمود امام الجيش الالماني الضخم

---

(1) زبدة الحلب، حـ3، ص 114.

(2) Cahen, Op. Cit., p. 113.

(3) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 194؛ Oman. , op. Cit vol.1, p. 249.

(4) Cahen, Op. Cit., p. 113.

(5) Cahen, Op. Cit., p. 113.

وانسحب امامه في جمادي الاخرة سنة 586هـ/ مايس 1190[1]، بعد ان قتل (374) اميراً من المسلمين الترك مع ستة الاف فارس[2].

ويمكن تعليل هزيمة قطب الدين ملكشاه امام فردريك بربروسا بما يأتي:-

أ. ضخامة الجيش الالماني وحسن تنظيمه.

ب. لم تصل للملكشاه اية نجدات من اخوته في الاقاليم الاخرى من مملكة سلاجقة الروم بسبب العداء بينهم[3].

ج. نقمة الامراء عليه لقيامه بالحجر على ابيه ومحاولته التخلص منهم.

اصبح الطريق مفتوحا امام بربروسا وجيشه لدخول قونية، فوصل اليها في (18) مايس[4]، وبدأ بمهاجمتها وتمكن من احتلالها بسهولة، فقتل عدداً كبيراً من سكانها واحرق اسواقها[5]، عقاباً لقلج ارسلان الذي لم يف بتعهداته للامبراطور الالماني. ولم يعد في طاقة سكان المدينة مقاومة ذلك الجيش الضخم، فضلاً عن ان الحقاق الهزيمة بجيش ملكشاه خارج المدينة، ادى الى انهيار معنويات سلاجقة الروم، لذلك اضطر قلج ارسلان وامراؤه ان يلجأوا الى قلعة المدينة للاحتماء بها[6].

جرت مفاوضات بين قلج ارسلان وبربروسا، بمبادرة من الاخير، اذ بعث رسولاً الى قلج ارسلان في القلعة، ذكر له بان الملك الالماني لم يأت لاحتلال مملكة سلاجقة الروم، وانما هدفه هو الاخذ بثأر الصليبيين من صلاح الدين والاستيلاء

---

(1) الاصفهاني، الفتح القسي، ص390؛ ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص194؛ ابن واصل، مفرج الكروب، حـ3، ص319.

(2) Oman, Op. Cit., vol. 1, p. 250.

(3) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 194.

(4) Grousset, Op. Cit., vol. 3, p. 15.

(5) ابو شامة، الروضتين، حـ2، ص 156؛ المقريزي، السلوك، حـ1، ص 104.

(6) الاصفهاني، الفتح القسي، ص 390.

على بيت المقدس. وازداد تودداً لقلج ارسلان، فارسل اليه الهدايا وطلب عقد الهدنة معه[1].

ايقن قلج ارسلان بانه لا يستطيع صد جيش بربروسا، كما انه كان بمثابة اداة بيد ابنه ملكشاه الذي كان يحكم باسمه، فضلاً عن انه كان شيخاً كبيراً بلغ الخامسة والسبعين من العمر، فلم يبق امامه سوى الموافقة على شروط الملك الالماني وعقد الهدنة معه[2].

وافق قلج ارسلان بموجب شروط الهدنة على تزويد جيش بربروسا بالمؤن، ولم يبق ذلك الجيش سوى ثلاثة ايام في قونية[3]، ثم غادرها باتجاه ارمينيا الصغرى. وطلب بربروسا من قلج ارسلان قبل مغادرته قونية ان يرسل معه بعض امرائه، لمرافقته كادلاء وليمنعوا التركمان من مهاجمتهم[4]، مما يدل على ان بربروسا لم يكن يثق بسلطان سلاجقة الروم ووعوده. واتخذ الملك الالماني اولئك الامراء رهائن لديه[5]. وكان ارسال اولئك الامراء فرصة ملكشاه، للتخلص من امراء ابيه، لذلك ارسل مع الجيش الالماني اكثر من عشرين اميراً[6].

ما ان غادر الجيش الالماني قونية حتى ارسل قلج ارسلان وابنه ملكشاه الى صلاح الدين، ليخبراه بانهما حاولا منع الملك الالماني من عبور بلادهم، الا انهم عجزا في التصدي له وإنهزما امامه، واعتذرا له عن فشلهم في مواجهته[7].

وعلى الرغم من ان القاضي ابن شداد أورد بان قلج ارسلان تظاهر بمعاداة

(1) ابو شامة، الروضتين، حـ2، ص 156؛ ابن واصل، مفرج الكروب، حـ 3، ص318-319.

(2) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 123؛ الاصفهاني، الفتح القسي، ص 390.

(3) Grousset, Op. Cit., vol. 3, p. 15.

(4) الاصفهاني، الفتح القسي، ص 390.

(5) نفسه، ص 390.

(6) ابو شامة، الروضتين، حـ2، ص 156.

(7) ابو شامة، الروضتين، حـ2، ص 156.

الملك الالماني، الا انه كان متفقاً معه سراً[1]، لكن سير الاحداث التاريخية اثبتت ان ظن القاضي ابن شداد لم يكن في محله، بدليل سيطرة بربروسا على قونية وحرقه لعاصمة سلاجقة الروم وقتل عدد كبير من سكانها، فضلاً عن اجباره قلج ارسلان على وضع امرائه تحت امرته، ليبقوا رهائن لديه، لعدم ثقته بسلطان سلاجقة الروم اذ كان يعده عدواً له.

ما ان غادر بربروسا قونية في طريقه الى ارمينيا الصغرى، حتى استأنف التركمان الهجمات على جيشه، يقتلون جنده وينهبون معسكرهم، واصبحت تلك الهجمات وبالاً على الامراء المسلمين الترك الذين رافقوا الحملة الالمانية، اذ قبض عليهم بربروسا وسلب ما لديهم من اموال، ثم سلمهم للامير الارمني ليو الثاني، حيث مات بعضهم في اسره، ودفع آخرون مالاً وفيراً له لقاء الحصول على حريتهم[2].

ويلاحظ ان مؤرخي صلاح الدين كانوا متحاملين على قلج ارسلان ويتهمونه بالتواطؤ مع بربروسا، الا ان سير الاحداث التاريخية اثبتت العكس تماماً كما سبقت الاشارة الى ذلك، حيث لعب سلاجقة الروم واتباعهم التركمان دوراً كبيراً في امتصاص زخم هجوم حملة بربروسا وعرقلوا سير حملته، عن طريق شن الهجمات على جنده، بهدف قتلهم وسلب اموالهم ومنعهم من الحصول على المؤن، مما ادى الى استنزاف قوة تلك الحملة. ثم تصدوا لها قرب قونية في معركة فاصلة هزموا فيها، ولم يسمحوا للحملة الالمانية بالعبور عبر بلادهم الا بعد ان اجبروا على ذلك.

لقد كان الامبراطور بربروسا يرى بان المسلمين هم اعداؤه الحقيقيون فلذلك انتقم منهم وقتل منهم عدداً كبيراً بعد احتلاله مدينة قونية واحرق اسواق المدينة، كما ارغم قلج ارسلان على وضع امرائه تحت تصرفه واجبرهم على

---

(1) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 123.

(2) ابو شامة، الروضتين، حـ2، ص 156.

مرافقته كما اشير الى ذلك من قبل. واستمر التركمان يهاجمون الجيش الالماني ويقتلونهم ويأسرونهم حتى بعد دخولهم ارمينيا الصغرى[1].

ضعفت الحملة الالمانية بعد عبورها مملكة سلاجقة الروم، وازدادت ضعفاً بعد غرق بربروسا في احد انهار ارمينيا الصغرى، لذلك لم يكن لها تأثير يذكر على سير الاحداث في بلاد الشام، لانها لم تشكل خطراً على المسلمين، بعكس توقعاتهم، حيث لم يصل الى انطاكية سوى عدد محدود من الجنود الالمان وهم منهوكي القوى[2].

ومن الملاحظ ان موقف سلاجقة الروم من الحملة الصليبية الثالثة كان مغايراً عن موقفهم من الحملة الصليبية الاولى والثانية، اذ انهم حاربوا صليبيي الحملة الاولى والثانية دون هوادة، بينما حاول قلج ارسلان وابنه ملكشاه مساومة الملك الالماني بربروسا والسماح له بالمرور عبر بلادهم دون التصدي له، ثم تراجعوا عن موقفهم، خوفاً من ان يتهموا من قبل المسلمين بالتآمر على الاسلام.

وسبب اتخاذ قلج ارسلان ذلك الموقف يرجع الى تغير الوضع السياسي في الشرق الاسلامي في اواخر القرن 6هـ/ 12م، كما ينبغي الاشارة الى ان قلج ارسلان كان بطبيعته ميالا الى اقامة علاقات دبلوماسية مع جميع الدول والممالك، وظن بانه سيتجنب بدهائه السياسي مواجهة الجيش الالماني. الا ان كبر سنه وخروج اولاده عن طاعته وتحكم ابنه قطب الدين ملكشاه في امر السلطنة، جعل موقف قلج ارسلان ضعيفاً.

ومن الجدير بالملاحظة ان تواجد الصليبيين في المشرق خلال فترة الاحتلال للعديد من المدن الاسلامية وبحدود قرن من الزمان ساعدهم على تكوين العلاقات بينهم وبين المسلمين واصبحت مسألة اجراء الاتصالات وتبادل السفارات وعقد الهدن والاتفاقيات مسالة اعتيادية بين الجانبين، وبدأت نظرة

(1) ابو شامة، الروضتين، جـ2، ص 156.

(2) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 128.

الصليبيين تتغير نحو المسلمين، بعد معايشتهم واطلاعهم عن كثب على تحضر المسلمين وسمو اخلاقهم، فزال تعصبهم ضد المسلمين بالتدريج.

وعلى الرغم من ان هدف الحملة الالمانية كان بيت المقدس ومحاربة صلاح الدين، لكن الكثير من مسلمي بلاد الاناضول وسلاجقة الروم عموماً تصدوا للحملة الالمانية لانهم وجدوا في مساندة صلاح الدين ومسلمي بلاد الشام واجبا جهادياً يتحمله جميع المسلمين.

رابعاً : علاقة سلاجقة الروم بالامارات الصليبية

حققت الحملة الصليبية الاولى بعض اهدافها، حيث سيطر الصليبيون على الاماكن المقدسة، كما اقاموا عدداً من الامارات الصليبية على الارض الاسلامية، كان من ابرزها مملكة بيت المقدس وامارة الرها وانطاكية وطرابلس. وكانت الاراضي التابعة لها تمتد من الشمال الى الجنوب، بموازاة ساحل البحر المتوسط.

كانت امارة الرها تجاور مملكة سلاجقة الروم وتقع الى الجنوب الشرقي منها. وبعد سقوطها سنة 539هـ/ 1144م على يد عماد الدين زنكي تم تقسيم المناطق التابعة لها بين نور الدين زنكي وسلاجقة الروم، وبذلك اقتربت حدود مملكة السلاجقة من امارة انطاكية الصليبية.

وبحكم الجوار والعداء التقليدي بين المسلمين والصليبيين دخل سلاجقة الروم في حروب مع الصليبيين في هاتين الامارتين. كما اقاموا علاقات سلمية احيانا مع امارة انطاكية ودافعوا عنها خوفاً من سقوط انطاكية بيد الارمن، لانهم كانوا يعدون تلك المدينة ضمن مناطق نفوذهم سيما وأن مؤسس دولتهم سبق له وان استولى عليها سنة 477هـ/ 1084م، فضلا عن موقعها الجغرافي واهيمتها التاريخية[1]. اما مملكة بيت المقدس وامارة طرابلس فكانت بعيدتين عن حدود سلاجقة الروم لذلك لم تكن ثمة علاقة تذكر بين سلاجقة الروم وبين الصليبيين

(1) جلانفيل دواني، انطاكية القديمة، ترجمة ابراهيم نصحي، (القاهرة: 1967)، ص 15 وما بعدها.

في تلك الامارات. وان وجدت اشارات في المصادر الى وجود نوع من العلاقات فكان عن طريق امارة انطاكية او بتأثيرها.

لذلك سيقتصر هذا المبحث على العلاقات القائمة بين سلاجقة الروم من جهة وامارتي الرها وانطاكية من جهة اخرى كما سنذكره.

العلاقات مع امارتي الرها وانطاكية:

تاسست امارة الرها في شمال سوريا على يد الامير بلدوين سنة 490هـ/ 1097م، الذي انفصل عن الحملة الصليبية الاولى وتوجه شرقاً، ونجح في تاسيس امارة مستقلة، مستفيداً من تواجد الارمن في منطقة كيليكيا ومدن الرها ومرعش، فاصبح اميراً على الرها والمناطق المحيطة بها مثل مرعش وسميساط وتل باشر والبيرة، ثم مد نفوذه نحو الجنوب، واصبحت كيسوم وبهسنا وعين تاب ورعبان تحت سيطرته احياناً وبذلك جعل حدود امارته متاخمة مع حدود امارة انطاكية[1].

وفي الوقت نفسه نجح الصليبيون في احتلال انطاكية 490هـ/ 1097م، في اعقاب محاصرتها وفشل السلاجقة في فك الحصار عنها[2]، وأسس بوهيموند النورماندي امارة مستقلة في انطاكية وارتبط تأسيسها بشخصه، فخالف بذلك ما اتفق عليه مع الامبراطور البيزنطي حول اعادة الاراضي والمدن البيزنطية السابقة للامبراطور[3]. ولم تقف اطماع بوهيموند عند حدود انطاكية وانما بدأ يتطلع الى مد نفوذه نحو شمال بلاد الشام[4].

وعندما تقدم بوهيموند مع خمسة الاف فارس شمالاً، لنجدة الارمن في ملاطية ضد المسلمين، اصطدم بالملك غازي الدانشمندي الذي انتصر عليه ووقع

(1) حول تاسيس امارة الرها الصليبية ينظر: Runciman, Op. Cit., vol. 1, pp. 202- 212;
عاشور، الحركة الصليبية، حـ1، ص 172-187.

(2) مؤلف مجهول، اعمال الفرنجة، ص 49 وما بعدها.

(3) نفسه، ص 30-33.

(4) Runciman, Op. Cit., vol. 1, pp. 249-262.

بوهيموند في اسره سنة 493هـ/ 1100م فاصبح رهينة ثمينة بيد الملك غازي[1].

دفع الخطر الصليبي قلج ارسلان الاول وغازي الدانشمندي الى وضع خلافاتهما جانبا وقررا التعاون بينهما، لذلك سعيا الى توحيد صفوف المسلمين في الاناضول، للوقوف بوجه التوسع الصليبي، فنجحا في وضع حد لذلك التوسع، بعد ان ألحقا الهزيمة بالحملة اللمباردية سنة 494هـ/ 1101م والحملات الاخرى التي عبرت القسطنطينية، لاختراق اسيا الصغرى على امل الوصول الى بلاد الشام كما سبقت الاشارة الى ذلك. استقر قلج ارسلان في قونية بعد تلك الانتصارات، مستفيداً من الخلاف بين الصليبيين ولا سيما صليبيي انطاكية من جهة والدولة البيزنطية من جهة اخرى[2].

كانت هزيمة الصليبيين على يد سلاجقة الروم في اسيا الصغرى سنة 494هـ/ 1101م موضع ارتياح لدى صليبيي انطاكية، لانها ادت الى تقوية سلطة قلج ارسلان الاول، فاصبح من المتعذر على الامبراطور البيزنطي الكسيوس ارسال حملة عسكرية عبر اسيا الصغرى وكيليكيا، لاستعادة انطاكية منهم[3].

وقد اثمر التعاون بين قلجٍ ارسلان وغازي الدانشمندي عن تثبيت سلطنة سلاجقة الروم في قونية، فضلاً عن تقوية مركزه في اسيا الصغرى بصورة عامة. وبدلاً من استمرار التعاون بينهما وتوحيد جهودهما ضد الصليبيين في بلاد الشام، بدأ التنافس يظهر من جديد بين سلاجقة الروم والدانشمنديين وبدأ قلج ارسلان الاول يتوجه للسيطرة على مناطق الشرق الاسلامي، بدلا من مهاجمة امارة الرها الصليبية[4].

طلب قلج ارسلان من غازي الدانشمندي ان يعطيه نصف الفدية التي

---

(1) ابن الاثير، الكامل، حـ9، ص 29.

(2) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 135؛ مؤلف مجهول، اعمال الفرنجة، ص 102.

(3) Runciman, Op. Cit., vol.2, p. 33.

(4) عاشور، الحركة الصليبية، حـ1، ص 195.

عرضها الامبراطور البيزنطي الكسيوس على الملك غازي الدانشمندي لقاء اطلاق صراح بوهيموند والبالغة (260) الف دينار، فرفض غازي الدانشمندي طلبه. الا ان الكسيوس لم يدفع الفدية التي عرضها، فقام الصليبيون في بلاد الشام بجمع الفدية واشترك الارمن في كيليكيا بدفعها، حيث قدموا لغازي الدانشمندي مائة الف دينار فقط مقابل اطلاق سراح بوهيموند من الاسر(1).

واثناء اجراء المفاوضات لاطلاق سراح بوهيموند، اقترح الامير الصليبي المأسور على الملك غازي اقامة تحالف بينهما، بعد اطلاق سراحه، ضد قلج ارسلان والامبراطور الكسيوس. وانفرد غازي الدنشمندي باخذ الفدية من الصليبيين واطلق سراح بوهيموند الذي رجع الى انطاكية واستلم عرش امارتها من ابن اخيه تانكرد دون مشاكل(2).

ادى اطلاق سراح بوهيموند ورجوعه الى انطاكية، الى زيادة مخاوف الامبراطور الكسيوس، لذا بدأ يتقرب من قلج ارسلان وحسن علاقاته معه، فازداد مركز سلاجقة الروم قوة، حيث توجه قلج ارسلان نحو ملاطية واستولى عليها سنة 497هـ/ 1104م(3).

ولم يمكث بوهيموند طويلا في انطاكية، اذ سرعان ما رجع الى اوربا وقام بجمع قوة جديدة من النورمان، لمهاجمة الدولة البيزنطية والسيطرة على القسطنطينية. لذلك طلب الكسيوس من قلج ارسلان ان يمده بقوة عسكرية، للوقوف بوجه بوهيموند ومنعه من تحقيق اطماعه، فاستجاب قلج ارسلان لطلبه وارسل خيرة فرسانه للقتال الى جانب الامبراطور البيزنطي. وقد إشتركت تلك القوة في القتال فعلاً وساهموا في انتصار الكسيوس الذي الحق الهزيمة ببوهيموند وفرض شروطه عليه(4).

(1) Baldwin, Op. Cit., p. 388.
(2) Baldwin, Op. Cit, p. 388.
(3) Cahen, Op. Cit., p. 86.

(4) ابن الاثير، الكامل، حـ9، ص 109.

يعد ارسال قلج ارسلان قوة عسكرية للوقوف بجانب الامبراطور البيزنطي عملا سياسيا ينم عن ذكاء، لانه ساعد على تصدع الحلف الصليبي البيزنطي ضد المسلمين وبدأ الصراع العسكري بينهم، مما ادى الى بعثرة جهودهم وانشغالهم بالحرب في اوربا بدلاً من مهاجمة المشرق الاسلامي.

استغل قلج ارسلان اندلاع الحرب بين الكسيوس وبوهيموند، فتقدم جنوبا وهاجم امارة الرها سنة 500هـ/ 1107م، واستولى على القلاع القريبة منها الا ان تحصينات المدينة حالت دون استيلائه عليها[1]، فتركها وتوجه نحو حران لاتخاذها قاعدة لبسط سلطانه على منطقة الجزيرة كما سبقت الاشارة الى ذلك.

ويعد هجوم قلج ارسلان على مدينة الرها اول محاولة جادة من سلاجقة الروم لانهاء النفوذ الصليبي في جنوب شرق مملكتهم، لان امارة الرها كانت تحول بين سلاجقة الروم ووصولهم الى بلاد الشام والعراق، فضلا عن تحكمها في طرق المواصلات بين مملكة سلاجقة الروم وبغداد مركز الخلافة العباسية.

واوردت الدكتورة عليه عبد السميع بان امير ملاطية طغرل ارسلان بن قلج ارسلان، انضم الى امير الرها جوسلين الاول وملك مملكة بيت المقدس بلدوين الثاني سنة 518هـ/ 1124م ضد رضوان بن تتش امير حلب، مما يوحي بوجود انقسام في صفوف سلاجقة الروم في اعقاب وفاة قلج ارسلان، علما ان طغرل ارسلان لم يكن سلطانا على سلاجقة الروم وانما كان اميراً على ملاطية. واوردت ايضاً بان جوسلين الاول هاجم مملكة سلاجقة الروم سنة 526هـ/ 1131م، مستغلاً النزاع بين السلطان مسعود واخيه عرب، الا ان جوسلين توفي اثناء الحملة وانسحب المهاجمون دون ان يلاحقهم السلطان مسعود الذي اعطاهم فرصة الانسحاب احتراماً لملكهم المتوفي[2].

وظلت العلاقات عدائية بين سلاجقة الروم وامارة الرها، حيث قام

(1) Vryonis, Op. Cit., p. 159; Runciman, Op. Cit., vol. 2, p. 110.

(2) امارة الرها الصليبية، (القاهرة: 1975)، ص 160-161.

السلطان مسعود بشن هجوم على كيسوم سنة 537هـ/ 1138م فاستولى على القلعة والقرى المحيطة بها[1]. الا انه انسحب بسرعة نحو الشمال لانه لم يكن يرغب في التورط في حرب مع الامراء المسلمين في بلاد الشام وان يصبح مصيره مثل مصير ابيه وجده.

وبعد سقوط امارة الرها على يد اتابك الموصل عماد الدين زنكي سنة 539هـ/ 1144م[2]، بدأ السلطان مسعود يتطلع الى السيطرة على تركة الامارة المذكورة، ودخل في تحالف مع نور الدين زنكي اتابك حلب وزوجه ابنته، وتعاونا معاً في القضاء على الجيوب المتبقية من امارة الرها الصليبية كما سبق وان اشير الى ذلك.

ففي سنة 542هـ/ 1147م ارسل السلطان مسعود حملة سلجوقية تحت قيادة ابنه قلج ارسلان ضد الصليبيين، فهاجم مرعش. وفي الوقت نفسه توجه نور الدين على راس قواته نحو شمال سوريا، حيث تعاون الجيشان للقضاء على الجيوب المتبقية من الصليبيين في مرعش وتل باشر والحصون الاخرى[3].

وحاول امير انطاكية ريموند (530-544هـ/ 1136-1149م) هو الاخر الحصول على حصته من ميراث امارة الرها وحماية من تبقى فيها من الصليبيين من هجمات سلاجقة الروم ونور الدين. ولتحقيق اهدافه، تحالف مع ثوروس الارمني، ثم تحرك نحو الشمال وعبر جبال امانوس فتحرك مسعود باتجاه الجنوب[4]، لكن نور الدين سبقه في مهاجمة ريموند حيث الحق الهزيمة به وقتله، مما سهل مهمة السلطان مسعود في السيطرة على مرعش[5].

وفي سنة 544هـ/ 1149م اعاد السلطان مسعود اخضاع مرعش لسلطته، ثم

---

(1) نفسه، ص 161.

(2) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 279-280؛ ابن الاثير، الكامل، جـ9، ص 331- 332.

(3) Cahen, La Syrie, Op. Cit., p. 380; Ellisscef, Op. Cit., p. 409.
(4) William of tyre, Op. Cit., vol. 2, p. 200; Cahen, Pre- Ottoman Turkey, p. 99.
(5) Baldwin, Op. Cit., p. 516.

بدا بمهاجمة تل باشر مقر الامير الصليبي جوسلين الثاني الذي رضخ لشروط السلطان مسعود، معلنا تبعيته له، كما اطلق سراح الاسرى المسلمين، فضلاً عن ارساله اثني عشر فرسا مجهزاً هدية لسلطان سلاجقة الروم[1].

بدأ هجوم سلاجقة الروم النهائي على بقايا الصليبيين في شمال سوريا سنة 545هـ/ 1150م، بعد التنسيق مع نور الدين. واستولى السلطان مسعود على مدينة مرعش[2]. وعلى الرغم من هزيمة جيش نور الدين من قبل جوسلين الثاني صاحب تل باشر، الا ان نور الدين دبر امر اسر جوسلين، ثم بدأ بمهاجمة تل باشر، والسيطرة على حصون الصليبيين في الشمال. وقام نور الدين بتسليم تل باشر الى السلطان مسعود[3].

وكان تل باشر يعد العاصمة الثانية للصليبيين في شمال سوريا بعد الرها، لذلك فإن السيطرة عليها لا تقل اهمية عن فتح الرها. ونظراً لاهمية موقعها فقد استقر فيها السلطان مسعود ومد سلطته الى كيسوم وبهسنا ورعبان ومرزبان، ثم اخضع دلوك وعينتاب[4].

ادى التعاون بين سلاجقة الروم ونور الدين الى تصفية الجيوب الصليبية من امارة الرها في شمال بلاد الشام، وبذلك يمكن القول ان سلاجقة الروم ساهموا في القضاء على امارة الرها وتقسيم ممتلكاتها مع نور الدين زنكي وهذا يعني انهم ساهموا في جعل الموقف الاسلامي قويا ازاء الصليبيين وتحولهم من حالة الدفاع الى الهجوم، حيث توالى سقوط الحصون والقلاع التي استولى عليها الصليبيون في بلاد الشام على يد نور الدين، ومن بعده صلاح الدين.

وبعد وفاة السلطان مسعود سنة 550هـ/ 1155م وانتقال السلطة الى ابنه قلج ارسلان، بدأت الخلافات تتعمق بينه وبين نور الدين، حول مناطق النفوذ في

(1) Ellisseef, Op. Cit., p. 409.

(2) ابن حوقل، صورة الارض، ص 167.

(3) William of Tyre, Op. Cit., vol. 2, p. 200.

(4) Ibid,, vol. 2, p. 208; Grousset, Op. Cit., vol.2, pp. 300-307.

شمال سوريا، وبدأ نور الدين بمهاجمة الحصون والقلاع التابعة لسلاجقة الروم، بما فيه تل باشر وفي الوقت نفسه بدأ يتقرب من الامبراطور البيزنطي مانويل، حيث حصل تفاهم بينهما سنة 554هـ/ 1159م، لان مانويل كان يريد ان يبقى نور الدين قويا حتى يهدد باستمرار الصليبيين في بلاد الشام، مما يدفعهم الى التقرب من البيزنطيين واعلان ولائهم للامبراطور مانويل ولا سيما صليبيو انطاكية، لان البيزنطيين كانوا يعدون مدينة انطاكية جزءاً من ممتلكاتهم[1]. وفي الجانب الاخر كان الصليبيون يريدون ان يبقى سلاجقة الروم اقوياء لكي يكون الامبراطور البيزنطي في حاجة الى مساعدتهم ضدهم[2].

وعندما بدأ نور الدين يتقدم نحو شمال سوريا سنة 555هـ/ 1159م[3]، اضطر قلج ارسلان ان يحسن علاقاته مع الامير الارمني ثوروس وامير انطاكية ريجنالد وملك بيت المقدس بلدوين الثالث، حيث ارسل سفراءه اليهم، دعاهم الى تشكيل تحالف ضد نور الدين[4].

ان اتصالات قلج ارسلان مع الملوك والامراء الصليبيين، ودعوتهم الى التحالف معه ضد نور الدين، كانت مناورة سياسية لجأ اليها سلطان الروم، لتخويف نور الدين، حتى يتوقف عن مهاجمة المناطق التابعة له في شمال سوريا، ويظهر ان القادة الصليبيون فطنوا الى مناورات قلج ارسلان، اذ لا يوجد أي دليل يشير الى انهم ساعدوه او هاجموا المناطق التابعة لنور الدين في بلاد الشام، لتخفيف الضغط عليه، بدليل اضطرار قلج ارسلان الى عقد الصلح مع نور الدين سنة 456هـ/ 1160م[5].

وفي سنة 568هـ/ 1172م طلب نور الدين من قلج ارسلان مساعدة عسكرية، لمهاجمة انطاكية، استناداً الى بنود الصلح بينهما، فتلقى تحذيراً من

(1) Runciman, Op. Cit., vol.2, p. 356.
(2) Cahen, Op. Cit., p. 100.
(3) Stevenson, Op. Cit., p. 190.
(4) Wolf, Op. Cit., p. 640.
(5) Cahen, la Syrie, p. 404; Ellisseef, op. Cit p. 548.

الامبراطور مانويل بعدم الانضمام الى نور الدين، لمهاجمة انطاكية[1]. لم يستجب قلج ارسلان لطلب نور الدين، ليس بسبب تحذير مانويل له، وانما لم يرق له زيادة نفوذ نور الدين، فضلاً عن اطماعه في انطاكية.

وعلى الرغم من وجود خلافات بين الدولة البيزنطية والصليبيين في بلاد الشام، الا ان الهزيمة التي منيت بها امبراطورية الروم في معركة ميريوكيفالون سنة 572هـ/ 1176م، على يد سلاجقة الروم، ادت الى ضعف تلك الامبراطورية، ولم يعد بمقدورها التدخل في شؤون بلاد الشام او اسناد الامارت الصليبية فيها، مما ادى الى ضعف تلك الامارات ووقوعها تحت نفوذ السلاطين والامراء المسلمين، فبدأ سلاجقة الروم يتطلعون الى انطاكية في عهد السلطان سليمان الثاني[2].

وبدأ الصراع على انطاكية فعلا بين سلاجقة الروم من جهة وامراء ارمينيا الصغرى من جهة ثانية والملك الظاهر بن صلاح الدين امير حلب من جهة ثالثة. ففي سنة 597هـ/ 1201م ارسل امير انطاكية بوهيموند الثالث (558-597هـ/ 1163-1201م) هداياه الى السلطان سليمان بن قلج ارسلان، للوقوف الى جانبه ضد الامير الارمني ليو الثاني الذي كان يريد السيطرة على انطاكية، فهاجم السلاجقة الارمن. وبعد انسحاب السلاجقة من ارمينيا بدأ ليو الثاني بمهاجمة انطاكية[3]. ولم يتدخل الملك الظاهر في ذلك الصراع، بسبب انشغاله في النزاع الذي اندلع بين افراد البيت الايوبي من اجل دمشق[4].

وفي سنة 605هـ/ 1208م بدأ السلطان كيخسرو الاول بغزو ارمينية الصغرى، لنجدة بوهيموند الرابع (597- 630هـ/ 1201-1233م) امير انطاكية الذي استغاث به على الارجح[5]، فنجح في الحاق الهزيمة بالامير الارمني ليو

(1) Runciman, Op. Cit., Vol.2, p. 395.
(2) Ibid, vol. 2, p. 414.
(3) Wolf, Op. Cit., p. 649-50.

(4) ابن واصل، مفرج الكروب، حـ3، ص 120-134.

(5) حسين محمد عطية، امارة انطاكية الصليبية والمسلمون، (الاسكندرية: 1989)، ص 281.

الثاني، بعد ان انضم اليه حليفه الملك الظاهر. وانسحب كيخسرو من اراضي ارمينية الصغرى، استجابة لدعوة الملك العادل، بعد ان فرض شروطه على الامير الارمني. وكان من بين تلك الشروط ان يمتنع الامير الارمني عن التدخل في شؤون امارة انطاكية[1]. وفي سنة 612هـ/ 1215م هاجم السلطان كيكاوس الاول ارمينيا الصغرى واستولى على قلعة لؤلؤة، بسبب قيام ليو الثاني بمهاجمة انطاكية وطرده بوهيموند الرابع. وهو امر لا يقبله سلاجقة الروم، لانهم يريدون ضم مدينة انطاكية لدولتهم، فضلاً عن ان استيلاء الارمن على المدينة يؤدي الى تغيير ميزان القوى في المنطقة[2].

وعلى الرغم من ان ليو الثاني اطلق سراح الاسرى المسلمين في انطاكية، وتودد الى الملك الظاهر، لكن الاخير كان حليفاً لكيكاوس، فانضم اليه سنة 613هـ/ 1216م ضد ليو الارمني، لذلك لم يبق امام ليو الثاني سوى اعلان التبعية والخضوع للملك الظاهر[3].

لم يستقر الوضع في انطاكية للارمن، بسبب ضغط سلاجقة الروم عليهم، ورجع بوهيموند الرابع الى عرشه سنة 616هـ/ 1219م، بعد ان نجح كيكاوس في الحاق الهزيمة بليو الثاني واجباره على دفع الجزية[4].

وقام كيكاوس بتنسيق عملياته العسكرية مع الصليبيين في انطاكية سنة 615هـ/ 1219م ضد الايوبيين، حيث اتفق معهم بان يقوم بمهاجمة حلب، حالما يباشر الصليبيون بمهاجمة مدينة دمياط في مصر. وحصل كيكاوس على المال والسلاح من الصليبيين لتنفيذ خطتهما المشتركة[5]. وبذلك يكون كيكاوس قد

(1) ابن العديم، زبدة الحلب، حـ3، ص 160.

(2) ابن واصل، مفرج الكروب، حـ3، ص 233.

(3) نفسه، حـ3، ص 334.

(4) ابن بيبي، الاوامر العلائية، ص 236.

(5) Cahen, Op. Cit., p. 127; Mayer, Op. Cit., p. 211.

ارتكب خطأً جسيماً بسبب تحالفه مع الصليبيين ضد المسلمين[1].

وفي سنة 622هـ/ 1225م تحالف امير انطاكية بوهيموند الرابع مع السلطان علاء الدين كيقباد ضد الارمن واتفقا على مهاجمة كيليكيا، مما ادى الى صدور قرار الحرمان ضد امير انطاكية من قبل البابا، بسبب تحالفه مع المسلمين ضد المسيحيين الارمن. وفي الوقت الذي فشل امير انطاكية في احراز أي تقدم عبر ارمينيا الصغرى، فإن كيقباد دخل بلادهم واستولى على عدد من قلاعهم وحصونهم[2]، ويعني ذلك بان ذلك التحالف كان في صالح كيقباد لانه نجح في احداث شرخ في صفوف المسيحيين، فضلاً عن نجاحه في تحقيق اهدافه العسكرية في كيليكيا[3].

ويلاحظ ان سلاطين سلاجقة الروم سعوا الى اقامة علاقات مع امارة انطاكية منذ عهد سليمان الثاني، وتحالفوا معهم في عهد كيخسرو وكيكاوس وكيقباد، لمواجهة الارمن في كيليكيا[4]، فضلاً عن اطماعهم في انطاكية نفسها ورغبتهم في مد نفوذهم الى حوض نهر العاصي.

والشيء الملفت للنظر ان سلاطين سلاجقة الروم المتاخرين كانوا يتعايشون مع الصليبيين واليزنطيين، فكانوا يهاجمونهم تارة ويهادونهم ويتحالفون معهم تارة اخرى، بسبب المنافسة والصراع بينهم وبين الايوبيين. ويفسر ذلك استمرار امارة انطاكية، لان الصراع العسكري بين سلاجقة الروم والايوبيين منذ عهد كيكاوس تسبب في تصدع الجبهة الاسلامية، فضلاً عن الانقسام في صفوف الايوبيين والمنافسة والنزاع بين ملوكهم. لذلك لم يستطع الايوبيون القضاء على بقايا الصليبيين في بلاد الشام.

وبذلك يتحمل سلاجقة الروم مع الايوبيين، تصدع الجبهة الاسلامية

(1) سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، حـ8-ق2، ص 589.

(2) ابن الاثير، الكامل، حـ10، ص 469، عطية، امارة انطاكية، ص321.

(3) ابن بيبي، تواريخ ال سلجوق، ص 140- 141.

(4) Wolf, Op. Cit., p. 682.

وضعفها، مما جعل المسلمين عاجزين في القضاء على الامارات الـصليبية الـضعيفة في بلاد الشام، مثل امارة انطاكية، فضلاً عن عجزهم في التصدي للخطـر المغـولي الذي جاءهم من الشرق.


الملاحق

ملحق رقم (1)

رسالة من الخليفة الناصر لدين الله الى السلطان كيكاوس الاول

الحمد لله ذي العظمة والكبرياء، والنعم العزاز والالاء، والمنن المتجاوزة حد الحصر والاحصاء، مستاثر اوليائه بمزية الاجتباء، ومحول اصفيائه بالمنح والحباء، باعث نبيه محمد-صلى الله عليه واله-بانوار الهداية الباهرة، والبراهين والحجج القاهرة والكفر قد نشر لواؤه وظهر ظهوره واستعلاؤه وانبسط تمكنه واستيلاؤه فأبعد (صلى الله عليه وسلم) من الضلال، ونقى من داء الجهالة العضال، وروض ربع الديانة بعد الجدب والامحال، ومحى اثر الجاهلية، ودحض ونصح الله في اعلاء كلمته ومحض وقمع الزيغ والهوى، ورقم من ضل وغوى، واقامة سناد الايمان بعدما تأود والتوى، فصلى الله عليه وعلى اله الاطهار والائمة الاظهار وعلى عمه وصنو ابيه العباس بن عبد المطلب الذي تضالت الكواكب دون مناقبه ومعاليه، وسحّ ببركته السحاب، وانحلت عزاليه وعلى اخيه وابن عمه وناصر شريعته وباب علمه وسيف نصره ولسان حكمه والمحقق لمن باهى به وفاخر والباذل جهده في جهاد من اتخذ مع الله الها آخر، وناصر دين الله خير الانصار، والصابر في اقامة حق الله حين الاصبار. والقائم بسنن الملة وفرائضها، والعارف باسرار العلوم وغوامضها، امير المؤمنين وامام المتقين علي بن ابي طالب الذي استؤثر من حضرة النبوة بشرف الاخوة، وخص دون الناس بمماجد الفتوة، فأعلن جبرائيل عليه السلام بما أناله الله أو جبريل من الفخار ((لافتى الا علي ولا سيف الا ذو الفقار)) وعلى من افضى الله تعالى اليه ميراث النبوة، ومماجد الخلافة ومفاخرها، خليفة الله تعالى في ارضه، القائم بسنته وفرضه، سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على جميع الانام احمد الناصر لدين الله امير المؤمنين، وعلى ابائه الطاهرين الائمة المهذبين، والخلفاء الراشدين الذي انار الله تعالى بانوار مكارمه الشريفة الظلم الدوامس، وجدد بمراشد سيرته المقدسة هياكل الفتوة الطوامس، واقام بها

كل ما تأود من سنادها، والتوى من دعامتها وعمادها، واورى ما كبا من زنادها، واصفى بما ترنق من مناهلها، وتكدر من اورادها، حتى وضح نهجها السوي، وازداد استحكاما سببها القوي، فجزاه الله تعالى عن عبادة الذين اصطفاهم لسياسته، واجتباه لحياطتهم، وجعله لهم اماما وانزل عليهم باستخلافه فيهم سكينة وعصاما، خير ما جازى به اماما عن امته وخليفة عن رعيته ولما كان الملك الاجل السيد العالم العادل المجاهد عز الدين مجد الاسلام اختيار الانام، جلال الدولة، تاج الامة، قاتل الكفرة والمشركين، عماد المجاهدين ملك بلاد الروم ابو المظفر كيكاوس بن كيخسرو بن قلج ارسلان-اطال الله بقاءه وأدام سموه وعلوه- في التزام شروط التعبد والولاء وموقنا على النظر ومدرعا من اعتقاد افتراض الطاعة الواجبة الامامية افخر لباس، وابهى رداء، ارتمت به همته الراقية الى اكتساب المفاخر الخالدة، والماثر الباقية، وضرع في الانعام عليه بشرف الفتوة وتدريعه بلباسها الفاخر، وسربالها الفضفاض السابغ، واستشاره بشرف هذه الفضيلة، واعلاق يد سعادته بأكيد (هذه الوسيلة) اقتضى جده المسعود، ومكانه الاثيل المهود، اجابته الى ضراعته، واسعافه بطلبته، وانالته هذه البغية التي لايمنح بها الا من رسخت في الولاء اعراقه، وفاء عليه ظل الاختصاص، وألتفّت اوراقه، وقد جعل رسوله الشيخ الاجل العالم العابد الورع مجد الدين نجم الاسلام وفخر الطائفة، جمال الحقيقة، عمدة العارفين اسحق بن يوسف بن علي-ادام الله رفعته- وكيلا الى المواقف الشريفة، المتقدسة النبوية الطاهرة، الزكية الامامية المجدة المعظمة الناصرة لدين الله-صلوات الله وسلامه عليه-بهذه الوكالة الصادرة عن الامير الاجل، المؤيد المظفر، المجاهد: عزالدين أمير الامراء، ملك ملوك الخواص اينانج بلطا قتلو خيو اغا بك ابي اليمن(؟) نجاح الخاص، خاص امير المؤمنين- اطال الله بقاءه وادام علوه وسموه ورفعته-وكمل الخدمة الشريفة في الفتوة المقدسة -زادها الله اشراقا وقدسا- ونفذ على يده برسمه لباس شريف يحتوي بلبسه على اقسام الفخار ويتخذه جنة واقية من عذاب النار، فليتدرع جلابيب هذه المنحة

العظيمة ويسحب اذيالها ويتفرع مظاهر هـذه المفـاخر ويعـل قلاهـا وليستـشعر في الـسر والاعـلان، والاظهـار، والابطـان تقـوى الله تعـالى فإنهـا عنـوان الايمـان، ومصطلح الاديان والنور المشرق من سر الغيب على شـهادة الاعـلان، مراقبـا لمـا فرضه الله عليه من صلاته وصيامه، وقـرن في الفـرض بطاعتـه مـن طاعـة إمامـه، وليكن في التزام شروط الفتوة صدره سليماً، ونهجه قويما، وسننه مستقيما، عـاملا في جميع مرامية وساير مغازية بما اوضح الله في كتابـه العزيـز مـن اوامـره ونواهيـه فقال تعالى ((ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهي عن الفحـشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تـذكرون)) والله ولى التوفيـق لاحمـد نهـج وطريـق، وهو حسب من أتقاه، ولزم منهج هداه ورضاه، في سره ونجـواه، وقـد انعـم علـى مجد الدين اسحق الوكيل المذكور بان وكله ملك ملوك الخواص عز الدين في نقيبة من يرغب ويضرع في تشريفه بالفتوة الشريفة الى المواقف الشريفة المقدسة المعظمـة الممجدة، المكرمة النبوية الامامية الطاهرة الزكية الناصـرة لـدين الله -صـلوات الله وسلامه عليها- استصلاحه وبذل الاجتهاد، في اختياره واذ تفتى محمـد ولـد هـذا الوكيل المذكور الى هذا الحزب الشريف المقدس النبوي -نـصرها الله تعـالى- فقـد جعله ملك ملوك الخواص عز الدين الوكيل المذكور وكيلاً في ذلك بعد وفاة والده مجد الدين اسحق على قاعدته المشروطة المشروحة وكتب في شهر رمضان من سنة ثمان وستمائة والحمد الله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله الطـاهرين اجمعين[1].

---

(1) نقلاً عن: ابن بيبي، الاوامر العلائية، ص 219-222.

ملحق رقم (2)

رسالة جوابية من السلطان علاء الدين كيقباد الى السلطان جلال الدين منكبرتي

عندما خص الله تبارك وتعالى الجواهر والمفاخر والمناقب النادرة، وطينة المجلس اللطيف في الذات الشريفة في السلطان المعظم، الشاهنشاه الاعظم، شهريار البشر الاسكندر الثاني، صاحب قران العالم[1]، جلال الدين والدنيا علاء الاسلام والمسملين، محيي العدل في العالمين، مظهر الحق بالبراهين (المخصوص بعناية الله رب العالمين، ملك الملوك والسلاطين ادام الله جلاله ولقاه في الدارين نهاية اماله وصرف عين الكمال عن كماله بمجد وآله).

الحمد لله الذي حقق بلطفه العميم وكرمه الجسيم في استمالة قلوبكم وتوددكم وتلطفكم (أبى الفضل الا ان يكون لاهله) لهذا بادرت بالكتابة وسبقتنا في اقرار الود بيننا.

ما ان وصلت رسالتكم الشريفة التي تعد موضع مباهاتنا وافتخارنا، حتى زاد شوقنا الدفين سمواً نحوكم فبلغ علوه الثريا[2]، (وابرح ما يكون الشوق يوما إذا دنت الخيام من الخيام).

وعندما سمعنا بعلو راياتك لأخذ الثار من التتر الكفار الملاعين، لمداواة القلوب الجريحة من اهل الدين ووصلت الينا البشرى بانك استطعت بعلو همتك الانتقام منهم والله يعلم بانه اصبح فتح صفحة جديدة في علاقاتنا من امنياتنا.

---

(1) قران كلمة فارسية تعني النقود وهنا يأتي معناها بان السلطان هو صاحب سكة العالم ينظر: عميد، فرهنك عميد، حـ3، ص 1842.

(2) نجم الثريا هنا يرمز الى السماء.

ولا نخفي عليكم بان المخلص لكم يجاهد الكفار في اربعة جبهات (رحلة الشتاء والصيف تحت ظلال السيف). واشرتم في رسالتكم السامية الى فتح باب العلاقات بيننا فإن ذلك زادنا سروراً وغبطةً اولاً وعندما خصكم الله تعالى بهذه النعم (نعمة الفتح) فانه ليس بالامكان ان نخالفكم ثانياً.

وبعد مبادرتكم الكريمة بفتح باب العلاقات ولكي لا اطيل عليكم، وصل الينا الصدر الكبير العالم مجير الدولة والدين ظهير الاسلام والمسلمين نصير الملوك والسلاطين سناء الدولة القاهر ميناء الامه الباهر، مجتبى الخلافة المعظمة، امر الدنيا على الهدى، ملك الملوك، نواب قدوة الاكابر والصدور، نعمان الزمان، صدر الصدور لخوارزم وخراسان، افتخار العالم الطاهر، ادام الله تمكينه وجعل الصدق قرينه.

وبعد اطلاعنا على رسالتكم الشفوية التي نقلها الينا والتي ادت الى زيادة مودتنا لكم واثناء بقائه في ضيافتنا كان موضع محبتنا واعتزازنا.

ورداً على سفارتكم قررت ان ارسل اليكم امير سئهسالار صلاح الدين ادام الله تمكينه. وعندما يحضر ليقبل الارض بين يديكم فان ما يقوم به او ما يقوله او ما يفعله مردود الى صاحبكم واوافقه عليه.

نأمل ان يستمر النهج الذي وضعته بخصوص علاقاتنا الودية (لو كان فيما تراه من كرم فيه مزيد فزادك الله) حتى نبقى على ولائنا لبعضنا ونحتفظ بوسائل الاتصال بيننا. ارسلنا اليكم سفيرنا عسى ان يكون كلامه مسموعاً في مجلسكم السامي حتى يستطيع ان يعرض عليكم رغباتنا ومقترحاتنا لكي يظهر دليل اخلاصنا وصدق نوايانا إن شاء الله[1].

(1) Turan, Türkiye Selcukluları Hakınde Resmi Vesikalar, lxvi
(النص الفارسي، ص 102-105).

المراجع

المراجع

(اولا): اسفرت الحملات العسكرية المتعاقبة التي قادها السلاجقة ضد الدولة البيزنطية عن نجاحهم في اختراق الدفاعات البيزنطية والسيطرة بالتدريج على بلاد الاناضول ثم الاستقرار فيها.

(ثانيا): كان دافع الجهاد ونشر الاسلام من اهم العوامل التي دفعت السلاجقة في شن الغارات على اراضي الدولة البيزنطية والتوغل في اراضيها، وعدوا بلاد الروم دارجهاد يحق لهم السيطرة عليها والحصول على غنائم منها. وقد اشترك الكورد في حركة الجهاد تلك جنبا الى جنب مع المسلمين الترك وإنخرط العديد من الامراء الكورد في جيش سلاجقة الروم وساهموا في إقامة سلطنتهم وتدخلوا أحيانا في تنصيب السلاطين او عزلهم.

(ثالثا): استغرقت عملية تحول اسيا الصغرى من ارض يونانية الى ارض تركية مدة تزيد عن القرنين وتم ذلك بشكل تدريجي حيث تم تغيير الطابع السكاني للبلاد، بهجرة الترك الى الاناضول والاستقرار فيها وطبعوا البلاد بطبائعهم، حتى انهم غيروا اسماء المدن والمواقع الى اسماء تركية وضغطوا على سكانها الاغريق الذين اضطروا الى الرحيل نحو اوربا او الاندماج في المجتمع التركي الجديد.

(رابعا): تميزت سلطنة سلاجقة الروم بعدم الاستقرار بسبب الحروب المستمرة بينهم وبين الدولة البيزنطية، فضلا عن تعرض المناطق التي سيطروا عليها للغزو الصليبي وازدادت سلطتهم رسوخاً في النصف الثاني من القرن 6هـ/ 12م واصبحوا القوة الرئيسية في اسيا الصغرى.

(خامسا): بلغ سلاجقة الروم اوج قوتهم في عهد السلطان كيقباد الاول واصبحت دولتهم اقوى دولة في العالم السلامي، وكان عهده عهد ازدهار ورخاء وعمران، حيث شهد تاسيس الجوامع والمدارس والمواني التجارية.

(سادسا): نجح سلاطين سلاجقة الروم المتاخرين في اقامة علاقات جيدة مع الخلافة العباسية واعترف الخليفة الناصر والمستنصر بحكمهم وارسلا اليهم السفارات والخلع، فاعلنوا خضوعهم للخلافة وارسلوا بدورهم الهدايا والاموال الى بغداد.

(سابعا): تميزت علاقة سلاجقة الروم مع الدول والمماليك الاسلامية بالتذبذب وعدم الاستقرار، استندت الى المصلحة ودخلوا في منافسة ونزاع مع الايوبيين، فازدادت الجبهة الاسلامية ضعفا، بسبب ذلك فاصبحت مهمة المغول اكثر سهولة لاجتياح المشرق الاسلامي والسيطرة عليه.

(ثامنا): قامت دولة سلاجقة الروم في ارض الدولة البيزنطية وتوسعت على حسباهم، لذا تميزت العلاقة بين الجانبين بعداء تقليدي. ونجح السلاجقة في تحقيق نصر حاسم على البيزنطيين في معركة ملازطرد سنة 463هـ/ 1071م ومعركة ميريوكيفالون سنة 572هـ/ 1176م واجبروا البيزنطيين على عقد الهدنة معهم والتراجع نحو سواحل اسيا الصغرى الغربية. ومع ذلك كانت هناك فترات سلم وتبادل السفارات والزيارات بين الطرفين.

(تاسعا): واجه سلاجقة الروم زخم الهجمات الصليبية المتتالية وتصدوا لها وامتصوها وقضوا على عدد كبير من افراد تلك الحملات. وعلى الرغم من انهم فشلوا في مواجهة الحملة الصليبية الاولى وفقدوا عاصمتهم نيقية لكنهم استمروا في مقاومة الغزاة وقضوا على الصليبيين الذين توغلوا في اسيا الصغرى سنة 494هـ/ 1101م، كما الحقوا الهزيمة بالحملة الصليبية الثانية. الاانهم فشلوا في منع الحملة الالمانية من عبور اسيا الصغرى سنة 586هـت/ 1190م.

(عاشرا): بدأت المعالم الاسلامية تتوضح في بلاد الاناضول منذ اواخر القرن 6هـ / 12م حيث اقيمت الجوامع والمدارس وتم تعيين القضاة في مدن

بلاد الاناضول وطبق نظام الحسبة وفي الوقت نفسه ضمنت الحرية للمسيحيين من سكان بلاد الاناضول في ممارسة طقوسهم وشعائرهم الدينية، فضلا عن ازدهار الحياة الاقتصادية ولاسيما التجارية، فغدت بلاد الاناضول تتمتع بالرخاء والامان والاستقرار، بعد ان اصبحت مركزا لسلطة اسلامية قوية.

أولاً: باللغة العربية:

أ. المخطوطات:

ابن ابي عذيبة، شهاب الدين احمد بن عمر المقدسي الشافعي، (ت 856هـ/ 1452م)

1. انسان العيون في مشاهير سادس القرون، دار صدام للمخطوطات، بغداد، رقم (40057).

الحسيني، محمد بن محمد عبد الله بن ادريس، (ت؟)

2. انس المهج وروض الفرج (الفه سنة 588هـ/ 1192م) مصورة المكتبة المركزية- جامعة بغداد، رقم (165خ).

3. الذهبي، ابو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد الدمشقي، (ت 748هـ/ 1347م).

4. تاريخ الاسلام، مكتبة الدراسات العليا- جامعة بغداد، القسم الاول رقم (1659)، القسم الثاني رقم (1660).

5. **ابن العديم، كمال الدين عمر بن هبة الله، (ت 660هـ/1261م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، مصورة المجمع العلمي العراقي، صور في فرانكفورت عن مخطوطة رقم (3/2925)، احمد الثالث، مكتبة طوب قاى سراى استانبول، القسم الخامس والسابع.**

6. العمري، ابن فضل الله، شهاب الدين احمد بن يحيى، (ت 749هـ/ 1348م)، مسالك الابصار في ممالك الامصار، مصورة المجمع العلمي العراقي، عن مخطوطة جامعة فرانكفورت (رقم 2797/ 2).

7. الغساني، الملك الاشرف، ابو العباس اسماعيل بن العباس الاشرف، (ت803هـ/ 1400م)، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، مصورة، المجمع العلمي العراقي، رقم (432).

8. ابن قاضي شهبة، محمد بن ابي بكر، (ت851هـ/ 1448م)، الاعلام بتاريخ اهل الاسلام، مصورة المجمع العلمي العراقي، اربعة اقسام، (رقم7،8،9،10).

9. المرعشي، عمر بن حاجي علي، (ت؟)، اقليم نامه، مكتبة الدراسات العليا كلية الاداب، جامعة بغداد، رقم (358).

10. مؤلف مجهول، مختصر التاريخ الكبير، مكتبة اوقاف الموصل، خزانة حسين بك، رقم (10/ 15).

ب. المصادر الاولية:

1. ابن ابي اصيبعة، موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم بن خليفة، (ت 668هـ/ 1269م)، عيون الانباء في طبقات الاطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت: 1965).

2. الابيوردي، ابو المظفر محمد بن احمد بن اسحق، (ت507هـ/ 1113م)، ديوان الابيوردي، تحقيق عمر اسعد، مطبعة زيد بن ثابت، (دمشق:1974).

3. ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد الجزري، (ت630هـ/ 1232م)، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر احمد طليمات، دار الكتب الحديثة، (القاهرة:1963).

4. الكامل في التاريخ، راجعه وصححه، محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، (بيروت:1987).

5. الاسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن، (ت772هـ/ 1370م)، طبقات الشافعية، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، (بيروت:1987).

6. الاصطخري، ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي، (ت346هـ/ 957م)، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، دار القلم، (القاهرة:1961).

7. الاصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد، (ت597هـ/ 1200م)، البرق الشامي/ جـ3، تحقيق مصطفى الحياري، مؤسسة عبد الحميد شومان، (عمان:1987).

8. الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح، الدار القومية للطباعة والنشر، (القاهرة:1965).

9. الانصاري، شمس الدين ابي عبد الله محمد المعروف بشيخ الربوة، (ت727هـ/ 1327م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة بطرسبورغ، (بطرسبورغ: 1281هـ/ 1865م).

10. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، (ت779هـ/ 1377م)، رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار)، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، دار الكتب العلمية، (بيروت:د/ ت).

11. البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، (ت739هـ/ 1338م)

مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع وهو مختصر كتاب البلدان لياقوت الحموي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، (بيروت:1954).

البكري، عبد الله بن عبدالعزيز الاندلسي، (ت487هـ/ 1094م)

12. معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، (بيروت 1983).

البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ/ 892م)

13. فتوح البلدان، باشراف لجنة تحقيق التراث، منشورات مكتبة الهلال، (بيروت:1983).

البنداري، الفتح بن علي بن محمد، (ت643هـ/ 1245م)

14. تاريخ دولة آل سلجوق، دار الافاق الجديدة، (بيروت:1987).

15. سنا البرق الشامي، تحقيق رمضان ششن، دار الكتاب الجديد، (بيروت: 1971).

البيهقي، ابو الفضل محمد بن حسين، (ت470هـ/ 1077م)

16. تاريخ البيهقي، ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأت، دار النهضة العربية، (بيروت:1982).

التطيلي، بنيامين بن يونة النباري الاندلسي، (ت 569هـ/ 1173م).

17. رحلة بنيامين، ترجمة عزرا حداد، (بغداد: 1945).

ابن تغري بردي، ابو المحاسن جمال الدين يوسف الاتابكي، (ت874هـ/ 1469م).

18. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، (القاهرة:د/ ت).

ابن جبير، ابو الحسين محمد بن احمد الكناني الاندلسي، (ت614هـ/ 1217م)

19. رحلة ابن جبير، دار بيروت، (بيروت: 1984).

ابن الجزري، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابي بكر، (ت 739هـ/ 1339م)

20. المختار من تاريخ ابن الجزري المسمى (حوادث الزمان وانبائه ووفيات الاكابر والاعيان من ابنائه)، دراسة وتحقيق خضير عباس محمد خليفة المنشداوي، دار الكتاب المصري، (بيروت:1988).

ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي، (ت 597هـ/ 1200م)

21. المنتظم في تاريخ الملوك والامم، الدار الوطنية، (بغداد:1990م).

الحسيني، ابو الحسن علي بن ابي الفوارس، (ت 624هـ/ 1227م)

22. اخبار الدولة السلجوقية المسمى (زبدة التواريخ في اخبار الامراء والملوك السلجوقية)، تحقيق محمد نور الدين، دار اقرأ، (بيروت: 1986).

الحسيني، محمد بن مجيد بن عبد الله بن نظام الملك، (ت 743هـ/ 1342م)

23. العراضة في الحكاية السلجوقية، ترجمة وتحقيق عبد النعيم محمد حسنين وحسين امين، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد:1979م).

الحموي، ابو الفضائل محمد بن علي بن عبد العزيز، (ت 644هـ/ 1246م)

24. التاريخ المنصوري (تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان)، عني بنشره ووضع فهارسه بطرس غريازينويج، دار النشر للاداب الشرقية، (موسكو: 1960).

الحموي، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، (ت 626هـ/ 1228م)

25. معجم البلدان، دار صادر، (بيروت: د/ت).

الحميري، محمد بن عبد المنعم، (ت 727هـ/ 1327م)

26. الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، ط2، مطبعة دار السراج، (بيروت: 1980).

الحنبلي، احمد بن ابراهيم، (ت 876هـ/ 1471م)

27. شفاء القلوب في مناقب بني ايوب، تحقيق ناظم رشيد، دار الحرية، (بغداد: 1978).

الحنبلي، ابو اليمن القاضي مجير الدين، (ت 928هـ/ 1522م)

28.الانس الجليل بتاريخ القدس الخليل، قدمه محمد بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، (النجف:1968).

الحنبلي، ابو الفلاح عبد الحي ابن العماد، (ت 1089هـ/ 1678م).

29.شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، (بيروت: د/ت).

ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي، (ت 367هـ/ 977م)

30.صورة الارض، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت:1979).

ابن خرداذبة، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله، (ت 300هـ/ 913م)

31.المسالك والممالك، دار احياء التراث العربي، (بيروت:1988).

خسرو، ناصر، (ت 481هـ/ 1088م).

32.سفرنامه، ترجمة يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، (بيروت:1970).

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت 808هـ/ 1405م)

33.تاريخ ابن خلدون المسمى (العبر وديوان المبتدأ والخبر)، راجعه سهيل زكار، ط2، دار الفكر، (بيروت:1988).

ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت681هـ/ 1282م).

34.وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، (بيروت:1977).

الخوارزمي، ابو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف الكاتب، (ت387هـ/ 997م)

35.مفاتيح العلوم، نشر ادارة الطباعة المنيرية، (القاهرة: 1342هـ).

ابن الدبيثي، محمد بن سعيد، (ت637هـ/ 1239م)

36.ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، دار الحرية

للطباعة، (بغداد:1979).

الدواداري، ابو بكر بن عبد الله بن ايبك، (ت736هـ/ 1335م).

37. كنز الدرر وجامع الغرر، ج6: (الدرة المضيئة في اخبار الدولة الفاطمية)، تحقيق صلاح الدين، المنجد،قسم الدراسات بالمعهد الالماني للاثار، (القاهرة: 1961). ج7: (الدار المطلوب في اخبار ملوك بني ايوب)، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، (القاهرة:1972).

الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد بن احمد، (ت748هـ/ 1347م)

38. تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام (590-600هـ)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب اللبناني، (بيروت: 1997).

39. تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق بشار عواد معروف واخرون، مؤسسة الرسالة، (بيروت:1988).

40. دول الاسلام، دائرة المعارف العثمانية، حيد آباد، (الدكن:1337هـ).

41. سير اعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون، ط2، مؤسسة الرسالة، (بيروت:1992).

42. العبر في خبر من غبر، تحقيق ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، (بيروت:1985).

الراوندي، محمد بن علي بن سليمان، (ت599هـ/ 1202م)

43. راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، نقله الى العربية ابراهيم امين الشواربي وآخرون، (القاهرة:1960).

ابن رسته، ابو علي احمد بن عمر، (ت290هـ/ 903م)

44. الاعلاق النفيسة، دار احياء التراث العربي، (بيروت:1988)

ابن الساعي، ابو طالب علي بن انجب الخازن، (ت674هـ/ 1276م)

45. الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، نشره مصطفى جواد، المطبعة السريانية الكاثوليكية، (بغداد:1934).

46. نساء الخلفاء المسمى جهات الائمة الخلفا من الحرائر والنساء، حققه وعلق عليه مصطفى جواد، دار المعارف، (القاهرة: د/ ت).

سبط ابن التعاويذي، ابو الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله، (ت584هـ/ 1188م)

47. ديوان سبط ابن التعاويذي، صححه مرغليوث، مطبعة المقتطف، (القاهرة:1903).

سبط ابن الجوزي، شمس الدين يوسف بن قزاوغلي، (ت654هـ/ 1256م)

48. مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد:1951-1952).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر، (ت911هـ/ 1505م)

49. تاريخ الخلفاء، تقديم عبد الله مسعود، منشورات دار القلم العربي، (حلب:1991).

ابو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي، (ت665هـ/ 1266م)

50. الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، دار الجيل، (بيروت: د/ ت).

51. تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين المعروف بـ(الذيل على الروضتين)، دار الجيل (بيروت:1974).

ابن شاهنشاه، محمد بن تقي الدين عمر الايوبي، (ت617هـ/ 1220م)

52. مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشي، عالم الكتب،

(القاهرة:1968).

ابن الشحنة، محب الدين ابو الفضل محمد الحلبي، (ت884هـ/ 1479م)

53. الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت:1909).

ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع الاسدي، (ت632هـ/ 1234م)

54. النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، المؤسسة المصرية العامة للنشر، (القاهرة: 1964).

ابن شداد، عز الدين محمد بن علي، (ت 684هـ/ 1285م)

55. الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، ج3 ق1، تحقيق يحيى عبادة، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، (دمشق:1978).

الشيرازي، هبة الله بن موسى بن داود، (ت470هـ/ 1077م)

56. سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، تحقيق محمد كامل حسين، دار الكتاب المصري، (القاهرة:1949).

ابن الصابوني، جمال الدين ابو حامد محمد بن علي، (ت680هـ/ 1281م)

57. تكملة اكمال الاكمال في الانساب والاسماء والالقاب، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (بغداد:1957).

الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، (ت764هـ/ 1363م)

58. نكت الهميان في نكت العميان، وافق على طبعه احمد زكي بك، المطبعة الجمالية، (القاهرة:1911).

59. الوافي بالوفيات، حـ4، باعتناء س ديدرينغ، دار فرانزشتايز، (فيسبادن:1971)

60. امراء دمشق في الاسلام، تحقيق صلاح الدين المنجد، المجمع العلمي العربي، (دمشق:1951).

ابن الطقطقي، محمد بن علي طباطبا، (ت709هـ/ 1309م)

61. الفخـــري في الاداب الـــسلطانية والـــدول الاســـلامية، دار صـــادر، (بيروت:1960).

ابـــن العـــبري، غريغوريـــوس ابـــي الفـــرج بـــن اهـــرون الملطـــي، (ت685هـ/ 1286م)

62. تاريخ الزمان، نقله الى العربية الاب اسحق ارملـة وصـدر تباعـاً في مجلـة المشرق (1949-1956) بأسم تاريخ الدول السرياني، قدمه جان موريس فييه، دار الشرق، (بيروت:1991).

63. تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت:1957م).

ابن العديم، كمال الدين عمر بن هبة الله، (ت660هـ/ 1261م)

64. زبدة الحلب من تـاريخ حلـب، تحقيـق سـامي الـدهان، جــ1-3، المطبعـة الكاثوليكية، (بيروت:1951، 1954، 1968).

العظيمي، محمد بن علي، (ت556هـ/ 1160م)

65. تــاريخ العظيمــي، مخطوطـــة نـــشرها كلودكـــاهين في مجلـــة (J. A.)، (باريس:1938).

ابن العمراني، محمد بن علي، (ت580هـ/ 1184م)

66. الانباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي، نشريات المعهد الهولنـدي للاثار المصرية، (ليدن:1973).

العمري، شهاب الدين ابن فضل الله، (ت749هـ/ 1348م)

67. التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت:1988).

الغساني، اسماعيل بن العباس، (ت803هـ/ 1400م)

68. العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق شاكر محمود، دار التراث العربي للنشر والتوزيع، (بيروت:1975).

الفارقي، احمد بن يوسف بن الازرق، (ت572هـ/ 1176م)

69. تاريخ الفارقي، حققه وقدم له بدوي عبد اللطيف عوض، دار الكتاب اللبناني، (بيروت:1974).

ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن جعفر، (ت 732هـ/ 1331م)

70. تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، (باريس:1850م).

71. المختصر في اخبار البشر، المطبعة الحسينية، (القاهرة: د/ ت).

ابن الفرات، محمد بن عبد الرحيم، (ت807هـ/ 1404م).

72. تاريخ ابن الفرات، عني بتحرير نصه ونشره حسن محمد الشماع، مج4 ج1، مطبعة حداد، (البصرة:1967)، مج2، ج4، دار الطباعة الحديثة، (البصرة:1969).

ابن الفقية، ابو بكر احمد بن محمد الهمداني، (ت365هـ/ 975م)

73. مختصر كتاب البلدان، دار احياء التراث العربي، (بيروت:1988).

ابن الفوطي، كمال الدين ابي الفضل عبد الرزاق بن احمد، (ت723هـ/ 1323م)

74. تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب، تحقيق محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، (طهران:1995)

75. الحوادث الجامعة والتجارب النافعة (منسوب لابن الفوطي)، تحقيق بشار عواد معروف وعماد عبد السلام رؤوف، دار الغرب الاسلامي، (بيروت:1997).

ابن قاضي شهبة، محمد بن ابي بكر، (ت851هـ/ 1448م)

76. الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق محمود زايد، دار الكتاب الجديد، (بيروت:1971).

القرماني، ابو العباس احمد الدمشقي، (ت1019هـ/ 1610م)

77. اخبار الدول وآثار الاول في التاريخ، عالم الكتب، (بيروت: د/ ت).

القزويني، زكريا بن محمد، (ت682هـ/ 1283م)

78. اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، (بيروت:1960).

القفطي، ابو الحسن علي بن يوسف، (ت646هـ/ 1248م).

79. انباء الرواة على انباه النحاة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة:1952).

ابن القلانسي، ابو يعلى حمزة، (ت555هـ/ 1160م)

80. ذيل تاريخ دمشق، تحقيق آمدروز، مطبعة الاباء اليسوعيين، (بيروت:1908).

القلقشندي، احمد بن علي، (ت821هـ/ 1418م).

81. صبح الاعشى في صناعة الانشا، شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت:1987)

82. مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار احمد، عالم الكتب، (بيروت:1980).

ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي، (ت697هـ/ 1297م).

83. مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس، تحقيق مصطفى جواد، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، مطبعة الحكومة، (بغداد،1970).

الكاشغري، محمود بن الحسين بن محمد، (ت495هـ/ 1101م)

84. ديوان لغات الترك، دار الخلافة العلية، مطبعة العامرة، (استنبول:1332-1234هـ).

الكتبي، محمد بن شاكر، (ت764هـ/ 1363م)

85. عيون التواريخ، ج12، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، دار الحرية للطباعة، (بغداد:1977)

ابن كثير، اسماعيل بن عمر الدمشقي، (ت 774هـ/ 1373م).

86. البداية والنهاية في التاريخ، ط2، مكتبة المعارف، (بيروت:1977).

ابن المعمار، ابو عبد الله محمد بن ابي المكارم البغدادي، (ت642هـ/ 1244م)

87. كتاب الفتوة، قدم له مصطفى جواد، تحقيق عبد الحليم النجار واحمد ناجي القيسي، مطبعة شفيق، (بغداد:1958).

المقدسي، محمد بن محمد احمد البناء البشاري، (ت380هـ/ 990م)

88. احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، دار احياء التراث العربي، (بيروت:1987).

المقريزي، تقي الدين احمد بن علي، (ت845هـ/ 1441)

89. اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا، تحقيق محمد حلمي احمد، مطابع الاهرام التجارية، (القاهرة:1971-1973).

90. السلوك لمعرفة دول الملوك، صححه محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة:1934).

المنذري، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي، (ت656هـ/ 1258م)

91. التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة،

(بيروت:1988).

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الانصاري، (ت711هـ/ 1311م)

92. لسان العرب، اعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، (بيروت: د/ ت).

مؤلف مجهول(ت: ؟).

93. اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي، (القاهرة:1958).

مؤلف مجهول، (ت632هـ/ 1234م)

94. تاريخ الرهاوي، عربه عن السريانية الاب البير ابونا، مطبعة شفيق، (بغداد:1986).

ابن منقذ، اسامة بن مرشد الكناني، (ت584هـ/ 1288م)

95. كتاب الاعتبار، حرره فيليب حتي، مطبعة جامعة برنستون، (الولايات المتحدة:1930).

النسوي، محمد بن احمد، (ت639هـ/ 1241م)

96. سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق حافظ احمد حمدي، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، (القاهرة:1953).

الهروي، ابو الحسن علي بن ابي بكر، (ت611هـ/ 1214م)

97. الاشارات الى معرفة الزيارات، تحقيق جانين سورديل، المعهد الفرنسي، (دمشق:1953).

ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، (ت697هـ/ 1298م)

98. مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج1-3، تحقيق جمال الدين الشيال، ج1، مطبعة فؤاد الاول، (القاهرة:1953)، ج2، المطبعة الاميرية،

(القاهرة: 1957)، ج3، دار القلم، (القاهرة: 1961)، ج4-5، تحقيق حسنين محمد ربيع، مطبعة دار الكتب، (القاهرة:1972، 1977).

ابن الوردي، زين الدين عمر بن مصطفى، (ت749هـ/ 1348م)

99. تاريخ ابن الوردي المسمى (تتمة المختصر في اخبار البشر)، المطبعة الحيدرية، (النجف:1969).

اليافعي، عبد الله بن اسعد، (ت 768هـ/ 1366م)

100. مراة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط2، مؤسسة الاعلمي، (بيروت: 1970).

اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن واضح، (ت284هـ/ 897م)

101. كتاب البلدان، دار احياء التراث العربي، (بيروت:1988).

اليونيني، موسى بن محمد بن احمد بن قطب الدين البعلبكي، (ت726هـ/ 1326م)

102. ذيل مرآة الزمان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد الدكن:1954).

جـ . المراجع الثانوية:

استارجيان، ك.ل

1. تاريخ الامة الارمنية، مطبعة الاتحاد الجديد، (الموصل:1951).

إقبال، عباس.

2. الوزارة في عهد السلاجقة، ترجمة احمد كمال الدين حلمي، مطبوعات الجامعة، (الكويت:1984).

أميل، بول.

3. تاريخ ارمينيا، ترجمة شكري علاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت:

د/ ت).

امين، حسين

4. تاريخ العراق في العصر السلجوقي،مطبعة الارشاد ،(بغداد :1965).

إيليسيف، نيكيتا

5. الشرق الاسلامي في العصر الوسيط،ترجمة منصور ابو الحسن،موسسة دار الكتاب الحديث،(بيروت:1986).

بارتولد، **ف**

6. الانجاز ،دائرة المعارف الاسلامية ،دار المعرفة ،(بيروت:د/ ت)،حـ1، ص20-23.

7. تركستان من الفتح الاسلامي الى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، (الكويت:1981).

8. تاريخ الترك في اسيا الوسطى ،ترجمة احمد السعيد سليمان ،مكتبة الانكلو مصرية، (القاهرة:1958).

بارکر، **ارنيست**

9. الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني،مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة:1960).

الباشا، الحسن

10. الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والاثار، الدار الفنية، (القاهرة:1989).

ابو بدر، شاكر احمد

11. الحروب الصليبية والاسرة الزنكية، قسم الدراسات العليا، (بيروت:1972).

براون، ادوارد جوانفيل

12. تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي، ترجمة ابراهيم امين الشواربي، مطبعة السعادة، (القاهرة :1964).

بروكلمان، **كارل**

13. تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، (بيروت:1979).

بروى، ادوارد

14. القرون الوسطى، سلسلة تاريخ الحضارات العام، ترجمة يوسف اسعد داغر وفريد م. داغر، منشورات عويدات، (بيروت:1965).

تشرستين، **ك، ف**

15. سليمان بن قتلمش، دائرة المعارف الاسلامية، دار المعرفة، (بيروت:د/ت)، حـ12، ص175-76.

توفيق، **عمر كمال**

16. تاريخ الدولة البيزنطية، الهيئة المصرية العامة للكتاب (الاسكندرية:1977).

الثعالبي، **عبد العزيز**

17. محاضرات في تارخ المذاهب والاديان، تقديم ومراجعة حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، (بيروت:1985).

جب، هاملتون

18. صلاح الدين الايوبي، تحرير يوسف ايبش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت:1973).

الجنابي، **هاشم خضير**

19. جغرافية اوراسيا، مطبوعات جامعة الموصل، (الموصل:1987).

الجنـزوري، **علية عبد السميع**

20. امارة الرها الصليبية، مطابع سجل العرب، (القاهرة:1975).

جواد، مصطفى

21. سـيدات الـبلاط العباسـي، دار الكـشاف للنـشر والطباعـة والتوزيـع، (بيروت:1950).

جودت، **حسين جودت، والزوكة، محمد خميس**

22. جغرافية اوراسيا الاقليمية، دار المعرفة الجامعية، (الاسكندرية: د/ت).

جيبون، **ادوارد**

23. اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة محمد علي ابو درة، دار الكتاب العربي للطباعة، (القاهرة: د/ت).

حبشي، **حسن**

24. الحرب الصليبية الاولى، دار الفكر العربي، (القاهرة:1948).

حسنين، **عبد النعيم محمد**

25. السلاجقة، مكتبة الانجلو مصرية، (القاهرة:1975).

حلمي، **احمد كمال الدين**

26. السلاجقة في التاريخ والحضارة، دار البحوث العلمية، (الكويت:1975).

حمادة، **محمد ماهر**

27. وثـائق عـن الحـروب الـصليبية والغـزو المغـولي للعـالم الاسـلامي، مؤسـسة الرسالة، ط2، (بيروت:1982).

الحميدة، محمد سالم

28. الحروب الصليبية (عهد الوحدة)، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد:1993).

خليل، عماد الدين

29. الامارات الارتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، (بيروت:1980).

30. عماد الدين زنكي، مطبعة الزهراء، ط3، (الموصل:1985).

31. المقاومة الاسلامية للغزو الصليبي (عصر ولاة السلاجقة في الموصل)، مكتبة المعارف، (الرياض:1981).

دواني، جلانفيل

32. انطاكية القديمة، ترجمة ابراهيم نصحي، (القاهرة:1967).

رايس، تمارا تالبوت

33. السلاجقة، تاريخهم وحضارتهم، ترجمة لطفي الخوري، مطبعة الارشاد، (بغداد:1968).

رستم، **اسد**

34. الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، دار المكشوف، (بيروت:1955،1956).

رسول، **عز الدين مصطفى**

35. دراسة في ادب الفلكلور الكردي، وزارة الثقافة والاعلام، دار نشر الثقافة الكردية، (بغداد:1987).

رنسيمان، **ستيفن**

36. الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويده، (القاهرة:1961).

الرويشدي، **سوادي عبد محمد**

37. امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ، مطبعة الارشاد، (بغداد:1971).

زامباور، **ادوارد فون**

38. معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، ترجمة زكي محمد

حسن بك وحسن احمد محمود، دار الرائد العربي، (بيروت:1980).

زكار، سهيل

39.مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، (دمشق:1975).

سعداوي، **نظير حسان**

40.التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الايوبي، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة:1975).

سميل، ريسي

41.الحروب الصليبية، ترجمة سامي هاشم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت:1982).

سيديو، ل. أ

42.تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، ط2، (حلب:1969).

شفق، رضا زاده

43.تاريخ الادب الفارسي، ترجمة محمد موسى هنداوي، دار الفكر العربي، (القاهرة:1947).

الصائغ، **القس سليمان**

44.تاريخ الموصل، (القاهرة:1923).

الصابوني، **احمد بن ابراهيم**

45.تاريخ حماه، مطبعة حماه، (حماه:1332هـ).

الصدفي، **رزق الله منقريوس**

46.تاريخ دول الاسلام، مطبعة الهلال، (القاهرة:1907).

الطباخ، **راغب بن محمود بن هشام الحلبي**

47.اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، نقحه ووقف على طباعته محمد كمال،

ط2، منشورات دار القلم العربي، (حلب:1988).

عاشور، **سعيد الفتاح**

48.اوربا العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة:1972).

49.تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، (بيروت:1972).

الحركة الصليبية، **مطبعة لجنة البيان العربي، (القاهرة:1963).**

عاشور، **فايد حماد**

50.جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، (بيروت:1981).

عاقل، **نبيه**

51.الامبراطورية البيزنطية، مطابع الالف باء الاديب، (دمشق:1970).

العبود، **نافع توفيق**

52.الدولة الخوارزمية، مطبعة الجامعة، (بغداد:1978).

عبيد، اسحق **تاوضروس**

53.روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين، دار المعارف، (القاهرة:1970).

العريني، **السيد الباز**

54.الشرق الادنى والحروب الصليبية، دار النهضة العربية، (القاهرة:1960).

55.مؤرخو الحروب الصليبية، دار النهضة العربية، (القاهرة:1962).

عطا، **زبيدة**

56.الترك في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، (القاهرة:1946).

عطية، **حسين محمد**

57.امارة انطاكية الصليبية والمسلمون، دار المعرفة الجامعية، (الاسكندرية:1989).

الغامدي، **عبد الله سعيد محمد**

58.صلاح الدين والصليبيون، (مكة:1985).

غانم، **حامد زيان**

59.الامبراطور فردريك بربروسا والحملة الصليبية الثالثة، مطبعة دار نشر الثقافة، (القاهرة:1978).

الغزي، **كامل حسين مصطفى**

60.نهر الذهب في تاريخ حلب، المطبعة المارونية، (حلب: د/ت).

فامبيري، **ارمينوس**

61.تاريخ بخارى، ترجمة احمد محمود الساداتي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، (القاهرة:1965).

فشر، **هـ. ا. ل**

62.تاريخ اوربا في العصور الوسطى، ترجمة محمود مصطفى والسيد الباز العريني، دار المعارف، (القاهرة:1950).

قلعجي، **قدري**

63.صلاح الدين الايوبي، دار الكتاب العربي، (القاهرة:1979).

كاهين، **كلود**

64.تاريخ العرب والشعوب الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانية، ترجمة بدر الدين القاسم، دار الحقيقة للطباعة والنشر، (بيروت:1972).

لسترنج، **كي**

65.بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فونسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، (بغداد:1954).

لين بول، ستانلي

66.الدول الاسلامية، ترجمة محمد صبحي فرزات، (دمشق: 1973).

محمود، **احمد حسن**

67.العالم الاسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، (القاهرة:1973).

المدور، **مروان**

68.الارمن عبر التاريخ، منشورات مكتبة دار الحياة، (بيروت:1982).

مسعود جبران

69.الرائد- معجم لغوي عصري، ط4، دار العلم للملايين، (بيروت: 1981).

المطوي، **محمد العروسي**

70.الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الكتب الشرقية، (تونس:1954).

مؤنس، حسين

71.نور الدين محمود، سيرة مجاهد صادق، الشركة العربية للطباعة والنشر، (القاهرة:1959).

نـدا، **طـه**

72.فصول من تاريخ الحضارة الاسلامية، دار النهضة العربية، (بيروت:1976).

نوري، **دريد عبد القادر**

73.سياسة صلاح الدين الايوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة، مطبعة الارشاد، (بغداد:1976).

هارث، **أ**

74.السلاجقة، دائرة المعارف الاسلامية، دار المعرفة، (بيروت:د/ت)، حـ12، ص24-39.

هنتس، فالتر

75. المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، الجامعة الاردنية، (عمان:1970).

ويست، انتوني

76. الحروب الصليبية، ترجمة شكري محمود نديم، (بغداد: 1967).

يوسف، جوزيف نسيم

77. تاريخ الدولة البيزنطية، (الاسكندرية:1984).

78. العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الاولى، دار المعارف، مطبعة الشاعر، (القاهرة:1967).

يوسف، ارشيد

79. سلاجقة الشام والجزيرة، (عمان:1988).

اليوسف، عبد القادر احمد

80. الامبراطورية البيزنطية، دار المكتبة العصرية للطباعة والنشر، (بيروت:1966).

81. علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر، منشورات المكتبة العصرية، (بيروت:1969).

يونغ، لويس

82. العرب واوربا، ترجمة ميشيل ازرق، دار الطليعة للطباعة والنشر، (د/م: د/ت).

د- الرسائل الجامعية غير المنشورة:

ابراهيم، سازان حسين

1- الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه الايوبي، (534-587هـ/ 1139-

1191م)، رسالة ماجستير، كلية الاداب- جامعة صلاح الدين، (اربيل:1994).

ابراهيم، موسى مصطفى

2- الحياة السياسية في بلاد الشام، (634-658هـ/ 1236-1260م)، دراسة في العلاقات الداخلية والخارجية، رسالة دكتوراه، كلية الاداب- جامعة صلاح الدين، (اربيل:1997).

3- سنجار (521-660هـ/ 1127-1261م)، دراسة في تاريخها السياسي والحضاري، رسالة ماجستير، كلية الاداب- جامعة صلاح الدين، (اربيل:1989).

امين، نەبەز مجيد

4- المشطوب الهكاري، دراسة عن دور الهكاريين في الحروب الصليبية، رسالة ماجستير، كلية الاداب- جامعة صلاح الدين، (اربيل:1991).

الجميلي، حسين حديس جاسم

5- عصر الخليفة المستنصر بالله، (623-640هـ/ 1226-1242م)، رسالة ماجستير، كلية الاداب- جامعة الموصل، (الموصل:1989).

حسن، درويش يوسف

6-الاسرة الشهرزورية ودورها السياسي والحضاري (489-630/ 1095-1332م)رسالة ماجستير،كلية الاداب- جامعة صلاح الدين، (اربيل1998).

الصائغ، ذكرى عزيز محمد

7- عصر الملك الكامل الايوبي، رسالة ماجستير، كلية الاداب- جامعة موصل، (الموصل:1988).

الطائي، يونس عبد الله علي

8- دور المرتكزات الجغرافية السياسية في العلاقات العراقية التركية، رسالة دكتوراه، كلية التربية- جامعة الموصل، (الموصل:1997).

مجيد، ميسون هاشم
9- اوضاع بلاد الشام العامة قبيل الغزو الصليبي، (460-490هـ/ 1067-1097م)، رسالة دكتوراه، كلية الاداب- جامعة الموصل، (الموصل:1996).

هـ- البحوث والمقالات:

الجميلي، رشيد عبد الله
1- دراسات في العصر السلجوقي- الامير جاولي سقاوه، مجلة المؤرخ العربي، العدد 3، (بغداد:1975)، ص 208-222.
2- دراسات في العصر السلجوقي- الصراع بين السلاجقة والبيزنطيين، مجلة الاستاذ، كلية التربية، جامعة بغداد، العدد1 (1977-1978)، ص193-216.
الجومرد، جزيل عبد الجبار وقادر، نزار محمد
3- دور الخلافة العباسية في العلاقات السياسية بين القوى الاسلامية (575-600هـ/ 1179-1203م)، مجلة دراسات (العلوم الانسانية)، المجلد الحادي والعشرون (أ)، العدد الخامس (عمان:1994)، ص401-443.
الحسيني، محمد باقر
4- نقود الخليفة المستنصر بالله، مجلة المسكوكات، العددان 8-9، (بغداد:1987)، ص83-120.
العابد، صالح
5- الحروب الصليبية- دوافعها وبواعثها الممهدة، مجلد المورد- مجلد 16، (بغداد:1987)، ص 83-120.
الغامدي، علي محمد علي عودة
6- معركة ميريوكيفالوم (572هـ/ 1176م)، من المعارك الحاسمة في التاريخ

الاســلامي، مجلــة جامعــة ام القــرى، الــسنة الاولى، العــدد الاول، (مكــة: 1409هـ/ 1989م)، ص 120-150.

ناجي، عبد الجبار

7- ثورة الباسيري في بغداد، (447-451هـ/ 1055-1059م)، مجلة كلية الاداب-جامعة البصرة)، السنة الرابعة، العدد 5، (البصرة:1971)، ص 42-78.

ثانياً: باللغة الفارسية:

آقسرايى، محمود بن محمد، (تاليف 723هـ/ 1323م)

1- مسامرة الاخبار ومسايرة الاخيار، به اهتمام وتصحيح عثمـان تـوران، ضـاث دوم، انتشارات اساطير، (تهران: 1362ش).

ابن بيي، يحيى بن محمد (متوفي 674هـ/ 1275م)

2- الاوامر العلائية في الامور العلائيه، بتصحيح واهتمام نجاتي لوغـال وعـدنان صادق ارزى، (انقرة:1957).

3- تـواريخ آل سـلجوق (مختـصر سـلجوقنامه)، بتـصحيح واهتمـام هوتـسما، (ليدن:1902).

باسدرماجيان، هراند

4- تـاريخ ارمنـستان، ترجمـة محمـد قاضـي، ضـاث دوم انتـشارات زريـن، (تهران:1369ش).

جـوينى، عـلاء الـدين عطـا ملـك بـن بهـاء الـدين محمـد بـن محمـد (متـوفي 681هـ/ 1282م)

5- تاريخ جهانظشايي، (تاليف:658هـ/ 1260م)، به اهتمام وتصحيح محمـد بـن عبد الوهاب قزوين، مطبعة برين ليدل، (ليدل:1335هـ).

خواندمير، غياث الدين بن همام الدين الحسين، (متوفي 941هـ/ 1534م)
6- تاريخ حبيب السير في اخبار افراد البشر، انتشارات كتابخانه خيام، (تهران:1333ش).

رشيد الدين فضل الله موفق الدولة علي (ت 718هـ/ 1318م
7- جامع التواريخ، بهحواشي وتعليقات وتوضيحات بهمن كريمي، ضاث دوم از انتشارات اقبال، (تهران: 1362ش).

عميد، حسن
8- فرهنط عميد، ضاث دوم انتشارات امير كبير، (تهران: 1374ش).

ابن فندق، ظهير الدين علي بن ابي القاسم زيد البيهقي، (تاليف: 563هـ/ 1167م)
9- تاريخ بيهق، بكوشش سيديكم الله حسين، (حيدر آباد: 1968م).

كرديزي، عبد الرحمن بن ضحاك ابن محمود، (متوفي حدود 445هـ/ 1053م)
10- تاريخ كرديزي (زين الاخبار)، به تصحيح ومقابله عبد الحي حبيبي، ضاثخانة ارمغان، (تهران: 1363ش).

ماركو بولو

11- سفرنامه، ترجمة حبيب الله صحيحي، بنكاه ترجمة ونشر كتاب، (تهران:1350ش).

مستوفي قزويني، حمد الله بن ابي بكر، (متوفي 750هـ/ 1349م)
12-تاريخ كزيده، به اهتمام عبد الحسين نوائي، (تهران: 1339ش).
13- نزهة القلوب، بكوشش محمد ربير سياقى، ناشر كتابخانه تهران، (تهران:1336ش).

مشكوتى، نصرت الله

14- از سلاجقة تا صفويه، ناشر كتابخانه ابن سينا، (تهران: 1343ش).
ميرخواند، محمد بن امير خاوندشاه بن محمود، (متوفي 903هـ/ 1497م)
15- تاريخ روضة الصفا سيرت الامناء وملوك والخلفاء، انتشارات كتابفروشيهاى (مركزى، خيام، بيروز)، (تهران: 1339ش).
نيشابورى، خواجه امام ظهير الدين (متوفي حوالي 582هـ/ 1186م)
16- سلجوقنامه، ازنشريات طلاله خاور، ضاثخانةى خاور، (تهران: 1332ش).

ثالثاً: باللغة الانكليزية:

Anna Comnena

1. The Alexiad, Translated from Greek by E. R. A. Sewter, Penguin Books, (London: 1969).

Anonymous Syriac Chronicle

2. The First and Second Crusades, Translated by A. S Trittan, (J. R. A. S) 1933, part one pp. 70-101; part 2, pp 273-305.

Baldwin, M. W

3. Ahistory of the Crusades, The First Hundred Years, Edited by K.M. Setton, (Philadelphia: 1958), Vol. 1.

Baynes, N. H. and Moss, H. st. B.

4. Byzantium, An Introduction to East Roman Civilization, (Oxford:1967).

Brand, C

5. The Byzantine and Salahdin Speculum, (J. A. O. S.) Vol.75 1955,

pp.100-109.

Breheir, L.,

6. The life and Death of Byzantium, Translated by Margaret Vaughan, (Newyork: 1977).

Bosworth, C. E

7. The Ghaznavids, (Edunburgh: 1963).
8. The Political History of the Iranian World, The Cambridge History of Iran, (Cambridge: 1968), Vol 5, pp 1-230.

Brice, W. S

9. South West Asia, (London: 1966), Vol 8.

Cahen, C

10. Kaykaus, I, Encyclopaedia of Islam, New ed., (Leiden: 1978), Vol. 4, p. 814-815.
11. Kaykhusraw I, Encyclopaedia of Islam, New ed., (Leiden: 1978), Vol. 4, p. 816-817.
12. Kaykubad 1, Encyclopaedia of Islam, New ed., (Leiden: 1978), Vol. 4, p. 817-818.
13. Kilidj Arslan I, II III, Encyclopaedia of Islam, New ed., (Leiden:1978), Vol. 5, p. 104-105.
14. pre- Ottoman Turkey, Translated by J. Jonnes Williams, (London: 1968).

Dewdney, J. C

15. Turkey, Physical Human Economic Geography, (London:1971).

Diehle, CH

16. The Byzantium: Greatness and Decline, Translated from French by Naome Walford, (New Jersey: 1957).

Erdam, C

17. The Origin of the Idea of Crusades, Translated from the Germany by Marshall W. Baldwim and Walter Goffart, (New Jersey:1977).

Fenwich, K

18. The Third Crusade, (London: 1967).

Finlay, G

19. History of Byzantine Empire from 714 to 1057, (London 1935).

Gabrieli, F

20. Arab Historians of the Crusades, (London: 1969).

Gibb, H. A. R

21. Seljuks, Encyclopaedia Britannica, (London: 1957), Vol. 20, pp. 305-10.

Gibbon, E

22. The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, (London: 1903) Vol. 7.

Koestler, A.

23. The Thirteenth Tribe, Thc Khazar Empire and its Heritage, 3ed, (London: 1977).

Mayer, H. E

24. The Crusades, Translated by John Glligham, (Oxford: 1922).

Miller, W.

25. Asia Minor, Encyclopaedia Britanica, (London: 1957), Vol. 2, pp. 535-543.

Moss, H. ST. L. B

26. The History of the Byzantine Empire, (London: 1965).

Oldenbourg, Z.

27. The Crusades, Translated by Anne Carter, (New york 1965).

Oman. Ch. K. B. E

28. A History of the Art of War in the Middle Ages, (Newyork:1924), Vol. 1.

29. The Art of War in the Middle Ages, (Newyork: 1953).

Ostrogorsky, G

30. The Byzantine State, Translated by Joan Hussey, (Oxford:1968).

Ramsay, W. M

31. The Historical Geography of Asia Minor, (London: 1890).

Runciman, S.

32. A History of the crusades, (London: 1951-1953), 3 Vol. 5.

33. The Fall of Constantinople 1453, (Cambridge: 1965).

Shaw, S

34. History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, (Cambridge:

1979), Vol. 1.

Sounders, J. J.

35. A History of Medieval Islam, (London: 1969).

Stevenson W. B

36. The Crusaders in the East, (Cambridge: 1968).

Taechner, F

37. The Turks and the Byzantine Empire to the End of the Thirteenth Century, The Cambridge Medieval History, (Cambridge:1966), Vol. 4, pp. 736-752.

Turan, O

38. Anatolia in the Period of the Seljuks and the Byliks, The Cambridge History of Islam, (Cambridge: 1971), Vol. 1, pp. 231-262.

Vasiliev, A. A

39. History of the Byzantine Empire, (324-1453), (Mdidson 1958-1964) 2 vols.

Vryonis, S. Jr

40. The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the process from the Eleventh Through the Fifteenth century, (London:1971).

William of Tyre

41. A History of Deeds Done Beyond The Sea, Translated By E. A Babcock and A. C. Krey, (Newyork: 1943), 2 Vols.

Wolf, R. L

42. The Later Crusades 1189-1311, Editor in Chief, K. M. Setton in: A History of the Crusades, (Pennsylvania: 1962), Vol 2.

Zakar, S

43. The Emirate of Aleppo, (Beirut: 1971).

رابعاً: باللغة التركية:

سامي، شمس الدين

1- قاموس الاعلام، (استنبول 1914-1916).

2- Kuran, E, Türkiyenin Batılıla Şmasi Ve Milli Meselelr, (Ankara:1994).

Sadi, C

3- Senator Boyunca Ermeniler Ve Türk- Ermeni İlişkileri İkinci Baskı, Altınod Matbaası, (Ankara: 1967).

Sefim, A

4- Anadolu Fathi Kutalmiş Oğlu Süleyman Şah, (Ankara: 1990).

5- Ünlü Selcuklu Komutanları, Afsin, Atsiz, Artuk Ve Aksungur, (Ankara: 1990).

Turan, O

6- Türkiye Selcukluları, Hakkında Resmi Vesikalar, Ikinci baskı, (Ankara: 1988).

خامساً: باللغة الفرنسية:

Cahen, C

1. La Syrie Du Nord Al, Epoque Des Croisdes, (Paris: 1940).

Elisseeff, N

2. Nur Ad Din Un Grand Price Musulman De Syrie Temps Des Croisades, (Damas: 1967).

Gesta Francorum Et Aliorum Hiersoslmitonorum

3. Histoire Anonyme Dela Premiere Croisade, (Paris: 1964).

Grousset, R

4. Histoire Des croisades Et Du Royaume France De Jerusalem, (Paris: 1934-1936), 3 Tomes.

سادساً: باللغة الالمانية:-

Gluck, C

1. Diekunst Des Islam, und Ernest Diez, (Berlin: 1925).

Gotts Chalk, H. L

2. Al Malik Al- Kamil Von Eghpten Undseine Zeit, (Wcsbaden:1958).

سابعاً: باللغة الكوردية:

خاني، ئةحمةد (مرن 1119هـ/ 1707م)

1. مةم و زين، ئامادةكردن وثةراوصز نوسين هةذار، (ثاريس: 1989).

هەذار، عبد الرحمن شرف كندي

2. هەنبانــة بۆرينــة -- فرهنطـي كـردي ـــ فارســي، ضــاثخانەء ســروش، (تهران:1369ش/ 1990م).

ثامناً: باللغة الروسية:

GORDLEVSKY, V. A

IZBRANNIE SOCHENENIE, ISTORICHESKIE RABOIT, IZDATELSTVO VOSTOCHNOI LETERATORI, (MOSKVA 1960).

جدول يبين سنوات حكم سلاطين السلاجقة في اسيا الصغرى

ت	اسم السلطان	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	الملاحظات
	سليمان بن قتلمش	479-470	1086-1077	
	فترة شغور حكم خلالها ابو القاسم	485-479	1092-1086	لم يكن سلطانا
	قلج ارسلان الاول بن سليمان	500-485	1107-1092	
	ملكشاه بن قلج ارسلان الاول	510-500	1116-1107	
	ركن الدين مسعود الاول بن قلج ارسلان الاول	550-510	1155-1116	
	عز الدين قلج ارسلان الثاني بن مسعود الاول	588-550	1192-1155	
	غياث الدين كيخسرو الاول بن قلج ارسلان الثاني	593-588	1196-1192	المرة الاولى
	ركن الدين سليمان الثاني بن قلج ارسلان الثاني	600-593	1204-1196	
	عز الدين قلج ارسلان الثالث بن سليمان الثاني	600	1204	
	غياث الدين كيخسرو الاول بن قلج ارسلان الثاني	607-601	1211-1204	المرة الثانية

.	عز الدين كيكاوس الاول بن كيخسرو الاول	616-607	1219-1211	
.	علاء الدين كيقباد الاول بن كيخسرو الاول	634-617	1237-1219	العصر الذهبي

المصادر:

(1) لين بول، الدول الاسلامية، القسم الاول، ص 323.

(2) زامباور، معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، ص 215.

(3) Cahen, Pre- Ottoman Turkey.